

Amly
<http://arabicivilization2.blogspot.com>



کتابی

حامی مراد

أميرة مصر

(غرام في بلاط «قمبيز»)

وکتب آخری



الخاطبة الخالدة « مريم المجدلية » تغطى جسمها العارى بشعرها الغزير ، من
فرط احساسها بالعار بعد توبتها !
لوحة للرسام « تيسيان » فى متحف (بيتى) بإيطاليا



صورة رائعة لتمثال « الملك داود » المقام في أجمل ميادين (فلورنسا) بإيطاليا
للمثال الغالد « ميكل أنجلو »

كتاب

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

١ مار الكتاب



مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الحادى والثلاثون (السنة الثالثة) : اكتوبر ١٩٥٤
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرا التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٣ يوليو - بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

« كتابى » يشتري الاعداد الثلاثة الاولى من القراء !

نظرا لالاحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الثلاثة الاولى من كتابى ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد ان يكون لدى البعض اكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. فقد رأت ادارة كتابى ان تعلن عن استعدادها لشراء اى عدد من نسخ الاعداد الثلاثة الاولى ، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن، على ان يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل .

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ اعداد) ٦٥ قرشا - فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER وتحسب القيمة بميا يوازي ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة)

عنزى القارىء ..

رايت وسمعت لك ... فى اوربا

♦ عند ما فكرت فى اقتناص بضعة أسابيع من الصيف المنصرم ، امتنع تقى فيها قسطا من الراحة التى كنت فى أشد الحاجة إليها ، كان أول ما عاهدت نفسى عليه أن أقضى تلك الاسابيع بعيدا عن جو عمل المهرق الذى عشت فى دوامته طيلة الثلاثين شهرا الماضية .. ومن هنا اخترت أن أقضى عطلتى المرموقة خارج القطر . وكان أملى ، وغاية مشتهى - ولا أكتفك - أن انتزع نفسى من (كتابى) ، ومنك ، انتزعا كاملا لا تشوبه شائبة من رواسب العمل أو النشاط الدهنى فى أية صورة من صوره !.. كنت أطمع فى « اجازة » حقيقية ، أستمتع فيها بأوفر قسط من « الخمول » الدهنى والنشاط الجسمى ، اللذين طالما حرمنى منهما (كتابى) !

ولكن خاب ظنى .. فان اجازتى المنشودة سرعان ما انقلبت بقدرة قادر الى دوامة من العمل والمجهود الدهنى المتواصل .. ذلك اننى لم اكء اظا كل ارض زرتها حتى وجدتنى عاجزا عن انتزاع نفسى منك او انتزاعك من نفسى ! .. واذا كل همى طوال الرحلة يكاد ينحصر فى أن اقتنص لك كل كتاب شائق او صورة جميلة اغتر عليها فى دور النشر والمكتبات الاوربية اثناء مرورى عليها .. ثم فى أن احتفظ فى وعى ، وأسجل فى خاطرى ومذكراتى ، كل شاردة وواردة مما أرى او اسمع ، كى انقلها كاملة اليك بعد عودتى ، فانتركك معى فى كل متعة أندوقها ، وكل احساس يغالجنى ، وكل خاطر يطوف بذهنى .. بل وكل حلم يداعب خيالى !

وهكذا وجدتنى لا أنفك أدون لك ، وأسجل ، او أختزن فى ذاكرتى ، كل صغيرة وكبيرة من مشاهداتى .. بل انى رحت أبحث وأدرس ، وأنقب عما وراء المراتب والمظاهر من حقائق ، وخفايا ، ومعلومات ، واحصاءات .. حتى خرجت من رحلتى بدراسة مستفيضة مزودة بمئات الصور عن معالم تلك البلاد ، وشعوبها ، وأحوالها ، وتاريخها .. الخ

ولقد فكرت اثناء ذلك فى أن أجمع هذه المادة الطائلة فى كتاب واحد مستقل - من مطبوعات كتابى - يضم كل ما رايت وسمعت فى : ايطاليا ، والنمسا ، وسويسرا ، وفرنسا ، واليونان .. لولا اننى لم البث أن تبينث ان كل بلد من هذه البلاد جدير فى الحقيقة بكتاب كامل ! .. واننى لو جمعتها كلها فى كتاب واحد ، واطلقت فيه للقلم العنان كى يصف كل شئ ، لزادت صفحات كتاب كهذا على الخمسمائة صفحة ، بل الالف ! كما

انى لو انتظرت حتى افرغ منه كله - الى جانب عمل فى كتابى - كى انشره كاملا على حدة ، لاحوجنى الامر كى اكتبه ، واحوجك كى تقرأه - الى انتظار قد يبلغ العام ! .. لذلك كله آثرت ان اكتب هذه الفصول وانشرها تباعا ، على صفحات كتابى ذاته .. ابتداء من العدد القادم باذن الله

مشكلة الشباب أيضا

♦ وكنت قد حدثتك فى افتتاحية العدد الماضى عن «مشكلة الشباب» ، وما قيل عن الصلة بين موجة « جرائم الطلبة » التى اجتاحت مصر فى الاشهر الاخيرة ، وبين الكيىء الاجتماعى والجنسى الذى يعانى منه الشباب الامرين فى بلاد الشرق ، ولا سيما فى مصر .. وقد طالبتك فى ختام مقالى السالف بأن تبدي رأيك فى هذا الموضوع الشائك المعقد .. ووعدتك من جانبى باستطلاع حلول هذه المشكلة فى البلاد الاخرى وموافاتك بها .. لكن انشغالى بانجاز هذا العدد فى موعده بعء عودتى من الخارج ، فضلا عن حاجتى لتسع من الوقت لدراسة الردود التى وصلتنى فى هذا الشأن من كثيرين .. يضطرانى الى ارجاء استئناف البحث الى الاعداد القادمة ، كيما تتسنى لى المقارنة فى كل مناسبة - وفى موضعها - بين شبابنا وشباب البلاد الاخرى ، وكيف يعالج المجتمع ، والدولة ، والاسرة - فى كل بلد - مشكلات الجيل الناشء من شبابيه ، الذى هو كل عدته للمستقبل

كنز قومى .. تهمله مصر !

♦ وبمناسبة السفر ، وحديث السفر ، اذكر اننى عدت من سفرتى مفعم القلب غيرة وحسرة .. غيرة من الدول الاوربية ، جمعاء ، وحسرة على مصر ! .. فقد رايت تلك الدول تتيارى ، وتنفتن ، فى ابتكار واظهار مفاتنها السياحية فى اطار خلاب ، يجتذب اليها الالوف المؤلفة من السياح فى كل عام ، من كافة انحاء الارض .. وهى من اجل ذلك تحسن استغلال كل شبر من ارضها وكل مزية من مزاياها ، فلا تترك حتى التافه العادى من معالمها الا وتحيطه بهالة من الاهمية وتنظم اليه الرحلات الفسرية المتوالية بافخر السيارات الكبرى « الأوتوكار » المزودة بميكروفون ودليل - او بالاحرى دلية واسعة الثقافة ، تتولى شرح كل ما تقع عليه العين خلال الطريق بثلاث لغات رئيسية ، وتروى قصة وتاريخ كل ما تمر به السيارة من دور ومنشآت ، وانهار وجبال .. ثم تتوقف بك بين الحين والآخر امام مصنع للخزف ، او المرجان ، او الزجاج ، او العطور ، او الحلوى ، بحجة رؤية كيفية صنع هذه المنتجات - فى الظاهر - فى حين يكمن وراء هذه الزيارة غرض

آخر خفى ماكر ، هو استئثار نقود السالحين الكرام فى شراء ما يروقه
من منتجات تلك المصانع الصغيرة الثافهة التى توجد المصانع فى
امثالها فى بلادنا ، دون ان يفكر أحد منا فى لفت انظار السياح اليها بطبيعة
الحال !

هذا مثل واحد من مئات - بل ألوف - الامثلة التى من هذا القبيل ، والتى
سأشير اليها تفصيلا فى مواضعها من حديث هذه السياحة فى الاعداد القادمة .
ومثل آخر يفرض نفسه فرضا على فى هذا المقام ، ولا املك أكثر من ان
أضعه تحت انظار السيد مدير مصلحة السياحة : المعروف عن باريس أنها
اشهر عاصمة سياحية فى العالم - حتى لقد بلغ عدد السياح الذين زاروها
فى سنة ١٩٥٢ (صدق أو لا تصدق) : ثلاثة ملايين و ١٩١ ألفا ، انفقوا
فيها ١٢٥ مليارا من الفرنكات ! ٠٠ وانت تعرف طبعا ان العامل الاول الذى
يجتذب السائحين الى باريس بهذه الكثرة المروعة هو شهرتها كعاصمة للهو
والغلاعة ٠٠ فهل تعلم ان هذه الشهرة ما هى الا خدعة ضخمة وبضاعة
« قومية » مفتعلة للضحك على « ذقون » السذج من الاجانب الوافدين ، بحيث
لا تكاد تجد بين رواد ملاهى باريس الليلية احدا من أهل البلاد الفرنسيين ؟
والغزى الذى يكمن وراء هذه الحقيقة المستترة ان الحكومة هناك تشجع على
الاكثار من تلك الملاهى ، وعلى تسهيل مهمتها ، وتحسين برامجها ، قاصدة من
وراء ذلك الى اجتذاب السياح من ابعد اقطار الارض ليقبلوا على باريس
كالمسافرين ، يغترفون من لهوها ويفرغون فيها اموالهم بلا حساب !

قد تتساءل : أو لا تخشى الدولة هناك على أخلاق بنيتها من تعريضهم لتلك
المغريات ؟ ٠٠ وأنا اجزم لك ، بعد ما رأيته وسمعته ، بان الفرنسيين هم
أكثر الناس حصانة ضد تلك الملاهى ، فهم لا يرتادونها أكثر من مرات
معدودة طيلة حياتهم ! ٠٠ وليس ذلك لانهم قديسون ، وانما لان جميع برامج
تلك الملاهى الاستعراضية تكاد تكون متشابهة ، بحيث يكفى أن يراها المرء
مرة كى يكون فكرة عنها تغنيه عن ارتيادها بعد ذلك ٠٠ والباريسى الذى
يراه مرة - أو حتى الذى يراها كثيرا فيألفها - لن يضيره ذلك أو يمس
خلقه فى شئ ، (فهو أكثر ميلا واقبالا على حضور دراما تمثيلية جديده فى مسرح
« الكوميدى فرانسيز » ، أو برنامج باليه فى دار الاوبرا) ٠٠ لكن وجود تلك
الملاهى الخليعة مع ذلك يكفل لفرنسا دخلا قوميا هائلا من جيوب السائحين ،
الذين يقدون خصيصا من أجلها ، أكثر مما يقدون لزيارة متحف اللوفر !!
بل انك قد تدعش اذا علمت أن باريس تذهب فى ارضاء اذواق جميع السياح
الى حد تخصيص أكثر من ملهى فيها للرقص الشرقى ، من راقصات مصريات
وجزائريات ٠٠ بل ان ملهى « الفولى برجير » ، (البقية صفحة ١٩٤)

حلمى مراد

كناى

اعداد نفدت

كناى الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى ، وكناى الثانى : « قلب عدراء » وكناى الثالث : « الهاربة من الجنة » وكناى الرابع : « حواء الجديدة » وكناى الخامس : « احبب نوتردام » وكناى السادس : « جريمة حب » .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كناى السابع « عشيقه نابليون » ، والثامن « مذكرات كيوبيد » ، والتاسع « صنم تحطم » ، والعاشر « حديقه الله » ، والحادى عشر « عندما تعقد المراق » ، والثانى عشر « لعبة الحب والموت » ، والثالث عشر « نوبه خاطئه » ، والرابع عشر « ايها الربيع لرفق » ، والخامس عشر « الشيطان على الارض » ، والسادس عشر « اليدى هاملتون » ، والسابع عشر « الارملة المرحه » ، والثامن عشر « حياة جورج صاندا » ، والتاسع عشر « حياة سارة برنار » ، والعشرون « رباعيات عمر الخيام » ، والحادى والعشرون « حياة بيتهوفن » ، والثانى والعشرون « حياة موسولينى » ، والثالث والعشرون « كوخ العم توم » ، والرابع والعشرون « الزوج والعشيق » ، والخامس والعشرون « اليوهيمية » ، والسادس والعشرون « فتاة لها ماضى » ، والسابع والعشرون « ترويض النمرة » ، والثامن والعشرون « فن الحب » ، والتاسع والعشرون « الجريمة والعقاب » ، والثلاثون « المناق » (طرطوف)

♦ وتطلب من ادارة كناى: ١٤ شارع ٢٣ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمان كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، ثم من ٢٥ الى ٣٠ ، وثمان كل منها بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد العشرون وثمان كل منهما عشرون قرشا خالص اجر البريد

♦ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحواله بريده نقدية من طريق مكاتب البريد MONEY ORDER أو بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو اذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصا .

مطبوعات كناى

صدر منها حتى الآن :

- | | |
|----------------|----------------------|
| ١ - قصة هديتين | ٢ - ذات الثوب الابيض |
| ٣ - الغالدون | ٤ - الغاطئة |

وثمان كل من الاول والرابع عشرون قرشا خالص اجر البريد المسجل نظرا لوشك نفاذه) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش



قصة مصرية: للمحرر



عين وحالة

♦ في معرض للتصوير ، وقفت منذ أيام أتأمل صورتها طويلا . وفي دليل المعرض عثرت على العنوان الذي أطلقه عليها مصورها : (« عيون حاملة » - تصوير « فريد »)
يا للمسكين . . انه ما يزال يذكرها !

❖

عندما عرفني به صديقي الدكتور شاكر ، لمحت في عينيه أنه يتألم . كان الملل من الحياة ناطقا فيهما يتكلم ، ويقول : ان المسكين يحيا ، ولكن رغم ارادته !
وحركت نظراته فضولى الفطرى ، وهبلى الى دراسة الوجوه والنفوس . وددت لو أصل الى أعماق هذا الفنان الشاب ، لأسبر أغوار نفسه

ومرت الايام . . حتى اقترح على الدكتور شاكر ذات مساء ، أن نمر على فريد كى يلتقط لنا صورة . . وطال بقاءنا فى الاستوديو الى ما بعد مواعيد العمل ، فجلسنا نسم ونحدث فيما يروق الحديث فيه عادة بعد اجهاد العمل طوال اليوم . وتشعب بنا الكلام الى بحث ألوان العواطف التى يفرزها القلب البشرى . . وحلا للدكتور شاكر أن يداعب صديقه فقال : « دعونا من هذا ، وحدثنا أنت يا سيد فريد عن اختباراتك واسعة النطاق . ترى كم أحببت من هؤلاء الفتيات الجميلات اللواتى تزين صورهن جدران الاستوديو ؟ »

كيف أصف أثر هذه الدعابة فى نفسية فريد ؟ لقد قابلها اول الامر متكلفا ضحكة استهتار ساخرة ، ثم ما لبث أن شرد منا فترة بدا فيها كأنها يجمع شتات نفسه ، وبدت نظراته كأنها آتية من بعيد . . حتى تنبه أخيرا الى أن انتظارنا قد طال ، وأن أسماعنا معلقة بفمه ، فقال :

« أكنت تمزح يا شاكر ؟ • يا بختك ! لقد كنت يوما مثلك حرا طروبيا بلا قلب ، أعشق كل امرأة فاتنة كما أحب كل زهرة عطرة ، أو فاكهة شهية ، أو صورة جميلة ! • وعشت هكذا أعواما ، متوهما اننى قد عرفت الحب مرات ومرات ، واننى - دون الناس - قد أفلحت فى الاستمتاع به مجردا عن سائر قيوده وأشواكه ! • وكم سخرت من أشجان الهوى ، وكم هزأت بنزوات المحبين ! • ايه ، ولكن « كريمة » بدلت كل شئ • اننى حين أفكر فى حاضرى وتقسو على قلبى آلامه ، أتمنى لو أننى لم أعرف الحب ، ولم أعرفها ، وأجدنى أحن الى نسمات « الميل » الهادئ الذى كنت أحسبه « حبا » ، والذى طالما نعمت به قبل أن تبده العاصفة • ايه ! نعم ، ولكننى لا ألبث أن أقتلع الندم من جذوره حين تشتعل فى حسى نشوة السعادة المداقة التى غمرتني بها كريمة ، فأحس أن آلامى قد غدت شفافة ، تسمح لى بأن أعيش وراءها فى الماضى القريب ، قانعا بأن أجتر اللبظات الخالدة التى نفحنى بها حبها • •



« • • كنا دائما نلتقى فى مشرب للشاي قريب من هنا ، ثم نخرج الى احدى الضواحي الهادئة : صحراء هليوبوليس ، أو الهرم ، أو ضفاف النيل فى الجزيرة • • ونسير متلاصقين نتهامس ، أو ننصت للطبيعة وهى تهمس بأحاديث الجمال والسحر والحب • • حتى نتعب فنجلس على أحد المقاعد الخشبية المتناثرة ، كى تغنى لى كريمة بصوت خافت سماوى أغنية

رقية من أغاني الراديو أو الافلام المحبة الى ، بينما أهيم أنا في عينيها الحالمتين اللتين كانتا تحكيان لى في كل جلسة حلمنا جديدا ، وأملا أعذب من نسيم الفجر ، مسكرا كعطر الربيع ، ناعما كأوراق الورد ، وكبشرة خدها الخمرى .. وكم كان خدها حلوا ودافئا على الدوام . كلما نظرت اليه كنت أحس كأنى ألصق وجهى بوسادة من الريش ، مكسوة بالحرير !

وبقدر ما كانت الوسادة ناعمة ، كانت اليقظة دائما ترعبنا .. كنا نخشى أن نفيق ، ونشفق من الفراق ، فنراوغ ونظل نراود الدقائق عن سيرها ، ونتملقها أن تقف ، ليطول لقاءنا ونبقى أيضا .. ولو لحظات !

آه .. كيف يجترى أحد على أن يتهم الحب بشر أو خطيئة ! ان قلبي ، الذى كان قبل أن تملأه كريمة لا يعبد غير ذاته ، وغير الشيطان ، قد غدا منذ عرفتها متبتلا ، يغر فى صدرى كلما لقيتها ، ساجدا لله فى خشوع ، شاكرا للسماء أنها وهبتة حاضره السعيد .. متعبدا لها كى تديمه عليه !

وكما علمنى الحب الشكران ، علمنى الاحسان ، حين كنا نتمشى ذات مغرب جميل ، ومررنا بمتسول ضرير كان يحاذى سور احدى الحدائق الانيقة ، وهو يتلمس قضبانه بأصابعه المرتعشة ، وفى يساره عصا يدق بها الارض دقات واهنة كجسده الهزيل ، الذى خيل الى أن منظره كان الغصة الوحيدة فى حلق سادة المنزل وهم يتناولون الشاي فى الحديقة ، فى استرخاء ، كأنما يستجمون من عناء الراحة ! .. ورقت كريمة لمراى الضرير فضغطت على ذراعى ، وهى تقول بصوت ذاب فيه الاشفاق والحنان : « أترى يا فريد هذه المفارقة الاليمة .. هذا السور الذى يفصل بين النقيضين : فى الخارج أعمى جائع ، حافى القدمين ، بالى الثياب ، حرمة الدنيا كل شئ .. وفى الداخل ورود وعطور ، وسلم من رخام ، وقصر يضيق بالمقاعد المريحة

والفراش الوثير ، ومخازن الثياب ، والطعام الشهى ، والحياة الناعمة .. ترى ماذا جنى هذا التعس أو جنى أبواه ، وماذا أتى أولئك من أفضال ؟ »

وقبل أن تسترسل كريمة فى خواطرها ، وجدتنى أسخو على الضرب بالعطاء ، وأسارع معها بالابتعاد .. فقد أحسست بقلبي يرق حتى ليضنيني ، أنا الذى لم أكن أفهم الألم ، أو أقدر الحنان ، والغفران ، والبر والتسبيح .. وعشرات غيرها من المعانى الرقيقة واحساسات الناس التى ألهمتنى كريمة أن أراعيها ، وهى ترعانى بنظراتها الساخنة التى كانت تنضح بالعاطفة ، حتى لتكاد تعطينى فى كل نظرة .. قلبها بأكمله !

آه .. لماذا خلق الله لنا ذاكرة ، تعى ظروف الألم أكثر مما تعى ساعات السرور ؟

انذاكرتنى كثيرا ما تتجاهل البداية السعيدة لقصتى ، ولكنها لا تعفينى لحظة من مرارة النهاية ..

.. فقد غابت عنى كريمة يوما فأياما ، تبينت خلالها قسوة



ما كانت قد فرضته على من الجهل التام بكل ما يمكننى من لقائها كلما أردت أنا ، لا هى .. وهكذا بقيت حائرا ، أنتظرها كالمجنون ، ثلاثة أسابيع ، حتى وصلتني منها هذه الرسالة ..

مبللة بالدموع :

« يا فريد .. أعلم أنك لن تغفر لى هذا الغياب الطويل ، فكيف لو علمت اننى لن أعود ؟

.. لقد خدعتك يا فريد ..

أخفيت عنك اننى انما أحببتك لكى أنتقم لكراحتى من الرجل الذى هويته فانصرف عني ، أو ظننت أنه فعل ، حتى عاد منذ أيام ليخطبني ، نادما مستغفرا .. فصفحت عنه ، بعد الحاج قلبي الذى لم يكن قد نسيه ! .. فاغفر لي يا فريد اننى .. سأتزوج ، أو فحاول أن تكرهني وتنساني .. الوداع يا فريد .. »

وفرغنا من الرسالة والتفتنا الى فريد ، فاذا الدموع تهيم فى عينيه ، بينما نظراته تهيم فى عينيها هى ، وهو يتأمل صورة كبيرة لها كانت بين يديه !

❖

قلت للدكتور شاكر ونحن نسير معا فى شارع قصر النيل قبيل منتصف تلك الليلة ، بعد أن ودعنا فريد : « انك قد اضطربت حين رأيت صورة كريمة .. ترى هل كانت لها قصة معك أنت الآخر ؟ »

قال : « نعم ، ولكنها قصة من نوع آخر .. فقد تذكرت هذا الوجه .. انها قد كذبت عليه كى يكرهها وينساها ، بينما لم يكن خطيبها الا .. الموت .. لقد رأيته قبل زفافها اليه بساعات .. كان يترصدها فى اصرار لياخذها معه .. لعلك فهمت أنها كانت مريضتى ، فقد لبثت أكافح (التيفويد) ثلاثة أسابيع ، ولكن الموت غلبني واستأثر بها .. وقبيل وفاتها كنت أعودها ، فانتهزت فرصة خلو الغرفة من أهلها وطلبت منى وهى تبكى أن آتى لها بورقة صغيرة كى تكتب كلمة وداع ، لرجل .. بعد أن رجتنى أن أصون سرها عن ذويها ! »

وسكت الدكتور شاكر ، وكان الترام قد وصل ، فمضى .. ومضيت ..

ومضت شهور ، حتى وقفت منذ أيام فى معرض التصوير ، أتأمل صورتها طويلا

ومر بخاطري فريد .. يا للمسكين ، انه لا يعلم أن العيون
الحالة قد كفت عن أن تنسج الاحلام ، وانه لم يبق منها الا
هذه الصورة الراقدة في اطارها الاسود ، الذي تراه لى - وأنا
ابتعد - كأنه نعش قائم بغيبض !

اقرأ فى « كتابى » تباعا ابتداء من العدد القادم :

رأيت وسمعت لك ... فى اوربا

بقلم المحرر

وصف تفصيلى شائق لاشهر المعالم التاريخية والسياحية فى كل
من : إيطاليا ، النمسا ، سويسرا ، فرنسا ، اليونان .. مع تصوير
صداها فى نفس كاتبها ، ودراسة اجتماعية لشعوب تلك البلاد ،
واحوالهم ، واساليب حياتهم ، وعاداتهم ، مع احصاءات دقيقة فى كل
باب من ابواب هذا البحث ، وصور فريدة فى نوعها ..

سوف تحس وانت تقرأها ، كأنك رافقت المحرر
فى زيارته لكل من هذه البلدان والبقاع :

روما (المدينة الخالدة) .. نابولى .. كابرى (جزيرة الاحلام) ..
فلورنسا (موطن دانتي) .. البندقية (المدينة العائمة) .. كورتينا
(جنة إيطاليا) .. التيرول النمساوى .. اينزبروك .. سالزبورج
(عاصمة المهرجانات الموسيقية) .. فينا (مدينة الحب والنساء والفناء)
.. بحيرة كونستانز والحدود الالمانية .. مصانع زيلن .. شلالات
الراين (شافهاوزن) .. الريف السويسرى .. زيوريخ (عروس مدن
اوربا) .. باريس (مدينة النور) .. شاطيء الكوت دازور والريفيرا
الفرنسية .. نيس ، كان .. امارة موناكو (دولة القمار) ، وكازينو
مونت كارلو .. الريفيرا الإيطالية ، سان ريمو .. جنوا .. مسينا
.. اثينا (عاصمة الاغريق) ، الاكروبول ، كيفيسيا ، قناة كورنث ،
جزيرة سترمبولى .. الخ

أضحى وأوفى ما كتب عن تلك البلاد باللغة العربية

ترقب « كتابى » القادم

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية قصص :

- * اموك : لستيفان زفايج
- * مرتفعات وذرنيج : اميل بروننى
- * قلب عدراء : جون جالزورنى
- * التلميذ : بول بورجييه
- * احذب نوتردام : فيكتور هوغو
- * جريمة حب : بول بورجييه
- * جين اير : شارلوت بروننى
- * ايام بومباى الاخيرة : ليتون
- * مانون ليسكو : الاب بريفو
- * حديقه الله : روبرت هتشنز
- * عندما تحقد المرأة : اونيه
- * اسيا : ايفان تورجنيف
- * كاس تمبرلين : سنكلير لويس
- ◆ الشيطان على الارض : رسل
- * رساله من مجهولة : زفايج
- * تاييس : اناتول فرانس
- * بلاد العميان : هـ.ج. ويلز
- * نادى الانتحار : ستيفنسون
- * كوخ العم توم : ستو
- * البوهيمية : هنرى موجيه
- * فتاة لها ماض : بورجييه
- * شيرى : كوكيت
- * الجريمة والعقاب : داستوفسكى
- * لحن كرويتزر : تولستوى

واليوم اقدم لك هذه القصة الرائعة
عن مصر القديمة قبيل غزو الفرس لها
بقيادة « قمبيز »

الحياة قصص



روائع القصص العالمى



AN EGYPTIAN
PRINCESS

By

GEORG MORITZ
EBERS

الملكة المصرية

قصة فرعونية بقلم الكاتب الألماني
"جورج موريتز ايبز"



تلخيص : الاستاذ محمد بدر الدين خليل

هذا المؤلف ... وهذه القصة

♦ ولد « جورج
موريتز ايسرث » في
برلين في اول مارس
سنة ١٨٣٧ ، ودرس
القانون ، ثم اصيب في
سنة ١٨٥٨ بمرضى
خلف بساقه عرجا ،
فصرف النظر عن ان
يصبح محاميا ، واقبل
على دراسة اللغات
القديمة والآثار، متصرفا
انصرفا تاما الى تاريخ
مصر القديمة .. ثم
قام برحلات جاس فيها
خلال مصر والنوبة وبلاد
العرب ، وانتهى الى



ان صار استاذًا للتاريخ المصرى بجامعة « ليبزيغ » ، حيث ظل حتى
سنة ١٨٨٩ ..

وكان قد زار مصر مرة اخرى في سنة ١٨٧٢ ، حيث قام ببعض
اعمال الكشف الاثرى الجبيلة ، واهمها ورقة البردى التى اصبحت
تعرف باسمه .. ومات في ٧ اغسطس سنة ١٨٩٨
وكان ايزرث مشغولا اثنا مرضه ودرسه للتاريخ ، بتقصي
المصريين القدماء ، فراودته فكرة احيائها ونشرها في روايات تاريخية
يمزج فيها الحقيقة بالخيال .. والرواية التى تقدمها في هذا الشهر
« اميرة مصر » هي اول ما كتب في هذا الباب ، وقد اصدرها سنة
١٨٦٤ ، فلقيت نجاحا ورواجا حفزا على اعادة طبعها مرارا ، وعلى
ترجمتها الى معظم اللغات الاوربية

ويسر كتابى ان ينقلها اليوم - ملخصة - الى العربية لأول مرة

الفصل الاول رودوبيس

♦ كانت مياه الفيضان تغمر الوادى وتفيض على جانبي النيل .. وليس ثمة نسمة واحدة من هواء .. وأشعة القمر تبسط على صفحة النهر العظيم الخالد ستارا من فضة ..

وفى تلك الليلة من ليالى عام ٥٢٨ قبل الميلاد ، انساب من « نوكراتيس » - التى كانت معقلا لليونانيين ، والتى اختارها الاسكندر الاكبر فيما بعد ليقيم الاسكندرية على مقربة منها - قارب لم يلبث أن دلف عبر مصب فرع النيل ، وقد استوى بين وسائده رجлан ، كشف القمر عن أنهما من أصل اغريقى (يونانى) .. وكان أكبرهما سنا اسبرطيا فى حوالى الستين من عمره ، فارع الطول ، قوى البنية ، تهدلت جدانله التى وخطها المشيب على عنقه .. فى حين كان الآخر أثينيا يصغره بعشرين عاما ، ممشوق القوام ، متين البنيان ..

وكان الصمت يلفهما ، حتى اذا اقتربا من الشاطئ بعد حوالى نصف الساعة ، قال الاصغر : « ها قد أشرفنا على غايتنا يا « اريستوماخس » .. فهناك الى اليسار ترى الدار البهيجة ، مقر صديقتى « رودوبيس » .. ان كل أصدقائها ، حتى الملك ، يتنافسون فى ادخال التحسينات على هذه الدار فى كل عام »

- انك تكثر من اطراء هذه العجوز يا فينس ..

- أوكد لك اننى لأعرف فى مصر من هى أنبل منها ..

- وكيف استطاعت « رودوبيس » أن تغدو كالمملكة ، وأن تعيش فى جو ملكى ، وهى التى كانت جارية ومحظية ؟

وهنا راح الاثنى يروى لصاحبه قصتها : كانت جارية يونانية ، جمعها الرق فى حداثتها بعد اوتى علما وحكمة ، فاعلمها الحديث والفناء والموسيقى .. ثم ابتاعها سيد حملها

الى بلدة « نوكراتيس » حيث راح يستغل جمالها الباهر الخلاب كى يثرى ، الى أن قدر لها أن ابتاعها نبيل من أبناء الاغريق اللاتدين بمصر ، وتدله فى هواها ، فاعتقها وتزوجها .. وصارت دارهما مقصد اليونانيين الذين كانوا يعجبون بجمال « رودوبيس » وثقافتها ..

وعندما مات زوجها ، ظلت فى « نوكراتيس » مع الابنة التى أنجبته ، حتى اذا كبرت هذه الابنة تزوجت من تاجر فينيقى نبيل المحدث ، نزع بها الى الخارج ، وهناك رزقا بنتا أطلقا عليها اسم « سافو » .. ثم دهم الوالدين وباء قضى عليهما ، فضمت « رودوبيس » حفيدتها وكفلتها .. وكان الهوان الذى لقيته هى فى صغرها ، يجعلها تغار على الصغيرة وتحول بينها وبين الاتصال بالرجال - على كثرة من كانوا يترددون عليها ، اذ اعتاد اليونانيون أن يجسدوا فى قصر « رودوبيس » المجتمع الذى تهفو اليه نفوسهم المشوقة الى الوطن .. سيما وقد كانت « رودوبيس » تحظى برعاية سابعة من « امازيس » - أو « احمس » - الذى قاد ثورة الجيش وانتزع العرش لنفسه .. وكان « احمس » يميل الى الأجانب ، رغم ما كان يعلمه من أن الشعب ما نقم على سلفه الا لأنه كان يؤثر اليونانيين بحظوة أثارت عليه الكهنة والمصريين جميعا .. بيد أن « احمس » كان يعرف كيف يتفادى ما تعرض له سلفه ، وان كان نفوذ الكهنة قد غدا عبثا يرهقه ويعكر عليه صفو الحياة ..

الفصل الثانى

على مائدة رودوبيس

◆ كانت « رودوبيس » تبدو أصغر من سنها الحقيقى ، وان لم تكن تحاول أن تخفى هذه السن ، بل كان يسرها أن

تبدو «أما» لهؤلاء المغتربين الذين اعتادوا أن يلودوا بمجلسها ، وأن يستمتعوا بما آدبها ٠٠ وكانت كالمملكة وسط حاشيتها ، فياضة اللطف ، تؤثر كل ضيف ببعض العبارات الرقيقة ٠٠ وعندما تناول الضيوف فى تلك الليلة كفايتهم من الطعام ، تحولوا يسمرون ويشربون ٠٠ وجرى الحديث بين «رودوبيس» والاثينى «فينس» ، فاذا بها تعرف أن الاخير قد أقصى عن خدمة الملك أحمس ، وأنه راحل الى اليونان ٠٠ ومازال الحاضرون بفينس حتى انطلق يروى لهم قصة اقصائه : **فلقد كان «بسامتيك» - ابن الملك وولى عهده - يحقد عليه ويناصبه العداء ٠٠ وشاء الحظ العاثر أن يفاجأ خادماً للاثينى وهو يلقى ببعض القلط فى النيل - وكانت القلط مقدسة لدى المصريين ، اذ كانوا يصورون الالهة «باخت» برأس كراس القط ، فكان الحاق آتفه ضرر بهذه الحيوانات يعتبر جريمة كبرى !- لذلك كاد القوم يفتكون بالخادم ، ثم قادوه الى المعبد ، حيث أمر كبير الكهنة بالقائه فى السجن ٠٠ وكان الحادث فرصة للكهنة الذين كانوا يحققون على الأجانب ، ويتحالفون مع بسامتيك ، فآلقوا مسئلية الخادم على مولاه ، وسرعان ما اعتقل «فينس» وقدم الى المحكمة العليا المؤلفة من كهنة (مفيس) و (هليوبوليس) و (طيبة) ٠٠ فقضت عليه بالموت ٠٠ لولا أن اجتمع الضباط والجنود الاغريق الذين فى خدمة احمس - وكانوا حوالى ٤٠٠٠ - وهددوا بالاستقالة ان لم يعف الملك عن قائدهم ، فاستدعاه الملك من سجنه ، ووعدته بأن يشفع له لدى الكهنة ، بشرط أن يغادر مصر قبل انقضاء ثلاثة اسابيع !**

واستطرد «فينس» يقول : «وعند أبواب القصر ، التقيت ببسامتيك - ولى العهد - فقال لى : «لقد نجوت من نقمتى مرة أخرى أيها الاثينى ، ولكنك لن تهرب من انتقامى !» ٠٠

ومن ثم سارعت الى المجيء الى نوكراتيس لاتأهب للرحيل عنها الى وطني .. »

ودارت بين الحاضرين أحاديث شتى ، وفجأة ، قال أحد الحضور : « الآن ، اليكم النبأ الذي تكتمته عنكم حتى تدب التشوة في رؤوسكم .. ان الفرس قادمون ! »

وقفز الجميع عن مقاعدهم مذعورين .. ولكن المتحدث صاح يطمئنهم : « صبرا .. فليس القادمون جيشا ، وانما بعثة أوفدها قمبيز عاهل الفرس ولن تلبث أن تصل بعد أيام قلائل .. وليس ثمة من يدري لمقدمها سببا ، وان قيل ان قمبيز سيعرض على احسن معاهدة تحالف .. بل وسيطلب يد ابنته ! »

فهتف فينس غير مصدق : « وما حاجة الفرس الى تحالف وقد غدوا يحكمون نصف الدنيا .. ولم ينبج من غزوهم غير مصر واليونان ؟ »

— أنسيت ان الامبراطورية اذا اتسعت رقعتها وتعددت أجناسها ، بدأت بوادر التمرد تدب فيها ، فهي تحذر الحروب مع الأجانب حتى لا تنتهز الولايات المتمردة فرصة غياب الجيش فتنتقض عليها ؟

الفصل الثالث

رودوبيس وفينس

◆ كان الوقت ظهرا .. وقد جلست رودوبيس الى فينس بجوار نافورة في حديقة قصرها الغناء . وراحت تقول : « لو كنت ضعيفة لنزحت عن نوكراتيس ولعشت في عزلة عاكفة على حفيدتي ، فهي دنيا كاملة تكفيني .. وانما أبقى لأنني أشعر بأنني ذات نفع لمواطنينا الذين آثروا حياة التغرب على

الحياة فى ربة الاستعباد .. بل ان وجودى - بعد رحيلك - أصبح ضروريا لحمايتهم . لقد شاخ أحمس ، ولو خلفه « بسامتيك » لعانينا المتاعب الجسام .. ولكننى سأتبقى لأكافح من أجل حرية الاغريق ورحائهم .. »

وقال فينس : « هذا ما يروق لى منك . لسوف يفتقدنى أحمس ، فان علاقائى بجنوده الأجانب المرتزقين كانت تمكننى من أن أحسن سياستهم كما لا يتسنى لسواى .. اننى ما فارقت أثينا الا لأننى قهرت فى محاربة الطغيان هناك .. »
ولقد تركت زوجتى التى ماتت فى العام الماضى ، وتركتم ابنى - الذى بلغ الحادية عشرة - وابنتى التى تصغره بعام ، فى حضانة عمتهم .. وقد أرسلت فى استدعائهما ، لكنهما لن يصلا قبل أن تنقضى الاسابيع الثلاثة التى أمهلتها كى أغادر البلاد . فان شئت أن تثبتى صدق وفائك لى ، فاستقبليهما ، وأرسليهما ورائى فى أول سفينة تبحر الى (تراشيا) ، وأخفيهما عن أعين جواسيس « بسامتيك » ، فانت تعرفين أنه عدوى الألد ! .. اننى أعرف أن الملك جعل بيتك حرما وخلع عليه حضانة ، ومن ثم فانه خير ملاذ للطفلين . ولسوف تلمسين مدى تقديرى لك حين تتبينين أننى أعهد اليك بخير وأعز ما لى فى الحياة ! »



♦ **ووصلت** البعثة الفارسية ، فاذا مصر تستقبلها استقبالا حافلا . وكانت تتألف من ستة رجال ، بدوا فى أبهى الصور ، وأفخم الرواء : « بارتشا » رئيس البعثة وشقيق العاهل الفارسى ، وهو شاب فى العشرين أوتى كل ما يشتهى من الجمال ، من شعر ذهبى ، وعينين زرقاوين تفيضان بالحياة ، والهناء ، والرحمة ، والشجاعة .. وكأنما وجهه النبيل القسمات ، الذى تحوطه لحية حديثة النمو ، تحفة رائعة من

انتاج أبرع فنان • والى جانب هذا الجمال كله كان الشاب على قدر كبير من الفتوة البادية ••

وكان يتلو بارتشا فى البعثة « دارا » ، وهو شاب لا يقل عنه حسنا ، ومن الأسرة المالكة •• ثم رجل أشيب الشعر ، بادی الرزانة ، تفيض من وجهه الصبوح اشعاعات من الرحمة ، واللفظ ، يخالطهما الذكاء ، والخبرة بالحياة •• ذاك كان « كروسس » ملك (كيديا) المخلوع ، الذى استقر فى بلاط قمبیز كصديق ومستشار له •• ثم « بركساسبس » سفير ملك الفرس ، وزوبيرس - أحد نبلاء فارس وصديق « بارتشا » و « دارا » - و « جايجس » الشاب النحيل ، الرقيق ، ابن « كروسس » ••

واستقبلهم « بسامتيك » - ولى عهد مصر - فى الميناء •• كما كان والده الملك « أحمس » فى ارتقابهم فى قصره ، مرحبا ، مؤهلا •• فلما كان اليوم الرابع ، انتهز أحمس فرصة غياب شباب البعثة مع ولى عهده فى ممفيس ، وخرج يتمشى مع الملك المخلوع المسن « كروسس » فى حدائق القصر ، بعد أن فرغ من أعماله التى كان يكرس لها فترة الصباح من كل يوم •• وجلس الشيخان فى ظلال الاشجار الوارفة •• فقال الفرعون فى لغة يونانية سليمة :

- لكننا الصداقة ربطت بيننا منذ أمد بعيد يا صاحبي ••

- كذلك شعورى •• اننى أعجب بشجاعتك التى تمكنك من أن تفعل ما تراه صالحا ، رغم تحدى رجال البطانة الذين حولك •• اننى أرى فيك زميلا ، فلقد استمتعت مثلى بكل مايمكن أن تتيحه الحياة من بهجة وهناء ، ومن متاعب وأشجان •• لقد حملت لى ساعة النحاس فى طياتها أولى ساعات الفرح ، فعندما انكسرت أمام الفرس رفع جندى منهم سيفه وكاد

يهوى به على عنقى ، لولا أن أمسك أبني « جايحس » بيده
 فعاقه .. وكان ابني ذاك أبكم منذ العام الرابع من عمره ،
 فأنطقه الفزع ! وكانت هذه أسمى نعمة أغدقتها على الآلهة :
 أن استعاد ابني القدرة على الكلام .. فبدأت أرى أن المصائب
 قد تطوى في أردانها الخير .. وانك لتعلم اننى غدوت بعد
 ذلك صديقا لكورش - والد قمبيز - فسمح لابني بأن يعيش
 فى أحضانى .. وعندما رأيت المتاعب التى عاناها كورش فى
 آخر أيامه ، والليالى التى كان يقضيها مؤرقا ، ارتجفت لذكرى
 ما كان له من عظمة وملك ، وتبينت أين تكمن السعادة الحقة :
 انها فى أعماق كل منا .. انها القدرة على القناعة ، والصبر ،
 والانتشاء بكل ما هو رائع وجميل ، وتحمل الحزن بلا شكوى ،
 وتجميله بالذكريات .. انها الاعتدال فى كل الامور ، والثقة
 الوطيدة فى الآلهة ..

- الحق يا كروسس اننى أغبطك ، رغم اننى « اله العدل
 وصاحب المجد العسكرى » كما يلقبني المصريون ، وأنت
 المحروم من عرشه ومجده .. لقد كنت سعيدا مثلك فيما
 مضى ، يحبني جنودى ، ويعتز بى رؤسائى .. فلما أرسلنا
 سلفى « خفزح » لغزو سيرين (ليبيا) ، راح الموت يحصدنا
 فى الصحراء ، فتمررنا ورفضنا التقدم .. واذا ذاك نبتت فى
 رأسى فكرة خلع الملك ، فاذا الجيش يؤازرنى ، واذا الشعب
 يعضدنى .. ولكننى لم ألبث - بعد أن اعتليت العرش -
 أن منيت بعداء عليه القوم ! .. فالكهنة لم يتقبلونى الا لانهم
 طمعوا فى أن أكون أداة فى أيديهم .. ولقد أفقدنى السلطان
 أصدقائى من ضباط الجيش ، فاضطرت الى الاستعانة
 باليونانيين الذين أعجبت بفنونهم وعاداتهم ، فحاولت أن
 أدخلها على مصر .. ولكن الغرض السامى الذى رميت اليه
 من وراء ذلك تحطم تحت ربة الكهنة ، السادة الذين يسعون

لفرض سلطانهم على اعمالى . وكان نفوذهم على الشعب اقوى من نفوذى ، فاضطرت الى أن اتخلى عن أروع مشروعاتى ، وأن ارتضى العيش عبدا لهم !! بل لقد أقاموا أبناءهم رقبا على ، وأن قدموهم على أنهم مرافقون وخدم لى . كل من هؤلاء الفتية حارس وسجان ورقيب !

واذ تجلت الدهشة على كروسس ، قال أحس :

« لكل مركز ممتاز ضريبة . وأنا كملك لهذه البلاد مضطر الى أن ارتضى أغلال تقاليد ترجع الى ألف عام ، والا حرم الكهنة دفن جسدى اذا مت !! وأنا قد أثأثر بالاغريق ، واقتبس الكثير من افكارهم وعاداتهم ، ولكنى مصرى قبل كل شىء . مصرى بكل جارحة فى كيانى . وقد اكتهلت ولم تبق لى فسحة من العمر ، فهل ترانى اضحى براحة آلاف السنين فى العالم الآخر ؟ لا يا صديقى ، اننى مصرى اومن بان النعيم فى حياتى الثانية يتوقف على صيانة جسدى . فهى مستودع روحي . وما اكتسب أطباؤنا شهرتهم ومكانتهم لو لم نطمئن الى فنهم فى حفظ كياننا الدنيوى . وبهذه المناسبة ، كيف حال « نبنخارى » طبيب العيون الذى أرسلته لملك فارس ؟ »

— لقد كرم علم بلادكم . وكان هو الذى أثار اهتمام قمبيز بجمال ابنتك . ولك أن تطمئن الى اننى سأرعى ابنتك « نايتيتس » كما لو كانت ابنتى ، وستجدنى فى عونها دائما ، فان أجنحة النساء فى قصور فارس كثيرة المزالق . على أن قمبيز سيرضى عنها ، وان كان نبنخارى لم يحدثه الا عن « تاخوت » .

— ان « تاخوت » ضعيفة البنية ، لا تحتمل عناء الرحلة ، ولوعة الفراق . ولولا حاجة مصر الى السلام ، ما أرسلت نايتيتس هى الاخرى !

الفصل الرابع مأدبة في القصر الملكي

◆ لبس قصر الملك أحمرس في « سايس » أبهى الحلل ، وازدحمت قاعاته الرجة بالضيوف الفارسيين والحاشية التي صحبتهم - والتي كانت مؤلفة من أكثر من ثلاثمائة شخص - وبالنبلاء وعلية القوم من المصريين ، رجالا ونساء ، من متباين الاعمار ٠٠ وكان « بارثشا » - الامير الفارسي الشاب - ونايتيتس ، ابنة فرعون ، أكثر الحضور تألقا ٠٠ وقامت الملكة « لاديس » زوجة أحمرس - التي كانت تنحدر من الدماء الاغريقية - بتقديم أعضاء البعثة الفارسية الى ابنتها ٠٠ وكان أحمرس قد اختار زوجته هذه بعد موت زوجته الاولى المصرية ، أم ولى العهد « بسامتيك » ، بدافع من شغفه باليونانيين ، رغم معارضة الكهنة ٠٠

وكان لكل من ابنتيه « نايتيتس » و « تاخوت » طابعها الخاص من الجمال ٠ كانت « تاخوت » شقراء ، ذات عيني زرقاوين ، وجسد رقيق ، صغير ٠٠ بينما كانت أختها فارعة الطول ، ملتفة الجسد ، سوداء الشعر والعينين ٠٠

وقال « بارثشا » اذ قدم الى « نايتيتس » : « اننى أحييك كملكتي وأختي ٠ ومن السهل أن أدرك أنك مهمومة لفراق الوطن والابوين والاخ والاخت ، ولكنك خليقة بأن تطرحي عنك الهموم ، فان زوجك - أخى - بطل عظيم وملك قوى ٠٠ كما أن أمنا « كاساندانى » أنبل النساء ، ومثال الجمال والعفة ، حتى ان الفرس يعبدونها عبادتهم لاشعة الشمس التي تمنحنا الحياة ٠٠ »

ثم التفت الى تاخوت قائلاً : « جدير بى أن أسألك أن تغفرى لى كونى قد جئت أسلبك أختك ، وأعز صديقاتك ٠٠ »

وانحنى له تاخوت فى صمت .. ولكن عينيها الزرقاوين
طلتا تتبعانه خلال الحفلة ..



◆ وفى تلك الليلة لم ينعم الملك أحس بالنوم أكثر من ثلاث
ساعات بعد الحفلة ، اذ أيقظه الكهنة الصغار مع صياح الديك
كالعتاد ، فقادوه الى الحمام ، ثم البسوه ثياب الملك ، وساروا
به الى المذبح المقام فى ساحة القصر ليذبح القرايين أمام الملا
من الشعب .. ثم شرع الكهنة يقرأون عليه - كعادتهم -
طرفا من أعمال ونصائح العظماء الذين وردت سيرهم فى
المؤلفات الدينية .. ثم قادوه الى جناحه الخاص ، حيث عكف
على الاطلاع على الخطابات والتقارير الواردة من كافة أرجاء
البلاد .. حتى اذا فرغ ، استدعى ابنه ، الذى أقبل فرقع اذ
تجاوز عتبة القاعة .. وابتدره أحس : « لم أردت مقابلتى ؟
.. ان وقتى محدود ! »

فارتجفت شفتا بسماتيك وقال : « لاسيما بالنسبة لابنك ..
لقد التمسيت سبع مرات أن أحظى بلقائك فلم تسمح الا اليوم ! »
- اننى أحس سبب مجيئك ، ولكننى أبدد هواجسك
بشأن نسب تاييتيس ..

- بل جئت أحذرك من أن سواى يعلم السر .. أى ضمان
يكفل لك ان « فينس » الذى تتركه يغادر مصر ، لن يشى بنا
للفرس ؟

- اننى أثق بصدق حكى على الناس .. ان فينس صديقى
- ولكنه عدوى اللدود ..

- اذن فاحذره أنت ، أما أنا فلا أرى داعيا لأن أخشاه

- انما أخشى على بلادنا .. انك يا أبى قد تكرهنى ،
ولكنك ملزم بأن ترعانى بوصفى العاهل المقبل لمصر .. وان

في سقوطي ضياع الملك من أسرتك ، وخراب مصر .. يجب
 أن تصدقني اذا أكدت لك ان في وسع فينس أن يغدر بمصر
 وخونها مع كل عدو .. وان في صدره لسرا لو كشف لجعل
 صديقنا العظيم أقطع عدو لنا !

- أنت مخطيء .. صحيح ان نايتيتس ليست ابنتي ،
 ولكنها في الوقت ذاته ابنة ملك ..

- حتى اذا كانت ابنة اله ، لن يحول ذلك دون عداء قمبيز
 لك اذا عرف السر ، لأن الكذب أقطع جرم لدى الفرس .. وهم
 يرون أن الخداع عار يتطلب الثأر ..

- أو خيل لك أيها الاحمق انني لم أحسب لكل هذا حسابه ؟
 .. دع فينس يشي بالسر ، فمن أين له البرهان ؟ اذا كنت
 تسعى لأن تشيرني على صديق وفي خدمتي باخلاص ، فاعلم
 انني على استعداد لأن أحميه من نقمتك التي أعرف سببها ..
 انك تبغى أن تقضى عليه لأنه صدك عن أن تفتصب حفيذة
 «رودوبيس» .. مالك شجبت ؟ لقد عينته قائدا بدلا منك
 لأنني وجدتك غير جدير بالمنصب .. فساعدني على أن أحيط
 نفسي بأولئك الذين يسندون عرشي ويقدر «رودوبيس» ..
 - أمعن في اهانتني ماشئت ، ولكن لا تقل ان بلادنا تعتمد
 على الأجانب .. الا انظر الى تاريخنا .. وانظر الى ما صرنا
 اليه ، اذ يدعو الملك بلسانه المشردين والمغامرين من الأجانب
 ليسندوا عرشه ! .. ويسعى لكسب صداقة عنصر غلبناه في
 معارك مجيدة قبل أن يفد الأجانب على وادي النيل

- ان مصر لم تصل من قبل الى ما هي عليه اليوم من
 ازدهار .. لقد أقام رمسيس مجده على اوراق الدماء ، أما أنا
 فقد صرفت الناس الى ما هو أجدى : الى التعمير ، والعمل من
 أجل الرخاء .. ومع ذلك ، فان أي عدو يهاجمنا ، سيجد
 القلاع والسدود ، وسيجد خير جنود حملوا السلاح .. ثلاثة
 آلاف يوناني ، فضلا عن الطبقة العسكرية المصرية ..

- بل ان الترف الذى يعيش فيه الأجانب قد امتص دماء المصريين .. لقد استفحل عتو الاغريق حتى لقد غدوا ينالون من آلهتنا بالسخرية !.. ولقد انشغلت بمعاركك مع الكهنة - وهم خير دعائم لعرشك - بينما كان الفرس يبنون قوتهم ويزحفون من الشرق الى الغرب كجبار مارد يتلعب الشعوب .. حتى غدوا يسيطرون على نصف العالم ، وحتى دانت لهم رقاب الملوك .. وعندما شاءت الآلهة أن تساعدك على انقاذ مصر ، ورغب قمبيز فى أن يتزوج من ابنتك ، اذا بك أضعف من أن تضحي بها من أجل الصالح العام ، واذا بك ترسل الى الملك العظيم بديلة عنها : ابنة مزعومة !

أخذ أحمرس يهتز لفرط الغضب ، ثم صاح : « أيها الابن العاق ، أفتعرف من الذى سيقضى على مصر ومجدها العريق ؟ .. أنت .. الرجل الذى لا يعرف قلبه الحب ، ولا وجهه الابتسام .. لقد خلعت عليك لعنة الآلهة طباعك التعسة .. الا اعرف ما كنت أخفيه عنك : عندما هزمت سلفى أجبرته على أن يزوجنى من أخته .. وفي الليلة التى وضعتك فيها ، رايت فى المنام أنها ترقد على شاطئ النيل ، تشكو ألما فى صدرها ، فأنحنيت عليها واذا بى أرى فى قلبها شجرة أخذت تنمو سريعا ويسود لونها ، وراحت جنورها تلتف حولها حتى قفست عليها .. وفجأة ، هبت الأعاصير ، وأسقطت الشجرة ، فاذا فروعها ترتطم بالنيل ، واذا ذاك غاض ماء النهر ، وتحسول مجراه الى موميا ، والمدن القائمة عليه الى نائحات ناديات .. وقد فسر كهنة معبد آمون الليبى هذا الحلم بأن مولدك سيقضى على أمك ، وان شعبا سيفزرو مصر فى عهدك ، فيحيل النيل الى مقبرة لجثث ابنائه المدافعين عنه ! »

وصاح بسامتيك وهو يئن ويبكى : « كفى أيها القاسى ! .. ثم ستر الشاب وجهه فى طرف ثوبه وخر على الأرض وقد استبد

به الأسى ، فاشفق الاب الشيخ عليه ، وانحنى يقبل جبينه ،
ويستفر اليه عن قسوته ، ويسرى عنه قائلا ان الاحلام كثيرا
تكون كاذبة ، وان المفسرين كثيرا ما يخطئون . ثم سأل ان
يتحنى ما يشاء ليحققه له ، ترضية واسترضاء . . . واذ ذاك اومضت
عين الشاب وهتف في انفعال : « دع لى غريمى » فينس ! »

وفكر الملك برهة ثم قال : « ساجيب رغبتك ، وان حدثنى
قلبي باننى اقدم على عمل سيكون نذير القضاء على ، وعليك ،
وعلى ملكنا ، وعلى كل شئ » ، فترو فى الامر قبل ان تقدم على
شئ . ومهما كانت نيتك نحو فينس ، فلا يجب ان تمس شعرة
من «رودوبيس» ، واحرص على ان يظل مصير فينس على يدك
سرا مكتوما ، لا سيما عن الاغريق . . . والآن لعل من الاصوب ان
تعرف قصة نايتيتس »

واصفى الشاب الى أبيه بكل حواسه . .

الفصل الخامس

ساييس

◆ يهم بسامتيك لفوره صوب معبد الالهة « ينيث » ، حيث
استقبله « نييتوتب » كبير كهنتها العجوز فى ترحاب صادق ،
فقص عليه الشاب ما دار بينه وبين أبيه . . . وفى عطف ، أخذ
الكاهن الشيخ يؤنب بسامتيك على ما جرؤ عليه من اغضاب
أبيه ، وراح يذكره بما للوالد من حقوق ، وبما للدماثة واللفظ
من قدرة على تحقيق المآرب .

وقال بسامتيك : « لقد حدثنى الملك عن نسب نايتيتس . .
ولكن ، كائن بك غير تواق لأن تستمع لى ؟ »
- ان الفضول وذيلة لا تستمرئها سوى النساء . . ثم اننى
عرفت كل ما سوف تقوله ، منذ أمد بعيد . .

— اذن فأنت تعرف من هو الأب الحقيقي لنايتيتس ؟
 — لقد تلوت بنفسى الصلوات على قبر الملك خفرع ٠٠ وكان
 حريا بك أن تعرف أن النجوم الخالدة والكتب الالهية كفيـلة
 بأن توحي لى بالسـر ٠٠ وهى أبدا لا تخدع من يخلص فى فهمها ٠٠
 فشحب وجه بسامتيك اذ تذكر رؤيا أبيه ٠٠ ولمح الكاهن
 المتغير الطارىء فقال : « أراك تفكر فى النذر التى رافقت مولدك
 ٠٠ ولكن الفلكيين الذين أدركوا سوء طالعك ، نسوا أنه قد
 يتحول الى سعد ٠٠ لو ٠٠ لو أنك تناسيت كل شىء ، وعشت
 عمرك للآلهة وحدها ، وأطعت وحيها طاعة عمياء ٠٠

وأقسم الشاب أن يكون كذلك ٠٠ واذ ذاك قال الكاهن :
 — **والآن ٠٠** لو أمكن أن ترجى مصرع فينس فانى أحب أن
 أتحدث اليه أولا ٠٠ لقد وصل بالأمس جنود من أثيوبيا لا يفهمون
 اللغة المصرية ولا اليونانية ، فاذا قادهم شخص مخلص أمكن أن
 يخلصونا من الأثينى ، ثم نردهم الى أثيوبيا فورا ، دون أن يتاح
 لهم أن يدرکوا حقيقة السر !

وما أن بارح بسامتيك الحجرة ، حتى برز كاهن شاب من
 حاشية الملك ، كان متواريا ، وقال : « رأيت يا أبى اننى أجدت
 الاصغاء ، فلم أفلت كلمة مما دار بين الملك والامير ؟ »
 — عد الآن الى القصر ، وأخطرني اذا تبينت أن أحـمس يحاول
 أن يعرقل الاعتداء على فينس !

✱

◆ **فى تلك الليلة زار « كروسيس » ومرافقوه (نوكراتيس)**
 وقضوا سهرتهم فى ضيافة «رودوبيس» ٠٠ أما ابنه جايجس
 والامراء الثلاثة فقد بقوا فى «سايس» اذ أعجبوا بها ٠٠ وراق
 لهم ما كان الملك وزوجته وابنتاه يغمرونهم به من حفاوة واکرام
 ٠٠ وكانت نايتيتس بادية اللوعة ، موجفة القلب خشية الفراق
 والغربة ٠٠ أما « تاخوت » ، فقد كانت لا تكاد تحول عينها
 الزرقاوين عن « بارتشا » الامير الفاتن ٠٠

وخرج الشبان يجوسون خلال المدينة ، فأوفد الملك فى رفقتهم أحد ضباطه اليونانيين المقربين ٠٠ واذ بلغوا الشارع المفضى الى معبد « نيبث » ، وجدوا جمعا امام دار انيقة أغلقت معظم نوافذها ، ورأوا شيخا فى ثوب أبيض - وهو زى خدم المعابد - وقد وقف يحاول أن يصد جماعة من زملائه عن أن ينقلوا صندوقا ضخما من الدار ، قائلا : « من أذن لكم بأن تسرقوا متاع مولاي ؟ » لقد أقامنى مولاي حارسا على الدار حين أوفد الى ملك فارس ، وأوصانى بأن أحرص على هذا الصندوق بالذات ، اذ فيه وثائق تهمة »

فأجابه أحد الخدم الآخرين : « هدىء من روعك يا « حيب » فان « نيبث » الاكبر ، وهو مولى مولاك ، قد أوفدنا » .
 وأزاح الخدم الشيخ العجوز عن طريقهم ٠٠ وضحك « زويرس » الفارسى ، اذ أدرك أن صاحب الصندوق هو الطبيب المصرى الشيخ الذى أوفد لعلاج عيني والده الملك الفارسى ، فجلب على نفسه كراهية الحاشية لمسلكه المتزمت المترفع ٠٠ وود « بارتشما » أن يتدخل ، لولا أن « جايجس » رجاء بأن يتحاشى اقحام نفسه فى توافه كتلك ٠٠ ومن ثم استأنفوا سيرهم ٠٠ وكان الظلام يزحف سريعا ٠٠ وفجأة ، مس غريب يد « جايجس » وهمس فى أذنه بالفارسية : « متى أستطيع أن أراك بنجوة عن الرقباء ؟ » لا تسلىنى ، فلدى معلومات خطيرة ٠٠ اننى فارسى مثلك ٠٠

وبعد ربع ساعة ، التقى ابن « كروسس » بالغريب عند باب منزله من القصر الملكى ، وفى صحبته « دارا » ٠٠ وفى لهجة سريعة متهدجة ، انطلق الغريب يقول :

- اننى ادعى بوبارس ٠٠ وكنت ضابطا فى قوات كورش ملك الفرس حين غزا « ساردس » ، بلد « كروسس » ٠٠ وقد ارتكبت هفوة أغضبت كورش على ، فكذبت ألقى حتفى لولا أن

شفع لى «كروسس» ، فنزحت الى قبرص ، وتعلمت اليونانية
والمصرية ، وحاربت ضد أحصس ، فأسرني «فينس» ، وعينت
بين العبيد فى حظائر خيل الملك .. وقد آن لى أن ارد الى
«كروسس» صنيعه .. فقد علمت أنه الليلة فى ضيافة
«رودوبيس» .. وأعرف أن مركبين محشودتين بالاثيوبيين
قد أقلعتا خلسة لمحاصرة قصر «رودوبيس» واعتقال ضيوفه ،
بتدبير من الامير بسامتيك ..

وجف قلب «جايجس» وهتف : «ما الوقت الذى يستغرقه
الجواد فى قطع المسافة الى نوكراتيس ؟
- ثلاث ساعات ، اذا مضيت دون توان ..
- حسنا ، سأمتطى جواد بارتشا ، وليأخذ بوبارس فرسك
يا «دارا» .. أما أنت فابق هنا واعتذر للملك عن تخلفى عن
مائدته ومجلسه ، وازعم أننى أصبت بصداغ ..



◆ كانت الاضواء تتالق فى قصر «رودوبيس» ، وقد حفلت
موائدها تكريما لكروسس .. وكان بين المدعوين فينس
وزميله الاسبرطى وأريستوماخس
وفيما كان القوم فى سمرهم الطروب ، انبعث صوت فى
القاعة يقول : «اغفروا لى ايها السادة ازعاجى لكم ..
واغفروا لى أيتها الاغريقية النبيلة ان ولجت دارك غير مدعو ..
اننى «جايجس» بن «كروسس» ، وما قطعت المسافة بين
سايس ونوكراتيس فى ساعتين لأمهين !
وأفضى الى الجمع بما لديه ، فهب الرجال وقوفا متحفزين ،
بينما استطرده يقول : «عندما وصلت ، سهل جوادى ..
وتبدى لى بريق أسلحة بين أشجار الحديقة ! .. ولكم أخشى
أن يكون الاثيوبيون قد وصلوا ! »

.. ارتجفت رودوبيس ، فى حين صاح أريستوماخس
متحديا .. واذا ذاك قال فينس : « ما أرى الا أن المصريين



جندول (البندقية) الخالد ، يمرق في احصى فتوانها تحت . جسر
تهبات . الذي كان يعبره المسجونون في عهود الاستبداد قبل ان يصلوا
••••• زئزاناتهم ، فيلقون منه آخر نظرة على الدنيا الخارجية ••••• وتتهلون !



المهرم السقيم الذي أقامه الأمير بطور - كايوس - في إحدى ضواحي روما .
وهو لا يبلغ ربع حجم أصغر الأهرامات المصرية :

سيقتلوننى فى صباح الغد وأنا اتأهب لمغادرة البلاد ، دون
أن يشعر أحد .. ولو أننى بقيت هنا لما رعدوا للبيت حرمة
.. ولست أرى داعيا لاراقة الدماء من أجلى ، »

وفجأة صاح تاجر من احدى جزر اليونان : « وجدتھا ..
لمى سفينة ستبحر مع مطلع الشمس محملة بالقمح ، من
« كنوبس » لا من « نوكراتيس » .. فليستقل فينس جواد
العزسى الى هناك ، وسنفسح له الطريق لمغادرة الحديقة
الآن .. » وتطوع « جايجس » كى يرافق « فينس » حتى يجتاز
نطق الخطر ، فارتدى كل منهما ثياب الآخر ، ثم خرجا الى
الحديقة ، فامتطى الاثنى حصان الفارسى وهو فى ثيابه ،
بينما وقف « جايجس » - فى الزى الاثنى - يودعه صائحا :
« مع السلامة يا جايجس » .. حتى اذا اختفى الجواد وراكبه
فى جوف الظلام ، سار جايجس الى سفينة فينس واستقلها ..
وما أن ابتعدت عن الشاطئ حتى ارتفعت منها صرخات فى
الظلام ، وسمع ضجيج القتال .. وما لبثت أن غاصت فى
هيا .. وكان بعض المهاجمين فى تلك الاثناء قد أسروا
« جايجس » وحملوه الى سفينة ملكية .. ثم انطلقت بهم
مراكبهم عائدة الى « سايس » !

الفصل السادس

الحب الاول

« كانت « سافو » تلعب فى حديقة جدتها « رودوبيس » مع
حازتها « مليتسا » حين أقبل « بارتشيا » يسأل عن صديقه
« كروسس » وابنه .. فأخذت الفتاة بجمال الشاب الفارسى
وابنته .. وهرعت الجارية توقف مولاتها ، فهمت « سافو »
بأن تلحق بها ، لولا أن اشتبك ثوبها بأشواك بعض شجيرات

الورد ، فبادر «بارتشا» الى تخليص ثوبها .. ولم تقو «سافو» على أن تنطق بكلمة شكر ، بل غضت من بصرها مبتسمة في حياء .. ثم تحولت تجرى نحو القصر .. واذا بالامير الجميل ينفض عنه حرج الموقف ، ويلحق بها ، فيمسك بذراعها ، قائلاً :

— كيف أفلتتكم وقد اقتطفتكم من بين الورود ؟ .. ان اسمى بارتشا ..

— بارتشا .. بارتشا .. أتعرف أننى أحب هذا الاسم ؟
— وأنت .. ما أجمل اسمك !

ولم يفلتها حتى فاز بوردة كانت تزين صدرها ، وقدم لها في مقابلها نجمة ماسية كانت هدية يعتز بها كأثر لايه .. وعندما ولجت «رودوبيس» مخدع حفيدتها في ذلك المساء كعادتها ، لم ترها نائمة في طفولتها الساذجة ، بل كانت شفتها ترتجفان ، والزفرات تنبعث من صدرها آسية .. كما لو كانت في حلم محزن !

أما بارتشا ، فقد عاد الى «سايس» وفي قلبه وقدة الحب الاول .. وهناؤه .. وما لبث أن وصل «كروسس» فيمم لفوره الى أحمس ، وروى له كل ما حدث ، ملتصقا رد حرية ابنه الذى اعتقله الاثوبيون في سفينة فينس وهو متنكر في زيه وما أن انصرف كروسس من حضرة أحمس ، حتى استدعى الملك ابنه .



◆ استقبال أحمس ابنه بضحك امتزجت فيه السخرية بالغضب ، فصاح الشاب : « لا تجرح شعورى يا أبت .. لولا مبعوث قممير ما أنقذت قوة ما ذلك اليونانى من الموت .. لذلك أرجو أن تسأل ملك الفرس أن يعاقب الرجل الذى تدخل فى الامر ! »

- بل سأكتفى بأن أحذره من فينس ، خشية أن يكون
حدث قد أوغر صدر الاثنى بحيث يحفزّه على الانتقام
لوشاية واثارة الفرس ضد مصر !

- افهذا قرارك الاخير ؟ ٠٠ اذن فلا تخش فينس وحده ،
بل أخش رجلا آخر فى قبضتنا ٠٠ وأنت فى قبضته !
- أتهددنى يا بسامتيك ٠٠ أنصحك بأن تذكر أنك فى
حرّة ملكك وأبيك !

- لسوف أمضى فى المعركة بأسلحتى الخاصة ٠٠ انك
تعرف أن نينخارى - طبيب العيون - فى قبضتى وأصدقائى
الكهنة ٠٠ لقد أبعدته أنت الى فارس قبل أن يخطر لك أن
قمبيز قد يرغب فى الزواج من ابنتك ، لتقصى عن مصر رجلا
كأن مطلقا على نسب نايتيتس ٠٠ وان أتفه اشارة من الكهنة
كسبة بأن تدعه يطلع الملك على خدعتك حين أرسلت له ابنة
سبك المخلوع بدلا من ابنتك ٠٠ ان كل أوراق الطبيب فى
قبضى الكهنة ، وبينها خطاب بخط يدك الى أبيه تعده فيه
جاء حلقة ذهبية ان كتم عن الكهنة أن نايتيتس ابنة رجل
سواك !

- حسنا ، فما رغباتك ؟

- ان تسال قمبيز أن يعاقب جايجس ٠٠ وان تطلق لى
الحرية فى أن أفعّل بفينس الهارب ما أراه ٠٠ وان تقسم
لكهنة بأنك منذ اليوم لن تسمح للاغريق باقامة معابد لالهتهم
فى مصر .

- لقد وجدتم السلاح الذى يضطرنى لان ارتضى رغبات
العائى الذين انضممت أنت لهم ، ولكننى أتمسك بشرطين :
أن أحصل على الخطاب الذى كتبته لوالد نينخارى ، حتى
لا يستغله الكهنة لاستعبادى ٠٠ والثانية ، أن لا اسال قمبيز
لمرا سخيّا كعقاب جايجس ٠٠ والآن دعنى ولا ترنى وجهك

الا اذا ارسلت في طلبك .. ودع الكهنة يحلون محل الاب لك .. لقد اعتدت من اجل صون عظمة مصر أن أقدم راضيا على كل تضحية شخصية ، أما الآن وأنا أرى الكهنة لايتورعون عن اتهامي بخيانة وطني ، في سبيل غاياتهم ، فسأنظر اليهم كآخطر أعداء لي .. لقد رضخت في هذه المرة ، ولكنني أقسم بالالهة «نييث» أنني لن أحجم في أية مرة قادمة عن أن أضحي بالكهنة كلهم ولا أنزل عن شيء من ارادتي !

وبادر بسامتيك الى كبير الكهنة فأفضى له بما قال أبوه ، ثم أسرع الى قصره ، واذا به يجد أن أباه قد أرسل في طلب ابنه الصغير - حفيد الاب - ومربيته .. وألقى رسالة ملكية كتب فيها أحمس لولي عهده : « أرسلت استدعى ابنك حتى لا يصبح - مثلك - اذا كبر أداة عمياء في أيدي الكهنة وسأشرف على تعليمه بنفسى .. ولا مانع لدى من أن تراه على أن تستأذننى فى كل مرة »



♦ **وعندما أعلن الملك أن نايتيتس ستستكمل استعدادها للرحيل فى خلال أسبوعين ، شعر شبان البعثة الفارسية بأسى لقرب فراق مصر . وكان «بارتشا» أكثرهم حزنا ، اذ كان قد تدله فى هوى «سافو» .. ولم يشعر أحد بما طرأ عليه من تغيير سوى «تاخوت» ، التى كان حب الامير الفارسى الفاتن قد تملكها ، حتى اضطرت الى أن تفتاح أختها ، فشجعته نايتيتس ليتاح لهما أن تعيشا معا .. ولكن «بارتشا» اذ أحس بعاطفة الاميرة الفتاة ، راح يتجنبها ويبدى لها الفتورا .. مما عذب المسكينة فقااست منه الامرين .**

وكم كان الفراق قاصيا على قلبى «بارتشا» و «سافو» .. ولم تخف على «رودوبيس» - وهى المرأة التى عرفت الحياة - حال حفيدتها بعد الوداع ، فما زالت بها فى مساء ذلك اليوم

حتى اعترفت لها بهواها .. وحز في قلب الغانية العجوز أن تقع الفتاة فيما حاولت أن تجنبها عذابه .. وحاولت أن تزعزع قبضة الحب في قلبها ، فلما استبان أن تلك القبضة أثبت من كل محاولاتها ، لجأت الى «كروسس» تستشير .. وفيما هما يتحدثان ، أقبل «بارتشا» يصارح «رودوبيس» بحبه لحفيدتها ، ويرجوها أن لا ترفضه زوجها لها ..
وأمسك كروسس بيده في حنان أبوى وقال له : « ألم أحذرك من الحب مرارا ؟ .. انه نار تحرق ! »
- بل ان لهبه يضيء الحياة ..
- انه يبعث الالم ..
- ولكنه ألم حلو .. يقوى القلب ..

وجاءت «سافو» ، فنهض اليها الشيخ وقبل جبينها .. ثم أهاب بها أن تقترب من بارتشا وأن تمسك بيده .. ووقف الشابان يتأملان وجه «رودوبيس» في ضراعة .. وكانت تبسم والدموع تغمر وجهها .. وهى تبارك جبهما :

الفصل السابع

في بابل

♦ بعد سبعة أسابيع ، شوهد رتل من المركبات على الطريق المفضى من الغرب الى بابل . وكانت نايتيتس تغوص بين وسائد مركبة أنيقة ذات أربع عجلات ، تتبعها خمسون مركبة ، ويحف بها الامراء الفارسيون وملك ليديا المخلوع وابنه على جيادهم ، ترافقهم كوكبة من الفرسان .. واذا بلغت مركبة « نايتيتس » آخر محطة للاستراحة قبل بلوغ المدينة ، تقدم « كروسس » يساعد الاميرة الشابة على الهبوط الى الارض ، ويسألها أن تستبدل بثيابها زى ملكات فارس ، ويشجعها على التأهب للقاء الملك ..

وكانما لم يقو قمبيز على الانتظار ، فقبل أن يبلغ الركب « بابل » ببضعة أميال ، أقبل الملك بوجهه الشاحب تحيط به لحية سوداء كثة ، وتتجلى على ملامحه أسارير القوة والعظمة والكبرياء . وكانت عيناه أكثر سوادا من شعره ولحيته ، تندلع منهما نظرات كأنها لهب حامية . . . ولم تقو نايتيتس على أن تحول عينيها عنه . . . قط لم تر رجلا تتجلى كل معالم الرجولة على وجهه مثله ! . . . وخيل اليها كأنما الدنيا بأسرها - وهي بالذات - خلقت لخدمته . . . واحست برهبة وخشوع وضعف ، فتمنت لو تعلقت به ولاذت بحماه . . . وراحت الحمرة المضرجة ، والشحوب الممتقع ، يتناوبان وجهها ، ونظراته الثاقبة مسلطة عليها . . . ثم قفز عن جواده ولوح بيديه مرحبا ، وهتف وهو يصفح كروسس ويسأله أن يقوم بدور المترجم : « انها لجميلة ، وانها لتروق لقلبي . . . »

وأدركت نايتيتس ما كان يعنى ، فبادرت قائلة فى فارسية ركيكة استمدتها مما كان يلقنها كروسس خلال الرحلة : « لكم أشكر الالهة اذ جعلتنى أحظى برضاك » . . . وهزت الكلمات زهوه فابتسم . . . وبدا له حرصها على الفوز برضاه غريبا ، وهو الذى اعتاد من زوجاته الاخريات البلادة ، والجهل ، والانصراف الى الدس والمكائد . . . ومع ان نايتيتس أجفلت إذ سمعته يتحدث عن « تطهير روحها » بتعليمها طقوس عبادة الشمس لتعتنق دينه ، الا انه لم ينتبه الى ما اعترأها ، وقال لها : « سترشذك أمى كاساندانى الى واجباتك كزوجة لى ، وسأقدمك لها بنفسى غدا . . . وأحب أن يكون اتصالك بالخصى (الطواشى) « بوجس » الذى نصبته على شئون الحريم . . . »

وبادرت نايتيتس قائلة : « قد يكون مشرفا على الحريم ، ولكنى لا أرى أنه ينبغى أن تكون لخلق سواك اميرة على

توجهك .. اننى رهن اتفه اشارة منك ، ولسكننى اميرة من
هذه تبيع لاضعف امرأة ان تشارك اقوى الرجال حقوقه .. وان
هكرية التى تشع من عينيك لتملا صدرى .. ويسعدنى ان
تضحك ، فانت عظيم ، وانت زوجي وصاحب السلطان على ،
وتكن من المستحيل ان انصاع لمخلوق ناقص الرجل .. عهد
احترى بالمال !

ودعنى قمبيز لروحها ، وازداد رضاه عنها ، فوعدها بان
يخصص لها مقرا غير الحريم ، لا يكون الامر فيه لسواه ..
يسألها عما اذا كان مبعوثوه قد ارضوها ، فهتفت :

— منذ الذى يعرف كروسس النبيل ولا يحبه ؟ ومن يملك
من الاعجاب بخلال اصدقائك الابطال ، لا سيما
بارتشا ، اخوك الجميل الذى ملك كل القلوب ، والذى
كسب اعجاب المصريين على نفورهم وتوجسهم من الاجانب !
وتجهم وجه الملك فجأة ، فلكن جواده فى قسوة جعلته يقفز
فيسبق الركب الى بابل .. وكانت الحشود مجمعة خلف
ابواب المدينة ، فقابلت الملك وعربة عروسه بصيحات فرحة
اطلعت الى هتاف بلغ عنان السماء حين بدا « بارتشا » ، فتم
عن مدى محبة الناس للامير الشاب الجميل !

وبلغ الركب قلعة الملك ، ثم تقدمت عربة العروس الى قصر
تصغر ، يشرف على الفرات .. واصطف عليه القوم والامراء
حول قمبيز ريشا تهبط نايتيتس .. وفجأة ، اخترقت
الصفوف فتاة اقلت بنفسها بين ذراعى بارتشا وهى تبكى
وتضحك وتقبله .. وهتف قمبيز مبتسما : « استحيى
يا آنوسا ! .. انك لم تعودى طفلة ، وخليق بأميرة مثلك الا
تنسى الحشمة ولو كانت مشوقة الى أخيها .. والان عودى الى
أمك ، وانبئها باننى قادم لفورى مع بارتشا »

وغامت على وجه الملك سحابة وهو يقول لبارتشا بعهد
انصراف اختها : « تعال الى أمنا ، فقد سالتنى أن أقودك

اليها بمجرد وصولك .. كل النساء لا يرتاح لهن بال حتى يرينك .. ولقد أنبأتني نايتيتس أن شعرك الذهبي وخديك المتوردين فتنت نساء مصر ! »

— أو تعنى أن ليس لى من فضائل سوى جمالى ؟ .. سأسألك أن تتيح لى الفرصة لأثبت اننى لا أقل رجولة عن أى فارسى ! — هيا .. اننا على وشك الحرب مع « المساجيتيه » اليونانيين الذين أردوا والدنا .. فهناك فرصة ..

وان هى الا دقائق حتى كان بارتشا بين أحضان أمه العمياء ، تضمه فى لهفة وشوق ، وتتحسس شعره ووجهه .. وتدلله بأعذب الكلمات .. وكان مثل هذا المنظر يبعث فى قلب قمبيز ألما خفيا موجعا .. كان — بوصفه الابن الأكبر لأبويه ووارث الملك — قد درب على الخشونة من حدائته .. ثم ان الشعب كان يرهبه وهو « قمبيز الجبار » فيخشع له .. أما بارتشا فكان « محبوبا » دون مارهبه، سيما وأنه كان شديد الشبه بأبيه كورش .. وما كان قمبيز ليكره بارتشا ، وانما كان يسوؤه أن لا يمتاز الشاب ببطولة وأعمال تبرر حب الناس له .. لكنه فى هذه المناسبة ، وبعد ما سمعه من اطراء نايتيتس لبارتشا ، استشعر غيرة أكربت نفسه .. فلما انصرفا من الحريم قال لبارتشا : « لقد سألتنى فرصة تتيح لك أن تثبت رجولتك .. ان عشائر « تابورى » قد أعلنت التمرد ، فأوفدت جيشا الى حدودها .. فالحق به وتول القيادة ! »

ورحب الشاب بالفرصة ، والتمس من أخيه أن يسمح لاصدقائه دارا وجايجس وزوبيرس بأن يصحبوه ، فلما أجاب قمبيز سؤله ، عاد يقول : « هل تحقق لى أمنية فى نفسى ، ان قدرت لى الآلهة أن أعود مظفرا ؟ »

وتمضت عيناه اذ أكد له الملك رجاءه - فقد كان يفكر
 « مافو » ! - لكنه انتبه فجأة على صوت قمبيز يقول :
 - لقد بلغت العشرين وخليق بك أن تتزوج .. ويقال ان
 « كسانه » ، ابنة النبيل « هيدرانس » بارعة الجمال ،
 « عن نبل محمدها .. وعن أنها أخت « دارا » أعز
 « صفتك !

وحاول بارتشا أن يصد أخاه عن التفكير في زواجه ، ثم
 حاول يتوسل ويلحف أن يعفيه من العروس التي يريد أن
 يوجه اياها .. ثم انتهى قائلا : « والآن ، وداعا ، فسأرحل
 حزين منذ الغد .. هل تسمح لي بأن أودع نايتيتس بعد
 « فودع أمي وأختي ؟ »

وعض قمبيز شفته ، وراح يتفرس في أخيه بنظرة ثاقبة ،
 وقد أوحى اليه خياله أن يربط بين الحاف أخيه في ارجاء
 التفكير في زواجه ، وبين الغيرة التي ثارت في فؤاده هو
 حين أطرت نايتيتس بارتشا ! .. وهجس الريب في نفسه
 عن أخاه أحب عروسه الجديدة .. فقر عزمه على أن يرسله
 في مكان لا ترتقب له منه عودة .. اذا هو اعترض طريقه !

وفي تلك الليلة ، أمر قمبيز الخصى « بوجس » بأن يفرد
 المصرية الجناح الذي كانت تشغله ثانية زوجات أبيه كورش ،
 في القصر المقام بالحدائق المعلقة ، وأن يعاملها باحترام ، ولا
 يحرض عليها شيئا من أوامره ، ثم قال له : « واحرص على أن
 لا يقابلها أحد - ولا كروسس - حتى أصدر اليك أوامر
 أخرى ! »

- لقد كان كروسس معها اليوم ، وكانا يتحدثان باليونانية ،
 مع أفهم من حديثهما سوى اسم بارتشا وقد تردد مزارا ..
 وكانت المصرية بادية الحزن ، ولعلها تلقت أنباء سيئة ..
 فلولاه الملك ظهره وهو يسبه صاحبا ..

الفصل الثامن

غيرة... وتآمر!

◆ قضى الملك ليله مسهدا ، لفرط الغيرة التى زادت من رغبته فى أن يحظى بالعروس المصرية - اذ كانت التقاليد الفارسية تقتضى مرور عام قبل أن تغدو زوجه الشرعية ! - ولكنه ما لبث أن عقد العزم على أن يخفض المدة الى شهور أربعة .. وأن يغير القانون والتقاليد ، بما له من سلطان .. وأحس بسأم واشمئزاز نحو زوجاته الاخريات .. حتى « فيديمه » ، ابنة خالته وأكثر زوجاته حظوة لديه قبل أن يرى نايتيتس التى بدت له أنبل وأرفع من كل النساء طرا ! .. لقد استهوت قلبه فقرر أن يبوئها من نفسه ما كان لأمه لدى أبيه من مكانة ، فتكون ملكته الحقيقية وصاحبة الشورى لديه ! وبدورها قضت نايتيتس هى الاخرى ليلة كئيبة .. وتولاها الحنين الى وطنها ، والى أختها المسكينة « تاخوت » .. كما فكرت فى « بارتشا » الذى أنبأها كروسس بأنه ذاهب الى القتال .. ومن يدري ؟

وواتاها النعاس أخيرا .. فرأت فى المنام « قمبيز » على صهوة جواده الاسود .. وأجفل الجواد اذ رأى جثة بارتشا تعترض طريقه ، فألقى براكبه على الارض وجره الى النيل الذى فاض بسيل من الدم القانى ! .. وصرخت الفتاة فاذا الاهرامات تردد صرختها .. ثم استيقظت مفزوعة فجرت الى النافذة ، واذا الحدائق الغناء تستلقى وادعة فى أحضان القمر .. وفجأة ، لمحت شبحين يتسللان من المبنى الذى خصص لها .. وعرفت فى أحدهما الخصى « بوجس » .. أما الآخر فكان لامرأة فارسية جميلة ، كانت تسأله ملهوفة :

- احقا ان في وجود هذه الغريبة خطرا على مكانتي ؟
 - اجل .. انها لا تتلقى منى أوامر ، بل تتلقاها من الملك
 واسا .. لسوف تحتاجين الى معونتي يا عصفورتي .. وعندما
 يرحل كروسس البغيض ، سندبر لها شركا !

وارتدت نايتيتس عن النافذة فى شمم صامت وقد بدأت
 تعرف أعداءها .. وداخلها فرح اذ أدركت مكانتها لدى قمبيز ،
 فتولاها يقين غريب بأنها ولا بد منتصرة على كل من يريد بها
 شرا ..

وزاد من غبطة نايتيتس أنها وجدت من الاصدقاء من يعوضها
 عن الاعداء .. فلقد وقعت من نفس كسانداني ، أم الملك
 العمياء ، أحسن موقع .. كما أحببتها أخته « أتوسا » ..

وعهد الملك الى كروسس بأن يشرف على تلقين عروسه
 العادات والدين واللغة الفارسية .. وقبلت الفتاة على مضض
 أن تتعلم الدين الجديد ، حين أقنعها كروسس قائلا : « اذكرى
 دائما أن لا الآلهة المصرية ولا الفارسية ولا اليونانية تحكم
 العالم ، وانما تحكمه قوة واحدة ، لا تتجزأ ، هى التى توجه
 مصائر الامم والمخلوقات ، وان كنا ندعوها بأسماء مختلفة ،
 ونصورها فى أشكال متباينة .. »



♦ وأصبحت « كسانداني » بمثابة الام و « أتوسا » بمثابة
 الأخت لنايتيتس .. كما كان الملك يزداد كل يوم بها اعجابا ،
 ولها تقديرا .. ورويدا ، تحولت رهبة نايتيتس من الملك الى
 حب أخذ ينمو ، حتى غدا مشبوبا ..

وذوى نفوذ الخصى « بوجس » ، اذ لم يعد الملك يتردد على
 « الحريم » - مملكة العبد - وكان حريا بالعبد أن يجسد فى
 « فيديمه » - الزوجة الاثيرة المهجورة - حليفا ، فراحا يتآمران
 سرا ضد غريمتهما المشتركة نايتيتس !

وقدر لبارتشا أن ينتصر ، وأن يعود مظفرا ، فتلقته الجماهير في حفاوة رائعة .. كما تلقاه قمبيز في ابتهاج ، وصحبه الى أمهما كسانداني لدى وصوله ، وكانت نايتيتس في حضرتها - فقد اطمأن الملك الى حب الفتاة له ، وشاء أن يظهر لبارتشا أنه يثق فيه ، سيما وان الحب مسح باللطف على خشونته ، وبث الرحمة في فؤاده ..

وحان عيد ميلاد قمبيز ، فاذا بابل تزخر بالامراء والنبلاء ، وقادة العشائر وحكام الولايات والمستعمرات ، وقد جاءوا بالهدايا والقرايين .. وكان هذا العيد خير فرصة كي يصارح بارتشا أخاه بالامنية التي سألته أن يحققها له لو عاد مظفرا .. فسعى الى أمه أولا يكشف لها عن قلبه .. وكان كروسس قد مهد له الطريق لدى أمه ، التي لم يكن يكدرها سوى أن قمبيز لم ينجب أولادا ، وان أى ابن ينجبه بارتشا من زوجة اغريقية لا يمكن أن يلي العرش !

وفى تلك الاثناء ، قدر للسعادة التي بدأت تسيطر على نايتيتس أن تتبدد حين تلقت من « أمها » المزعومة « لاديس » - زوجة « أحمس » - خطابا طار قلبها شعاعا لما حواه من أنباء : فلقد خبا ضوء عيني أحمس في نفس اليوم الذي وصلت فيه الى بابل ، كما أن تاخوت أصيبت بمرض قاس ، واشتد بها الهزال حتى أشرفت على الهلاك ، من جراء حبها لبارتشا وما يملكها من ياس .. وهكذا سيطرت سحب النحس على بيت أحمس ، وأصبح بسامتيك يدير شؤون الدولة نيابة عنه ، بمعونة نييتوتب كبير الكهنة !

وأحزنت هذه الانباء « نايتيتس » فظلت تبكي حتى خارت قواها ودهمها النعاس .. ولم تستيقظ في الموعد المعتاد من الصباح . وأشفقت عليها وصيفتها « مانداني » فلم تشأ أن توقظها ، وهبطت الى الحديقة في انتظار يقظتها .. وإذا بهـ

تتغنى بالخصى « بوجس » وقد أقبل يحمل إليها نبأ سارا : فلقد
 كانت « مانداني » تهوى « جاوماتا » شقيق الكاهن الأكبر
 « خيزوبستس » ، فلما كشف الكاهن الأمر رأى فيه خطرا يهدد
 مملكته ، إذ كان يرجو أن يزوج أخاه من إحدى بنات الأسرة
 الحاكمة ، كي يرقى على أكتاف هذا الزواج إلى حكم البلاد في
 قريته غياب قمبيز في الحروب ، لذلك أقصى أخاه بعيدا ،
 وصلى حتى ألحق « مانداني » بالخدمة في القصر الملكي حتى
 يسب غرامهما ! .. لكن « بوجس » فاجأ الفتاة في ذلك اليوم
 بأنه يحمل لها رجاء من حبيبها - الذي كان في جمال بارتشا ،
 بل كن شديد الشبه به - كي تلقاه في الحدائق المعلقة في
 ليلة التالية .. ووعدها بأن يقصى الحراس حتى يخلو لهما
 الحرة اللقاء !

وإذ فارقتها ، يعم شطر كبير البستانيين فأخطره بأنه سيحضر
 بعض النبلاء ليريهم بعض الزهور النادرة التي كان البستاني
 يرمو باستنباتها .. ثم ذهب إلى « الحرير » ليأمر زوجات
 الحاشية بأن يتخذن أبهى زينة .. ولكنه أصر على أن تبدو « فديمه »
 في أبسط المظاهر ، ليشير بذلك أهلها وأقاربها في مأدبة
 الحناء التي أقامها قمبيز بمناسبة عيده .. واما « فديمه »
 فتمرها بأن تنحنى في خضوع أمام المصرية حين تلتقى بها في
 مأدبة .. حتى يوغر صدور أهلها ضد غريمتها !

الفصل التاسع

الكأس المسمومة

♦ كانت نايتيتس وآتوسا نجمى المأدبة اللامعين .. وصح
 به توقعه الخصى الخبيث ، فان جميع أبناء عشيرة « أخيمنديه »
 - التي كانت « فديمه » تنتمى إليها - ساءهم ما تبدى على هذه
 من ذلة وصغار !

واذ فرغ الجميع من الطعام ، وشربوا نخب الملك ، التفت هذا الى أخيه بارتشا يسأله عن الأمنية التى سأله أن يحققها اذا عاد مظفرا من الحرب . . وصارحه الشاب بحبه لسافو ورغبته فى الزواج منها . . وابتهج قمبيز اذ تبين أن شكوكه فى أخيه كانت خاطئة ، فوعده بأن يوفده بعد أيام ليحضر عروسه . . وما أن سمعت « نايتيتس » ذلك ، حتى تذكرت أختها وتعاستها ، فأغمر عليها !

وقفز قمبيز وقد شحب وجهه حتى صار كوجوه الموتى . . واذا أفاق نايتيتس ، تطلعت الى وجه قمبيز فى اعتذار وتوسل ، ولكن مخاوف الجبار كانت قد تاججت ، فصاح فى الخلم أن يعودوا بالنساء الى « الحريم » . . وقال لنايتيتس وهى تنصرف : « طيبى نوما أيتها المصرية ، وسلى الآلهة أن تهبك الفسوة كى تسيطرى على عواطفك . . الى بنبيذ . . بل ذوقوه أولا ، فأننى لأول مرة أخاف السم . . أسمعنين يا مصرية . . أجل ، فكل السموم ، وكل الترياق ، تأتى من مصر ! »

وصدرت الاوامر الى « بوجس » بأن لا يسمح لأحد - ولو كان أم الملك أو أخته أو كروسس - بدخول الحدائق المعلقة حيث قصر نايتيتس . . بينما تابع قمبيز الشراب ، وهو يفكر فى عقاب للمرأة التى خالها تخدعه !

وفيما هو منصرف ، رأى « بوجس » فى نزاع مع صبرى كان يحمل رسالة زعم أن نايتيتس أمرته بأن لا يسلمها لغير الامير بارتشا . . وركع الصبرى اذ رأى الملك ، فانتزع هذا منه الرسالة ، ثم دق الارض بقدمه غاضبا اذ ألفاها كتبت باليونانية التى لا يعرفها . . وأمر الحصى بأن يشدد الرقابة على المصرية وأنذره بأنه سيقضى عليه لو أن انسانا أو رسالة نفذت اليها فمنذ اللحظة غدا مستولا عن الحدائق المعلقة كلها !

وزعم بوجس أنه محموم ، ثم التمس من الملك أن يعين رئيس « الطواشى » بدلا منه ، ولو ليوم واحد يتمالك فيه صحته

قيل الملك أن يتولى « كانداولس » - زعيم الخصيان - الحراسة في الغد ٠٠ واذا ذاك قال « بوجس » انه كان قد وعد خمسة من النبلاء - بينهم كروسس - بأن يريهم الزهور النادرة التي ستبنت في الحدائق أخيرا ، فسمح الملك بأن يتولى « كانداولس » عنه مهمة مراقبتهم ، على أن يعلم أن حياته متضيع لو أن أحدا منهم اتصل بالمصرية !

✱

♦ وانتهى الصيد والقنص ، فدعا بارتشا أصدقاءه : « دارا » و « زوبيرس » و « جايجس » الى كأس للوداع قبل رحيله الى مصر ٠٠ وفيما هم منتشون بأحاديث الهوى والمخاطرات ، اذا « كروسس » يفد مضطربا ، فيهتف ببارتشا : « أو ما زلت هنا ؟ ٠٠ بادر الى الفرار ٠٠ ألا تعرف طباع قمبيز الهوجاء ، وتغيرته منك ؟ ٠٠ فكيف سولت لك نفسك أن تزور ليلة أمس توجته المصرية ؟ »

- أزورها ؟ ٠٠ اننى لم أبرح هذا البستان !
 - لا تلجأ الى الكذب ، ولذ بالفرار ٠٠
 - لست أكذب ، ولن أفر !
 - انك غر مفتون ٠٠ لقد رايناك بأعيننا قبل ساعة في الحدائق المعلقة ؟

واقسم الشاب في حرارة جعلت الشيخ يصدقه ٠٠ وقبل أن يجد للأمر تفسيراً ، أقبلت ثلة من الجنود بقيادة ضابط كن تحت امرة بارتشا في الحرب ، فأنبأه بأنه مكلف بأن يلقي القبض عليه وعلى كل من معه ، ولكنه يدع لهم فرصة الفرار ، ولو دفع حياته ثمنا لذلك ! ٠٠ وأبى بارتشا ٠٠ فلقد كان بريئا ، وكان يعرف نزع أخيه في ساعة الغضب ، ولكنه كان يوقن من عدائته اذا ما هدأت سورتة ٠٠ ولم يكن أصدقاؤه أقل شجاعة منه ، فأبوا أن ينفصوا عنه ، رغم ما كان يتهدهدهم من خطر !

الفصل العاشر

حكم بالاعدام

◆ لم تنقض ساعتان حتى مثل بارتشا وأصدقائه أمام الملك، الذى كان قد تغلب على الغضب الجامح الذى تملكه حين أفضى اليه « بوجس » بأنه ذهب - رغم مرضه - ليتفقد الحقائق ، فلمح بارتشا الى جوار نافذة نايتيتس ، وما لبثت هذه أن أشرفت من مخدعها .. وكان كروسس وبعض النبلاء يشاهدون الزهور النادرة ، فنادى الشيخ على بارتشا ولكن هذا لاذ بالفرار بين الاشجار .. ولم يملك النبلاء أن يكذبوا رواية الخصى ، وان كان كروسس قد قرر أنه ربما خدع بشخص شديد الشبه .. فشحب وجه « بوجس » لسماعه هذه الكلمات ..

على أن أصدقاء بارتشا أكدوا أنه لم يبرحهم طيلة الامسية ، وانهم جميعا كانوا فى القنص .. وراح قمبيز يتأمل الوجوه بنظرات ثاقبة محاولا أن يستشف الحقائق ، ولكنه لم ير ما يفسر هذا التناقض الغريب .. بينما هتف بارتشا :

- ما كان لابن من صلب كورش أن يكذب .. ولو أن كل شعب فارس هب يتهمك بأنك ارتكبت سوءا ، وقلت لى انك لم تفعل ، دون ما قسم ، لصحت فى فارس بأسرها أكذب شعبها لأن ابن كورش لا يقدم على الكذب .. أقسم لك اننى برى ، ولم ألق الحقائق المتعلقة مذعدت من ميدان القتال !

اذ ذاك لانت قسمات وجه قمبيز ، وبسط يده لآخيه .. وفى تلك اللحظة أقبل خادم فقدم للملك خنجرا وجد تحت نافذة نايتيتس .. وتأمل قمبيز الخنجر ، ثم امتقع وجهه .. وما لبث أن التفت الى أخيه فى غضب وصاح : « هذا خنجرك أيها الكاذب .. اقبضوا عليه وكبلوه بالاعلال .. ستعلم واصدقاؤك

الشقاء غدا .. وستضرب المصرية بالسياط في الظهيرة على
مراي من الملا في الطرقات ..
ثم تولته نوبة الصرع ..

وكانما كان القدر مصرا على أن يورد المساكين أبشع مصير ،
 فقد عرض قمبيز الخطاب الذي كتبته نايتيتس باليونانية على
 كروسس ، وأمره بأن يقرأه عليه .. فاذا به يتضمن هذه
 العبارة : « لدى أمر هام أريد أن أفاتحك به ، ولا يمكن أن أفضي
 به لخلق سواك .. أرجو أن أراك غدا في جناح أمك .. في
 بيت مواساة قلب محب حزين ، وادخال الفرحة عليه قبل
 موته .. » وحاول كروسس أن يشفع لكاتبة الخطاب لدى
 الملك ، فاذا به في سورة الغضب يأمر بأن يكون مصيره مصير
 الآخرين !



• هرت بنايتيتس ساعات حافلة بالشقاء ، فقد باتت سجيناً
 في مخدعها ، تحت حراسة « بوجس » الذي أنبأها في شماعة
 سخرة بأن خطابها وقع في يدي الملك !
 وراحت المسكينة في غيبوبة من الأسى .. واشتد بها
 القنوط حين أقبل بوجس مع عبيدين آخرين فكبلوا يديها
 وساقوها بالأغلال ! .. وفي لوعة الجزع قرأها على أن تتناول
 سما يقضى عليها قبل أن تتعرض لمهانة الأعدام .. وشرعت
 تحورها تكتب خطاباً لقمبيز ، على الرغم من أصفادها ، وقد
 دبرت الأمر بحيث لا يتسلم الملك الخطاب حتى تكون هي قد
 تحطت أنفاسها .. وفعلوا كتبت تقول : « أؤكد لمولاي أنني أحبه
 أكثر من حبي للآلهة ولحيياتي .. فلتحسن « كسانداني »
 و « أنوسا » بي الظن ، إذ أن خطاب أمي كليل بأن يثبت براءتي
 ويؤكد أنني ما رغبت في رؤية بارتشسا إلا من أجل أختي
 أنباسا .. أنني ارتكبت جريمة قتل نفسي ، لآحول بينك
 يا قمبيز وبين عمل ظالم تلاحقك جريته ! »

وعهدت بخطابها وخطاب أمها - زوجة أحمس - الى وصيفتها مانداني كي تسلمهما الى قمبيز بعد أن تلفظ أنفاسها .. ثم ركعت واستغرقت في صلاة حارة لالهتها الأصليين .. آلهة الفراهنة .. وحين فرغت منها أطلت على الكون ، فاذا الفجر ينبثق .. وظلت سارحة الطرف ، شاردة الذهن ، ثم أحست بالخور والوهن يغلبانها ، وتهاكت على أريكة قريبة .. فغشيها النعاس ، ولما تمس السم !

ووقفت مانداني ترقبها وقد أخذ ضميرها يستيقظ .. وخفق قلبها أسي للشابة المظلومة ، المهينة الجناح .. وانتهى بها التفكير الى أن اعتزمت الاعتراف بأن حبیبها - الذي كان شديد الشبه ببارتشا - هو الذي كان في الحقائق المعلقة في الليلة السالفة !

كذلك قضى « بوجس » ليلة مسهدة ، وقد طردت نشوة الظفر كل أثر للنعاس عن جفنيه .. أما « فيديمه » - زوجة قمبيز المهجورة - فقد أرقتها لهفة الى معرفة ما دبره حليفها الخصى ، الذى بادر الى مخدعها في ساعات الصباح الباكرة يداعبها مزهوا ، ويصف في شماتة موكب العار .. عار المصرية اذ توضع على ظهر حمار يطوف بها فى الطرقات حتى ينتهى الى ساحة الاعدام !

ومضى يروى لها خطته التى نفذها : كان قد فطن الى غيرة قمبيز على عروسه من أخيه ، فعول على أن يستغلها .. وكأنما شاء القدر أن يساعده فأرسل اليه « جواماتا » - شقيق الكاهن الأكبر - اذ وفد على بابل مع الوافدين فى عيد الملك ، فراع ما كان بينه وبين بارتشا من شبه .. واذا ذاك وافته الخطة ، فقد منى هذا بأن يجمع بينه وبين « مانداني » ، العبيبة التى حرم منها .. وأخفاء فى داره زيادة فى الحيلة ، وقد اعتزم أن يذهب به الى الحقائق المعلقة - من مدخل سرى -

فى نفس الموعد الذى دعا فيه كروسس والنبلاء كى يشاهدوا
الزهور النادرة ، ثم يتعمد أن يرسله الى نافذة مخدع نايتيتس
تثناء وجود النبلاء على مقربة من المكان ، فاذا خرجت اليه
وصيقتها « ماندانى » خيل اليهم انهم يشاهدون لقاء بين
نايتيتس وبارتشا !! ومرة أخرى ، بدا القدر فى عونه ،
ففضى على نايتيتس بأن تقع مغشياً عليها فى المادبة حين تحدث
بارتشا عن زواجه من « سافو » .. وبأن يظفر الملك بالرسالة
التي كتبته للامير الشاب كى يستجيب لغرام اختها الملتاعة
باخوت !

الفصل الحادى عشر شاهد جديد

♦ لم تكن قد بقيت سوى سويوعات قلائل على موكب
العار ، فزحرت طرقات بابل بالناس .. وفجأة ، وفدت على
باب « بعل » مركبة أنيقة جلس بداخلها رجل مليح فى
الخمسين من عمره فى ثياب رجال البلاط . وصاح الحوذى
فى الجنود الواقفين لدى الباب : « افسحوا الطريق والا ندمتم
على أى تأخر يضطر اليه مولاي ! »
وما ان بلغت المركبة قصر الملك حتى هبط الراكب ، فاذا
به يونانى أقبل يرجو لقاء الملك ، زاعماً أنه أوتى ما يبرىء
ساحة الموشكين على الموت !
وصاح قمبيز : « دعوه يأتى .. ولكن ، ليذكر انه سيدفع
رأسه ثمنا ان كان يبغى خداعى ! »
واخذ قمبيز بمظهر الاغريقى ومسلكه ، فتلاشى توجسه
.. ثم ذهبت عنه الريبة حين تبين ان الرجل لم يكن سوى
« فينس » الذى ذاع صيته كقائد للجنود الاغريق فى خدمة
فرعون مصر .. وحين علم انه جاء يعرض عليه خدماته !

ومضى الرجل قائلاً فى فارسىة ركيكة : « صحيح ان ثمة أمرا آخر جئت الى فارس من أجله ، ولكننى أرجئه الى وقت آخر . » أما اليوم . . . »

ولم يشأ الملك أن ينصت ، فقد كان متعجلاً يريد الخروج للقنص ، اذ كانت هذه عادته اذا أراد أن يسرى غضبه . . . بيد أن «فينس» استطاع أخيراً أن يقنعه بالاستماع الى قصته : ففهما كانت مركبته تقترب من بابل ، قبيل منتصف الليلة السالفة ، سمع صرخات مرتاعة ، فأنطه ، وتبين ثلاثة أشقياء شرسى المظهر ، يجرون شاباً الى النهر . . . وجرت الدماء فى عروقه ، فتصدى لهم ونازلهم ، واستطاع أن يقتل أحدهم . . . واذا ذاك فر زميلاه . . . وانحنى «فينس» على الشاب الذى كاد يذهب ضحية ، وشد ما كانت دهشته اذ وجد أنه لم يكن سوى « بارتشا » الذى كان قد تعرف اليه فى بلاط فرعون . . . وحمله الى أقرب محطة فى الطريق ، فضمده جراحه ، وعنى به حتى أفاق من غشيته . . . وكم كان عجب «فينس» اذ علم منه انه لم يكن بارتشا ، وإنما . . . أخ كبير الكهنة . . . ومضى «فينس» قائلاً :

— وعادته الحمى من جديد . . . وبدأ من هذيانه أن الحقائق المعلقة كانت تشغل باله . . . وانه نجا من خطر شديد . . . وانه التقى فى الحقائق بامرأة تدعى «مانداني» . . . وهتف قميز : « مانداني . . . ان وصيفة ابنة أحمس تحمل هذا الاسم ! »

وأخذ الاغريقى الى التفكير لحظة ، ثم قال : « أطلق مسجونيك يا مليكى ، فانى أضع رأسى ضمانة لأن بارتشا لم يكن فى الحقائق المعلقة ! »

وكان الملك يصغى فى دهشة . . . لم تسؤه جرأة الاثينى ، بل أطال التفرس فى وجهه ، فاذا به يزداد اطمئناناً الى ~~صدقته~~

وصراحتة ونبله .. وابتنس « فينس » أخيرا ، وسأله أن يسمح له بأن يسأل رجال بلاطه عن بعض معلومات تساعد على اظهار الحقيقة .. وفيما كان يفعل ذلك ، استدعى الملك قائد حرسه وسأله عما يفعل المسجونون ، فأجابته : « النصر للملك ! » انهم ينضرون الموت في هدوء ، فليس أحلى من الموت في سبيل رصائك .. ولولا خوفا من نقمة مولاي ، لقلت انك لو سمعت .. يتبادلون من حديث لما تمالككت أن تؤمن ببراءتهم ! »

والتمس « فينس » من الملك أن يستدعى كبير الكهنة و « مانداني » ، ثم تولى بنفسه سؤالهما : فأقر الاول بأن له أخا يشبه بارتشا ، وأنه كان قد أقصاه ليسلو هوى « مانداني » .. وعرفت هذه باللقاء الذي جرى في الحداثق المعلقة على يدي « بوجس » .. ثم انطلقت في حرارة تروى ما كان يبدو من مولانها من حب لقمبيز ، حتى انها لتردد اسمه لنفسها في حرمها ويقظتها !

وأرسل الملك يدعو « بوجس » ، فاذا الخدم لا يعثرون له على أثر ! وغضب الملك فأمر بأن يساق اليه في الصباح التالي ، كيما كان الامر .. ثم أمر باطلاق سراح المعتقلين جميعا .. ونهض فسار الى جناح أمه التي لم تكف في تلك الاثناء عن لأرسال في طلبه كي يذهب اليها ..

كان الاسي يسيطر على جناح أم الملك ، فان كسانداني حين علمت بما تضمنه خطاب نايتيس لبارتشا آمنت بغياتها ، وحملتها جريرة مصير ابنها ورفاقه .. أما « أتوسا » فقد جن جنونها للموت المعلق على عنق أخيها الاثير ، فراحت تشق ثيابها ، وتقطع شعرها ، وتسب « قمبيز » ، ثم راحت تصل للالهة وتسكب الدمع مدرارا .. وحاولت أن تحمل أمها على أن تصحبها الى الحداثق المعلقة ، لتستبين حقيقة موقف نايتيس ، ولكن اصرار الأم على الرفض زاد من هياجها ، حتى اضطرت كسانداني الى أن تأمرها بأن تلزم مخدعها ..

وأقبل أخيراً رسول من كروسس يحمل للملكة الأم بشرى إطلاق سراحه وبارتشا وأصدقائه ، وبراءة نايتيتس . فبادرت كسانداني الى استدعاء نايتيتس . وهرعت أتوسا الى الحديقة ترتقب محفة صديقتها في لهفة . ولم تكد تراها وقد عراها شحوب الموتى حتى انفجرت باكياً ، وراحت تعانقها وتقبلها . ولم تكدمصرية تبلغ حجرة أم الملك ، حتى كانت فاقدة الرشده . وعندما فتحت عينيها ، وجدت رأسها مسنداً الى حجر الملكة العمياء ، بينما كانت شفتا أتوسا تلتصقان بجبينها ، وقمبيز يقف مطلاً عليها . فابتسمت اذ عرفتهم ، ثم غمغمت في لهجة خلّت من اللوم وزخرت بالأسى : « كيف ظننت بى الظنون يا مليكى ؟ » . فهمس فى ضراعة : « اغفرى لى ! » ودفعت اليهم بخطاب أمها ، وهى تهمس : « لا تسخروا من أختى ، فان المصرية اذا أحبت لم تتحول عن حبها . ولكننى خائفة . ان النهاية تقترب . ذلك البغيض « بوجس » . أخبرنى بحكم الاعداء وموكب العار . فتناولت السم ! » ولم يقو الطبيب على شئ ، فقد كان السم الذى تناولته زعافا ، لا ترياق له . وصرخ الملك مهتاجاً : « بل يجب أن تعيش . ادعوا أطباء بابل جميعاً . والكهنة طراً . يجب أن تعيش ! »

وفتحت عينيها وكأنها تحاول اطاعة رغبة الملك . وتطلعت اليه طويلاً ، وهو يلصق براحتها شفثيه المحمومتين ، وتمتمت : « يا لها من سعادة ! » . ثم راحت فى بحران الحمى .

الفصل الثانى عشر

غزو مصر . .

♦ أخفقت كل المحاولات فى انقاذ حياة نايتيتس . وعصف الحزن بقمبيز لوفاتها ، فراح ينشد السلوى على طريقته : بالغزو والفتح والقتال !

وأضاء له « فينس » الطريق : روى له أن نايتيتس لم تكن ابنة أحمس ، وإنما ابنة سلفه خفرع ! .. وراح فينس يزين قمبيز غزو مصر ، والاستيلاء على عرشها بوصفه زوج الوريثة الشرعية لذلك العرش ! .. وكان حب الثأر ما يزال يملك الاثنين ، لما ناله على يدى « بسامتيك » ولى عهد مصر .. سيما وإن هذا قد استطاع أن يقتنص ابن « فينس » ويقتله !

أما ما بقى فيعرفه كل من درس التاريخ : اذ غزا قمبيز مصر - يعاونه « فينس » - فهزم بسامتيك ، واستولى على امبراطورية مصر بأسرها .. ومع ذلك ، فإن الحرب والظفر لم يسريا عنه الحزن الذى ناله لوفاة نايتيتس ، فانصرف الى الشراب ، واشتدت به نوبات الهياج والصرع ، وفرض على امبراطوريته حكما من الارهاب والفرع .. واستفحل طغيانه حتى لقد أمر باعدام أخيه بارتشا فى نوبة أخرى من نوبات الغيرة ، ولم يحجم عن تنفيذ الحكم ..

لكن الأمر انتهى به أخيرا الى أن يلوق الهزيمة على أيدي الاحباش ..

وسنحت لكبير الكهنة «أوروباستس» فرصة تحقيق أطماعه حين مات قمبيز ، فحاول أن يستولى على عرش فارس ، ولكنه فقد حياته ثمنا للمحاولة .. ثم أفاقت فارس من الهزات التى أصابت كيائها ، فعادت تتحد تحت لواء « دارا » النبيل .. صديق بارتشا الوفى وقريبه !

عزيزى القارىء.....

قرات معى فى الاعداد الماضيه من كتابى ، من روائع الكتب القديمه ، هذه الكتب على التوالى :

- « ديكاميرون » : بوكاشيو
- « دون كيشوت » : سرفانتس
- « الالياذة » : هوميروس
- « اميل » : جان جاك روسو
- « حى بن يقظان » : ابن طفيل
- « روبنسن كروزو » : دانييل ديفو
- « غرام الاخوين » : (كاتب فرعونى مجهول)
- « يوتوبيا » : توماس مور
- « الجمهوريه » : افلاطون
- « الكوميديا الالهيه » : دانتي
- « الاوديسه » : هوميروس
- « العالم كما يسير » : فولتير
- « غرام مشبوب » : لين يوتانج
- « رباعيات عمر الخيام »
- « عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير
- « رساله الغفران : المعرى
- « نظريه التطور » : داروين
- « رأس المال » : كارل ماركس

وفيما يلى اقدم لك الكتاب الذى احدث اكبر هزة فى القرن الثامن عشر، وكان من اقوى الكتب التى مهدت لقيام الثورة الفرنسيه

كُتَبُ الأولون



كنوز الكتب القديمه



جان جاك روسو

العقد الاجتماعي



انجيل الثورة الفرنسية

♦ يسر كتابي ان يقدم اليك فيما يلي اول خلاصة وافية تشر بالعربية لهذا الكتاب الشامخ الذي يعد من اقوى الكتب السياسية تأثيرا على الفكر البشرى في تاريخه الطويل ، كما يعتبر اعظم مؤلفات المفكر الخالد « جان جاك روسو » على الاطلاق ، ومصدر مجده العريض .. وقد بلغ من حجر حكام فرنسا في ذلك العهد على الحريات العامة - وحرية النشر بصفة خاصة - ان روسو اضطر يومئذ الى نشر كتابه هذا في هولندا (عام ١٧٢٦) ، فرارا من الرقابة الفرنسية .. وقد كان الكتاب ، كما يدل عنوانه ، اول محاولة لتفسير وتبرير قيام الحكومات باتفاق كلمة المحكومين على اقامتها برضاهم واختيارهم كى ترعى امورهم وتسهر على راحتهم - وهو عكس المبدأ الذى كان سائدا فى عصور الطغيان القديمة - ومن هنا كان نشر الكتاب بمثابة الوحي الادبى الذى هيا الأذهان لنشوب الثورة الفرنسية ، واشعل فى النفوس شرارتها الاولى !

فسلام على روسو حيث يرقد راضيا مرضيا - بجوار نبى الثورة الآخر « فولتير » - فى مقبرة «الباتيون» بباريس .. وحيث حجبت اليه منذ اسابيع - مع مئات الزائرين من كافة اركان الدنيا - فخيل الى ان روحه ترفرف من عليانها قرية بالحرية الخالدة التى منحها الثورة لفرنسا .. وللعالم بأسره !

السياج المشئوم :

♦ يرجع انشاء المجتمع المدنى الى أول رجل ضرب سياجا حول قطعة من الارض ، وجرؤ على أن يقول : « هذه ملكى » ووجد اناسا من السداجة بحيث أقروه .. ترى كم من جرائم واغتياالات ، وكم من فظائع وتعاصات كان يقدر للجنس البشرى أن يتفادها ، لو أن رجلا قام لحظتئذ فانتزع السياج وصاح فى رفاقه : « حذار أن تنصتوا لهذا المدعى ، فلسوف تقضون على أنفسكم بالضياع ان أنتم نسيتم يوما ان ثمار الارض ملك لنا جميعا ، وان الارض ذاتها ليست لاحد ! »

بيد أن المرجح ان الظروف كانت قد بلغت وقتئذ حدا لا
يسيل الى استمرارها بعده ، لان فكرة الملكية انما قامت على
كثير من الافكار التي سبقتها ، والتي ما كانت لتتكون جميعا
في اذهن البشرى دفعة واحدة ، وانما تواردت متعاقبة ، تنسخ
كل منها ما سبقها على مر الاجيال ، حتى انتهت الى هذا
الوضع الاخير ..

ذلك أن أول مشاعر الانسان كانت تنصب على حفظ كيانه ،
وكن نتاج الارض يمد به بكل ما كان يعوزه ، وقد أرشدته الغريزة
الى وسائل استخدامه الارض ونتاجها كما هدته رغبة عمياء الى
العلاقات الجنسية لحفظ النوع .. وكانت حياة الانسان الاول
كحياة الحيوان ، مقيدة بالنزوات والاهواء ، فكان لا يكاد يفيد
من هبات الطبيعة فائدة تامة ، وبالأحرى ، كان أعجز من أن
ينتزع من الطبيعة شيئا .. على أن الصعاب لم تلبث أن علمته
كيف يتغلب عليها . كيف يتسلق الاشجار ليحني ثمارها ،
وكيف يصمد لمنافسة الحيوانات الاخرى الراغبة في اقتناص
هذه الثمار ذاتها من أجل بقائها .. ومن هنا كان عليه أن
يتعلم كيف يحارب ، وكان من السهل أن يجد الاسلحة الطبيعية
في الاحجار والعصى .. كما كان عليه أن يتعلم كيف يعوض نفسه
عما يفتقده منه من هو أكثر منه قوة ..

وازدادت شواغل الناس بازدياد عدد أفراد الجنس البشرى
.. وأدخل اختلاف أنواع التربة ، والمناخ ، والفصول ،
اختلافات على طرق معيشتهم .. وأدت سنوات الجذب ،
وفصول الشتاء القارسة ، وفصول الصيف القاطظة ، الى
وجوب البحث عن حرفة جديدة غير الزراعة .. فاخترع
سكان الشواطئ الخيط والشص ، وصادوا الاسماك وأكلوها
.. وصنع سكان الغابات الاقواس والنشاب فصادوا الحيوان ،
واتخذوا من جلوده كساء يقيهم غائلة الشتاء .. وهداهم

البرق أو البراكين الى النار ، فكانت مصدرا جديدا لمكافحة
البرد ٠٠ ثم تعلموا كيف يشعلونها ، ومن ثم كيف ينضجون
عليها اللحم التى كانوا من قبل يأكلونها نيئة ٠٠

ابتكار اللغات ٠٠ واختراع الآلات

♦ وكان خليقا بالاتصالات المتكررة بين الانسان
والكائنات العديدة ، وبين هذه وبعضها بعض ، أن تنتهى به
الى نوع من التفكير ، أو الحكمة الآلية التى توحى له بالاحتياجات
الضرورية من أجل سلامته ٠ وترتب على الذكاء الجديد الذى
تأتى عن تطور الانسان أن ازداد سموه على الحيوانات الأخرى ،
اذ أوحى اليه الذكاء بكثير من الحيل التى مكنته من الغلبة
عليها ، ومن أن يفرض سيادته على البعض ، وأن ينكل
بالبعض الآخر ٠٠ ثم ان اتصالاته بالآدميين الآخرين جعلته
أن يقابل بينه وبينهم ، فيخلص من ذلك الى تبين أنهم يتصرفون
مثله ، ويفكرون كما يفكر ، فأغراه ذلك على أن يسلك من قواعد
السلوك نحوهم ما يكفل له السلامة والمصلحة والخير ٠٠
وعلمته التجارب أن حب الخير هو الحافز الاوحد لتصرفات الناس ،
وأن ثمة حالات يخول له اشتراك الصالح فيها وبينه وبين الناس
أن يعول على مساعدتهم ، كما أن ثمة حالات يجد من تضارب
المصالح فيها ما يخول له أن يركن الى الريبة والحد ٠٠ ففى
الحالات الاولى كان يسير مع من يشاطرونه المصلحة ، وفى
الحالات الثانية كان كل فرد ينصرف الى ما فيه صالحه ،
ويسعى الى تحقيق هذا الصالح اما بالقوة السافرة ، أو بالحيلة ٠٠
وبهذه الطريقة أصاب الناس شيئا من الادراك لقيمة
الاعمال المشتركة والفوائد التى تنأتى عن تنفيذها ٠٠ ودعاهم
هذا الى ابتكار اللغات ، فى صورها الاولى الفجة الخشنة ٠٠
وأدت خطوات التقدم الاولى الى خطوات أعظم وأسرع ٠٠
فان بنى آدم ازدادوا نشاطا بازدياد تنور عقولهم ، فاخترعوا

العديد من الآلات التي صاغوها من الصخر الصلب ليحفروا بها الأرض ويقطعوا الأشجار ، ثم أقاموا من الأشجار أكواخا طابيثوا أن تعلموا كيف يكسونها بطبقة من الطمي والطين . . . وكان هذا عهد انقلاب أدى الى انشاء الاسرات والى نوع من هكبة أثار آلافا من المنازعات والمشاجرات . . . واذا كان من المحتمل أن الاقوياء هم أول من أقاموا لانفسهم أكواخا شعروا بالقدرة على حمايتها والذود عنها ، فان الضعفاء لم يلبثوا أن اتتهوا الى أن الحذو حذوهم أسهل وأسلم من محاولة اغتصاب أكواخهم منهم . . . وشيئا فشيئا تعود الانسان أن يحترم حرمة ساكن جيرانه وملكيتهم لها . . .

نشأة الحب والغيرة !

♦ وأصبحت إقامة الزوج والزوجة وأبنائهما تحت سقف واحد عادة ، تفتقت عن أنبل وأسمى العواطف الانسانية . . . وغدت كل أسرة مجتمعاً صغيراً ، قوى الترابط ، لان الحرية والصلات المشتركة المتبادلة كانت دغائهم وحدته . . . وبدأ الجنسان ينفصلان في العمل ، فأخذت المرأة تجنح الى الاستقرار والعناية بالكوخ والاولاد ، بينما كان الرجل ينطلق سعياً وراء الحاجات المشتركة للأسرة . . . وأدت أسباب الراحة واللمعة والامن الى أن ينزل كل من الجنسين عن شيء من قوته وبطشه . . . ولعل هذا أدى الى أن يعجز الفرد عن منازل الوحوش وحده ، ولكنه - من ناحية أخرى - تبين أن اجتماعه مع أبناء جنسه لمقاومة الوحوش عسبة ، أجدى وأسهل . . .

وأتاح بساطة الحياة ، وقلة الحاجات ، وكثرة الادوات التي اخترعها الانسان ، مجالا للفراغ أخذ يملأه بملاه ومسرات لم يكن لأبائه بها عهد ، ومن ثم نبعت أولى المساوىء والشرور . . . اذ لم تلبث هذه المتع أن فقدت بهجتها ، بل أنها استحالت

الى حاجات حقيقية أخذ الانسان يشقى بها .. يشقى بفقدانها
كما يشقى بوجودها !
وهكذا اعتري التغير كل شيء .. فبعد ان كان الناس
يهيمون في الغابات ، استقروا وأخلوا يكونون جماعات
منفصلة .. وعلى مر الايام قامت في كل بلد امة معينة ،
موحدة في الصفات والاخلاق ، لا يحكم قوانين او لوائح ،
وانما يحكم ممارستها لونا واحدا من الحياة ، وبحكم تناولها
انواعا معينة من الغذاء ، وبحكم تأثير الجو على افرادها ..
وادي الجوار الى ترابط العائلات ، والى اتصال أبناء الجنسين
في هذه العائلات ، فمنها في نفوسهم تقدير الجمال والخلل ،
وتسربت الى قلوبهم عواطف عذبة جميلة تربط ما بينهم ..
ومع الحب انبعثت الفيرة ، وأريق الدم في سبيل ارق
العواطف !

وازدادت الالفة بين الناس ، وأخذ أبناء الجيرة يجتمعون
في اوقات الفراغ امام أكواخهم ، فبدأ كل يولي الآخرين
اعتبارات ويطمع في أن يولوه
مثلا ، وصار أعذبهم غناء ،
أو أجملهم رقصا ، أو أبهاهم
شكلا ، أو أقواهم عضلا ، أحظاهم
بالاعتبار .. ومع الحظوة
والاعتبار ، ولدت أولى أشكال عدم
المساواة ، واتخذت أولى الخطوات
نحو الرذيلة .. اذ بدأ كل
انسان يعتز بما ينال من
اعتبار ، ويطالب الجماعة بمراعاته .
فاذا مسه أحد ، أحس في ذلك
بأهانة تستوجب الانتقام ..



وتوغل الناس فى القسوة والعنف فى انتقامهم .. وهذا ما كان يلاحظ فى كثير من الامم الهمجية التى عرفها العالم المتحضر ، فساء كثير من الكتاب الفهم وتسرعوا فى الحكم على الانسان بأنه فطر على القسوة .. والواقع أنه لم يك ثمة أرق وألطف من الانسان فى بداوته الاولى !

الطمع والاثرة الحسد سعادة الانسان

♦ اما وقد تكون المجتمع وتوطدت العلاقات بين الناس ، فقد أصبح الموقف يتطلب منهم صفات تختلف عن تلك التى كانت لهم فى وضعهم الفطرى البدائى ، ومن ثم ظهرت بينهم قواعد الاخلاق تحكم تصرفاتهم قبل مولد القوانين .. وكانت هذه أسعد الفترات فى تاريخ الانسان .. وكان أخرى بها أن تمتد وتبقى ، فيظل الناس يستمتعون بمسرات الحياة ويستمرئون الصلات المستقلة على أساس المنفعة المشتركة والمتبادلة .. ولكن .. منذ اللحظة التى أحس فيها انسان بالحاجة الى مساعدة انسان آخر، ومنذ اللحظة التى خيل فيها لاي امرئ أن من الخير أن يستحوذ من المؤن على ضعف حاجته ، تلاشت المساواة ، وتفشت الملكية ، وأصبح العمل أمرا لا غنى عنه ، واستحالت الغابات الشاسعة الى حقول ناضرة يرونها الانسان بعرق جبينه .. ومع محصولها نبتت العبودية والشقاء ..

وكانت الزراعة وصناعة المعادن هما الفنان المذان أحدثا هذا الانقلاب .. كان الحديد والقمح أول ما علم الناس المدنية، وأول ما أفسد الانسانية .. ولقد ظلت الامم التى اقتصرت على الزراعة فى همجيتها حتى عرفت الحديد والمعادن .. ولعل من أهم أسباب ارتقاء أوروبا فى المدنية عن سواها أنها كانت يوما أكثر بلاد العالم نصيبا من الحديد ، وأغناها بالقمح .. ذلك أنه لم تكد تظهر الحاجة الى طرق الحديد لاستخدامه فى

الزراعة وغيرها ، حتى صبحتها الحاجة الى صيانة الادوات الحديدية واصلاحها ، وكلما ازداد عدد الايدي العاملة التي اجتذبتها الصناعة ، قل عدد الايدي التي تركت للزراعة وانتاج القوت ، دون أن يقل عدد البطون التي تنشد الغذاء ! .. ثم ظهر الاتجاه الى الاستبدال .. فالزراع في حاجة الى أدوات ، والصانع في حاجة الى غذاء ، ومن ثم شرعا يتبادلان السلع .. وهكذا قامت الصناعة وصوغ المعادن وترويج استعمالها الى جانب الزراعة وتربية الحيوان والاكثر منهما ..

وكان حريا بالزراعة أن تستتبع توزيع الارض ، ومن ثم فان الاعتراف بالملكية أدى الى أولى قواعد العدالة .. سيما وقد شرع الناس يتطلعون الى المستقبل ، وغدا كل منهم - وقد أصبحت لديه ممتلكات - يخشى أن يوقع بأحد ضررا فيفقد ذلك الى أن يدفع الثمن من ممتلكاته .. وهذا أمر طبيعي ، مثله مثل الملكية ذاتها في الاصل ، فهي لم تتأت الا عن طريق العمل اليدوي .. اذ كيف للانسان أن يمتلك شيئا لم يخلقه بنفسه ، الا عن هذا الطريق؟ .. ففلاحة الارض واستنباتها يتيحان له حق ملكية انتاجها ، وملكيته بالتالي ، الى أن يحصد ما زرع على الاقل .. وعاما بعد عام ، توطد حقه في الارض ذاتها فامتلكها ..

ولم يعد من الممكن الاحتفاظ بالمساواة في هذه الحال ، فلو أن مواهب الناس تساوت لامكن الاحتفاظ بتوازن دقيق بين استخدام الحديد وبين استهلاك السلع .. ولكن المواهب لم تكن متساوية ، فكان القوي يعمل قسما أكبر من سواه ، والماهر اتقن صناعة من غيره .. وكان صاحب الذكاء الموفور يبتكر من الاسباب ما يخفف عليه الجهد .. ثم ، كان الفلاح في حاجة الى مزيد من الحديد ، والحداد في حاجة الى مزيد من القمح ، ولقد يبذل كل منهما من الجهد قدر ما يبذل الآخر

يصيب أحدهما من عمله كسبا كبيرا ، بينما لا يكاد الآخر يحصل على ما يقيم أوده ٠٠ ومن ثم بدأ عدم المساواة يظهر وسود ، واشتدت الفوارق التي نجمت بين الناس نتيجة اختلاف ظروفهم ، وغدت أبقي أثرا ، وأظهر نفوذا ٠٠

ولا أريد أن أطيل على القارىء ، ففى وسعه - وقد بلغت الأمور هذا المبلغ - أن يحبس ما بفى ، وأن يتصور ما ترتب على كل ما ذكرناه من تطورات ، وخاصة استغلال المواهب ، وتباين الثروات ، وفوائد ومساوىء الغنى ٠٠ والمهم أن الناس أصبحوا بعد ذلك يعنون بأن يظهرأ بما يغيروا ما هم عليه فى الواقع ٠٠ ومن هنا نبت الزهو الكاذب والتظاهر والغش ، بكل ما يتبعها من رذائل ٠٠ ومن ناحية أخرى ، نشأ عن تضاعف رغبات الناس وحاجاتهم ، أن نزلوا عن حريتهم واستقلالهم ، وان ارتضوا أن يخضعوا أنفسهم لبعضهم بعضا ، فالأغنياء غدوا يحتاجون للخدمات من غيرهم ، والفقراء غدوا فى حاجة الى معونة الأغنياء ، وحتى من كانوا وسطا بين هؤلاء وأولئك لم يستطيعوا أن يستغنوا عن زملائهم من الناس ٠٠ وهنا تحتم على الانسان أن يعمل على استدراج الناس الى الاهتمام بمصالحه والاقتناع بأن من الخير لهم أن ينموها له ، فُلجأ الى المكر والحيلة مع بعض الناس ، وإلى القسوة مع البعض الآخر ٠٠ وأدى التعطش الى مضاعفة الثروة - لا عن حاجة بقدر ما هو عن رغبة فى التفوق على الغير - الى الإيحاء الى الناس جميعا بنزوع خبيث الى إيذاء بعضهم بعضا ، وبغيرة كامنة عظيمة الخطر ، لأنها تتخذ من البر والتظاهر بالخير ستارا تسعى من ورائه الى هدفها فى أمان !

ازدياد الفوارق ونشوء العدوان

◆ وبالاختصار ، نبت التزاحم والتنافس من ناحية ، والمصالح المتضاربة من ناحية أخرى ، مع رغبة خفية - فى

الحاليين - في الكسب على حساب الغير ! وكانت كل هذه المساوىء هي الآثار الاولى للملكية ، والعوامل التي تلازم ازدياد الفوارق وعدم المساواة ..

ذلك ان اتوسع في الملكية لم يلبث أن وصل الى حد لم يكن من الممكن بعده لانسان أن يزيد من أملاكه الا بالعدوان على أراضى وماشيه سواء ..! وفي الوقت ذاته كان الفقراء ، بسبب ضعفهم أو عجزهم عن التملك ، قد ازدادوا فقرا - وان لم يخسروا شيئا ، اذ لم يكونوا يملكون ما يخسرونه ! - وقنعوا بأن يحصلوا من الاغنياء على ما يقيم أودهم ، أو يسرقوه ..! ومن ثم نشأ عن هذا الوضع أحد أمرين : اما استكانة وعبودية ، واما عنف وعدوان .. في حين أن الاغنياء لم يلبثوا أن استمروا ومتعة السلطان ، فاستهانوا بسواهم ، ولم يعودوا يفكرون الا في استئلال من حولهم أو استعبادهم ، وقد انقلبوا ذاتا باضارية ..

وهكذا صحت انهيار المساواة فوضى فظيعة : استغلال وجشع من جانب الاغنياء ، وسطو وسرقة من جانب الفقراء ، وخنق اندفاع كل من الجانبين في غيه ما تبقى من أصوات العدالة الواهنة ، فاذا نفوس البشر تفعم بالجشع والبخل والطموح والشر .. ومن ثم أفضى مولد المجتمع الجديد الى حالة رهيبة من المعارك والحروب .. ولم يعد من أحرزوا الثروات قادرين على النزول عنها ، بل اندفعوا في غيهم باسم الشرف والكرامة والحق ، لينتهوا بأنفسهم في الواقع الى هاوية الدمار .. فاذا الاغنياء والفقراء يكتوون على السواء بنيران العلل والمساوىء الجديدة !

وكان من المستحيل أن لا يفكر الناس في هذا الموقف وفي النكبات التي حاقت بهم ، بل لعل الاغنياء - بوجه خاص - قد أحسوا بمدى ما عانوا بسبب الحروب المتواصلة التي كان الغرم كله فيها عليهم ، فمع أن الاغنياء والفقراء كانوا فيها يجازفون

بارواحهم على السواء ، الا أن الاغنياء كانوا يعرضون ممتلكاتهم في الوقت ذاته للضياع . . . هذا فضلا عن أن القلة منهم التي اقتنت أموالها بجدها ، لم تكن بأقوى من سواها حجة وحقا في ادعاء الملكية . . . وكان من العبث أن يقول أحد منهم : « أنا حفرت هذه البئر ، وأنا كسبت هذه البقعة بجدي » ، إذ من الذي خول له أن ينفرد بملكيته ؟ . . . وكان ثمة من يرد عليه قائلا : « بأي حق تطلب اليينا أن ندفع لك أجرا ما لم نسالك أن نفعله ؟ . . . الا تعرف أن الكثيرين من اخوتك في البشرية يتضورون جوعا لحرمانهم مما توفر لديك بأكثر من حاجتك ؟ . . . ان عليك أن تحصل على اقرار وموافقة الجنس البشري بأسره قبل أن تستحوذ من القوت المشاع على ما يزيد عما يكفي لصون كيانك » . . .

نشوء فكرة الحكومات

◆ **واذ** كان الفنى مفقرا الى ما يعزز ملكيته ، وعاجزا عن أن يحمي نفسه ، فقد كان يستعين بعصابت مرتزقة لا تلبث أن تنقل كاهله . . . كما كانت الغيرة المتبادلة تحول دون تعاونه مع أنداده ضد أعدائهم العديدين . . . ومن ثم ، ألهمت الضرورة الاغنياء في النهاية أعمق فكرة خطرت ببال الانسان . . . تلك هي أن يستخدم لمصلحته قوى أولئك الذين كانوا يهاجمونه . وأن يتخذ من أعدائه حلفاء ، فيوحي اليهم بالحكم والمبادئ المختلفة التي تفيده بعد أن غدا قانون الطبيعة لا يجدى . . . فعمد الى اظهار جبرانه على فظاعة الموقف الذي يضطر فيه كل انسان الى حمل السلاح ضد بقية الناس ، والذي تغدو فيه الممتلكات والثروات عبئا لا يقل في الارهاق عن الحاجات والمطالب ، والذي تعز فيه السلامة والامان للفنى والفقير على السواء . . . وفي لباقة . . . خلص من هذا الى غايته ، فساقها في شكل اقتراح مستخلص من المناقشات التي دارت بتوجيهه ،

قائلا : « لتتحد كي نحمي الضعيف من الجور ، وكي نكبح جماح الطامع الظموح ، ولنضمن لكل فرد ملكية ماله .. لنضع قواعد للعدل والسلام ، يقرها ويلتزم بها الجميع دون ما استثناء .. قواعد تصلح بطريقة ما ما بين الحظوظ من فوارق ، اذ يضطر بها القوى والضعيف - على السواء - الى مراعاة التزامات متبادلة .. وبايجاز ، لنجمع قوانا - بدلا من ان نشهرها ضد انفسنا - ونركزها في قوة عليا تحكمنا بموجب قوانين حكيمة ، فتحمي جميع اعضاء الجماعة وتلود عنهم ، وتكسر شوكة الاعداء المشتركين لنا ، وتقر الوثام الخالد بيننا .. »

وخذعت الكلمات المعسولة الناس الذين كانوا في غمرة الجهالة ، فهرعوا جميعا الى اغلالهم وهم ياملون ان يصونوا حريتهم ، اذ لم تكن لهم الخبرة والتجربة اللتان تبصرانهم بمواطن الخطر في هذه المبادئ السياسية .. وانما كان اقدرهم على استبانة الخطر ، هم اولئك الذين توقعوا النفع من ورائها .. بل ان اوفر الناس حكمة ، لم يروا كثير ضير في ان ينزل كل فرد عن قسط من حريته ليؤمن بقية الاقساط ، كما يفصحى الجريح بذراع تالفة لينقذ عمره وبقية جسده ..

هكذا كانت - او لعلها كانت - بداية المجتمع والقانون الذي اضفى على الفقير قيودا جديدة ، واثاح للغنى سلطات جديدة .. ففضى على الحرية الطبيعية ، ووطد للابد قانون الملكية وعدم المساواة ، وحول الاستغلال الماكر الى حق مشروع لا مراء فيه ، وأخضع الجنس البشرى بأجمعه الى العمل والعبودية والمسغبة الدائمة من اجل مصلحة قلة من الظموحين ذوى المطامع ! ومن السهل أن نرى بعد ذلك كيف أن قيام جماعة واحدة جعل قيام جماعات أخرى ضرورة لازمة ، فأخذ الجنس البشرى يتحد تباعا في جماعات لم تلبث أن ازدادت وانتشرت حتى شملت وجه البسيطة ، فلم يعد في الارض ركن ينجو فيه الانسان من ربة

الوضع الجديد ، الذى غدا كالسيف المصلت أبدا فوق عنقه .. وهكذا أصبح الحق المدنى هو الحكم الشائع المشترك بين أعضاء كى جماعة ، ولم يستبق القانون الطبيعى الا بين الجماعات المختلفة ، حيث يتفق عليه ضمنا باسم حقوق الامم لتيسير ممارسة التجارة ، ولیموض التعاطف الطبيعى الذى فقد عند تطبيقه على الجماعات كل ما كان له من تأثير على الافراد ، ولم يعد له بقاء الا فى بعض المذاهب الروحية الشاملة ، التى تحطم الموارق والحواجز بين مختلف الناس والشعوب ، وتواخى بين البشر ، عملا بتعاليم الخالق ، الذى يشمل برحمته الجنس البشرى برمته ..

كيف برزت البشرية الحروب ؟

◆ **يبد أن الجماعات السياسية ظلت على الوضع الطبيعى ، تعاني ما سعى الافراد للخلاص منه ، فقامت الحروب الاهلية ، والمعارك ، والمذابح ، مما هز الطبيعة وأذهل العقول .. فتعلم أنشرف الناس أن قطع رقاب سواهم واجب ! .. وكانت هذه هى أولى آثار انقسام الجنس البشرى الى جماعات ..** أعرف أن بعض الكتاب شرحوا أصل المجتمعات السياسية على صور أخرى ، منها غلبة القوى للضعيف ، أو اتحاد الضعفاء ، وتعاونهم .. ولكنى أرى الصورة التى قدمتها أقرب الى الطبيعة من سواها ، وذلك للأسباب التالية :

أولا : لان حق الغزو والغلبة ليس مبررا أو أساسا مشروعا تبنى عليه حقوق أخرى ، فان الغالب والمغلوب يظلان على حرب .. ما لم يسترد الأخير كامل حريته ، فيختار راضيا أن ينضوى تحت لواء الاول ..

ثانيا : لان كلمتى « قوى » و « ضعيف » ليستا دقيقتين ، إذ أن خير ما يعبر عنهما فى الفترة بين قيام حق الملكية وقيام الحكومة السياسية هما كلمتا « غنى » و « فقير » ..

ثالثاً : لم يكن الفقراء يملكون ما يعز عليهم فقده ، اللهم الا حريتهم ، لذلك كان من الغباء المطلق أن ينزلوا عن هذا الشيء الوحيد الذي يمتلكونه دون أن يحصلوا على شيء في مقابله . . . في حين أن الاغنياء كانوا ينصرفون بكل عواطفهم الى ممتلكاتهم ، فكان من السهل الاضرار بهم ، وكان من الضروري لهم أن يتحوطوا ضد ذلك ، ومن ثم فمن المعقول أن يكونوا اول من فكر في الدعوة لاقامة الحكومة

من هذا نرى أن المشكلة التي واجهت الناس في البداية تمثلت في : « البحث عن نوع من التجمع والاشتراك ، يحمي بكل القوى المشتركة شخص و ثروة كل فرد من أعضاء الجماعة ويدافع عنهما . . ويظل فيه كل فرد - رغم اتحاده مع الباقين - حراً لا يخضع الا لنفسه . . »

فكرة العقد الاجتماعي

♦ وتوفر حل هذه المشكلة ، في « العقد الاجتماعي » . . وتمثل روح هذا العقد في أن كل فرد ينزل نزولاً كاملاً ، غير مقيد أو مشروط ، عن جميع حقوقه للمجتمع ككل ، أي كوحدة . . فلا يحق لفرد أن يحتفظ بحقوق لا يمتلكه كافة الافراد الآخرين - على قدم المساواة - والا خرق العقد ونقضه . . ثم ان الفرد حين ينزل عن حقوقه للمجتمع ، لا يحولها أو ينزل عنها لشخص معين ، ومن ثم فانه في علاقاته بالافراد يظل محتفظاً بكافة الحقوق التي ضحى بها . . ويمكن ايجاز الوضع في هذه الصيغة : « كل منا - عامة - يضع شخصه وكل ما له من قوة أو نفوذ أو مال تحت الاشراف الأعلى للإرادة العامة ، ويعتبر كل عضو جزءاً لا يتجزأ من المجموع » . . وبهذا تنشأ هيئة أدبية وجماعية تتألف من كافة أعضاء المجتمع ، وتستمد من هذا الوضع وحدتها ، وحقها ، وسلطتها ، وحياتها ، وارادتها . . هذه هي الجمهورية ، أو النبوة . . وأعضاؤها هم الشعب ،

وهم مواطنون وشركاء في السيادة وفي سلطة السيادة ، كما أنهم - في الوقت ذاته - رعايا ، يخضعون لقوانين الدولة . .

ولم يكن للحكومة - في حداثة نشأتها - شكل منظم ثابت . .

لـ كان نقص التجربة والفلسفة يقصر نظر الناس على علاج قـائض حـاضرهم ، دون أن يتجاوزوا نطاق الحاضر الى المستقبل . .

وقد ظلت الاوضاع السياسية غير مكتملة - رغم محاولات الحكماء من المشرعين - لان هذه الاوضاع كانت في الواقع من وحي الصدفة أكثر من أى شىء آخر ، ومع أن مرور الزمن كشف مواطن الضعف فيها وبين سبل العلاج ، الا أن الاخطاء الأصلية ظلت بدون اصلاح . . بل انها ظلت ترقع باستمرار ، في حين أن المهمة الأولى كانت تتطلب تنقيتها من كل الشوائب الماضية ، وإزالة أنقاض الماضي اذا أريد أن يكون الصرح ثابت الاركان . .

ذلك لأن المجتمع كان يتألف في البداية من مجرد بضعة اتفاقات عامة اصطلح عليها الاعضاء والتزموا بمراعاتها ، وضمنت الهيئة كلها السلامة لكل فرد في سبيل تنفيذ هذه الاتفاقات . . لذلك لم يكن ثمة ما يكشف أى ضعف في مثل هذا الوضع سوى التجربة . . فحيثما كان الجمهور هو الشاهد والقاضى ، كان من اليسير التهرب من القوانين بعدة طرق ، ولم يكن ثمة بد من أن تتضاعف الاضطرابات والتفمرات باستمرار ، حتى تولدت الضرورة التي تدعو الى ايكال مسئولية السلطة العامة - أو سلطان الشعب - على خطورتها ، الى بعض الاشخاص المعينين ، ومسئولية فرض الطاعة الى مأمورين منفذين للقوانين والاحكام . . فالواقع أن الاحكام ومنفذى القوانين لم يكن لهم وجود قبل قيام القوانين ذاتها . .

الهدف من الحكومات كان الحماية لا السيطرة

◆ **وليس من المعقول أن نفترض أن الناس ألقوا بأنفسهم بين ذراعى سيد مطلق في البداية ، دون ما قيد أو تحفظ . .**

فهم في الواقع لم يختاروا لأنفسهم رؤساء - أو حكاما - الا

ليقوا أنفسهم الجور ، وليحموا حياتهم وحررياتهم وممتلكاتهم .. وما كان من حسن الادراك فى شىء أن يبدأوا بأن يخلعوا على رئيس كافة الامور التى أرادوا أن يستعينوا به على صيانتها ورعايتها ، اذ ما الذى كان يستطيع أن يقدمه فى مقابل مثل هذا الحق العظيم ؟ .. ومن ثم فلا مراء اطلاقا فى أن الاساس الاصلى والأول لكل الحقوق السياسية هو أن الناس ما أقاموا الرؤساء بينهم الا ليكونوا لهم حماة ، وليسوا سادة مسيطرين !

ان الحصان البرى - الذى لم يهذب - يرفع رأسه ، ويثبت حوافره فى الارض ، ويجفل لمراى السرج واللجام ، فى حين أن الحصان الذى درب وروض ، يتقبل فى صبر لهيب السوط ووخز المهماز .. كذلك الانسان فى بداوته لا يرضى بأن يذل عنقه لما يفرضه عليه الانسان المتحضر من ربقة دون ما تذر ، فهو يؤثر الحرية مع أقصى المتاعب ، على العبودية مع الامان والسلام ..! لذلك فأننى حين أرى الحيوانات التى ولدت حرة تضرب قضبان أقفاصها برؤوسها برما بالأسر .. وحين أرى جموع العراة من الهمجيين ينبذون المتع الاوربية ، ويتعرضون للجوع والنار والسيوف والموت لصون استقلالهم ، لا يسعنى الا أن أشعر بخطأ الساسة والفلاسفة الذين يعزون الى الانساز استعدادا طبيعيا لارتضاء الاستعباد !

سلطة الأب .. وسلطة الحاكم

♦ أما ما يستند اليه بعض الكتاب من أن سلطة الأب على الاسرة هى الاصل الذى أخذ عنه نظام الحكم المطلق ، فليس أقرب لدحضه من أن نذكر أن ليس على الارض ما هو أبعد عن روح الاستبداد الشرسة ، من تلك السلطة الرفيعة التى ترعى صالح من يطيعها أكثر مما ترعى صالح من يمارسها .. فان قانون الطبيعة يقضى على الأب بأن لا يفرض على الابن سيادته الا حيثما تستدعى ذلك مساعدته .. وان الأب والابن اذا

ساويا ، استقل الأخير عن الأول ، فلا يعود يدين له بغير الاحترام ، لا الخنوع . ومن ثم فبدلا من أن نقول ان المجتمع انحضر قد اقتبس عن سلطان رب الأسرة ، يخلق بنا أن نقول في هذا الأخير انما أخذ قوته الرئيسية عن الأول . فما كان لأب أن يحظى بالابوة ما لم يستقر ويبقى حوله أبناؤه وبناته . والخيرات التي يمتلكها الأب هي الروابط التي تستبقى تبعية أسرته له واعتمادهم عليه ، وفي وسعه أن لا ينعم على أحد منهم بغط منها الا اذا استحقه بما يبديه من احتفال بارادته . أما رعايا الحاكم المستبد ، فانهم وما يمتلكون ملك له - في نظره على الأقل - ومن ثم فهم مضطرون الى أن لا ينالوا ، اذا ما أنعم عليهم ، سوى ما يحلو له أن يهبهم من حقوقهم وممتلكاتهم .

لذلك لا نكاد نجد أي مبرر يدعو الى الفن بأن الناس أقاموا الظلم والظلمين طائعين . أو انهم أقرؤا عقدا يقع فيه كل الغرم على أحد الطرفين ، دون أن يرتبط الطرف الآخر بشئ . ومن ثم لا ينبغي القول بأن السلطان لا يخضع لقوانين دولته ، بل العكس هو الصحيح . وليس ثمة انسان يبيع حريته مقابل الخضوع لسلطة مطلقة تفعل به ما يحلو لها . إذ أن ذلك معناه انه يبيع حياته ، وهي ليست ملكا له ، بل هي أمانة أودعه اياها الخالق . ثم اننا حين ننزل عن حريتنا ، انما نهبط بانفسنا الى درك الانحطاط ، وليس بين الخيرات الدنيوية ما يمكن أن يعوضنا عنها . فضلا عن أن في ارتضاء العبودية خروجا على الطبيعة وخرقا لها ، فلا بد من تغيير الطبيعة ان شئنا أن نقر مثل هذا الوضع . والمشرعون الذين وجعلوا الجراة على الحكم بأن ابن العبد يولد عبدا ، انما قضوا على انسان بأن يولد في الحياة محروما من حقوق الانسان !

لذلك أرى من المؤكد أن الحكومة لم تبدأ كقوة ذات سلطان استبدادي ، ولا كانت نكسة ترجع بالانسانية الى قانون الحكم

للأقوى ، وهو ما ابتكرت الحكومة لعلاجها ٠٠ وأخلص من هذا الى اعتبار الوضع السياسي بمثابة عقد بين الناس ورؤسائهم الذين يختارونهم ٠٠ عقد يلتزم بمقتضاه كل من الطرفين بمراعاة القوانين التي يتضمنها ، والتي تؤلف الروابط المثبتة لاتحادهم ٠٠ فيركز القوم - مراعاة لعلاقاتهم الاجتماعية - كل اراداتهم في واحد ، وتصبح المواد التي تعبر عنها هذه الارادة الموحدة ، قوانين أصيلة تلزم كل أبناء الدولة دون استثناء ، كما تنظم احدى هذه المواد اختيار وسلطة الاداريين - أو الوزراء - الذين يعينون للاشراف على تنفيذ بقيتها ٠ وتمتد هذه السلطة بحيث تشمل كل ما يصون القوانين الاساسية - أو الدستور - دون أن تمسها بأى تغيير ٠ وهي مصحوبة بمراتب تكريمية وامتيازات تكفل للقوانين ومنفذها الاحترام ٠ كما يؤثر الوزراء بامتيازات تشيهم عما تتطلبه الادارة الصالحة من جهد وعناية ٠ ويلتزم الادارى من ناحيته بأن لا يستخدم السلطة الموكولة اليه الا طبقا لما رمى اليه أولئك الذين اختاروه ، وبأن يكفل لهم الامن والاحتفاظ بما يمتلكون ، على أن يؤثر الصالح العام على صالحه الخاص فى كل مناسبة ٠٠

قدسية القوانين ، لا القائمين على تنفيذها !

♦ ولا بد أن مثل هذا الوضع بدا أبهى ما يكون روعة قبل أن تكشف التجربة عن المساوىء التى لم يكن ثمة مفر منها ٠٠ اذ كان لأولئك الذين أنيط بهم رعايته مصلحة كبرى فى بقائه ٠٠ وكان الاضطلاع بالادارة التنفيذية وما يتصل بها من حقوق لا يقوم الا على القوانين الاصلية ذاتها ، ومن ثم كانت شرعية مناصب القائمين بها تزول اذا ما زالت تلك القوانين ، فلا يعوم الناس ملزمين بطاعتهم ٠٠ فان القوانين - لا القائمين على تنفيذها - هي الدعام الاساسية للمجتمع والدولة ٠٠ وهي اللوازم الاصلية للعقد الذى نزل الافراد بمقتضاه عن حريتهم الطبيعية ٠٠

ويجب أن نفرق في النظام السياسي بين سلطتين :
تشريعية - وهي الإرادة التي تقرر أي عمل أو قانون -
والتنفيذية ، وهي القوة التي تتولى تنفيذه . . ذلك لأن القوة
العامة - قوة الشعب - تحتاج إلى وكيل يطبقها تبعا للإرادة
العامة ، وهذا هو دور الحكومة ، فهي شيء غير الحاكم أو
السلطان . . هي وسيط بين الرعايا وبين السلطان في
صلاتها المتبادلة ، تنفذ القوانين وتكفل الحرية الاجتماعية
والسياسية . . وكلما قل عدد أعضائها ، زادت قوتها . . ذلك
لأن لعضو الحكومة - الوزير - ثلاث إرادات : إرادة خاصة -
بوصفه عضوا في المجتمع - وإرادته كواحد من منفذي القانون ،
 وإرادته كعضو في الهيئة الحاكمة صاحبة السلطان ، وهذه
الإرادة الأخيرة هي أضعف الإرادات . .

وعلى هذا ، فإن الحكم إذا انحصر في فرد واحد كان معنى
ذلك أن الإرادتين القويتين - إرادته الشخصية وإرادته كمنفذ
للقوانين - اجتمعتا في إنسان واحد ، فيكون الحكم قويا . .
وإذا انحصر الحكم في أيدي أفراد قلائل ، تركزت الإرادتان
العليان في فئة قليلة . . أما إذا كان الحكم في أيدي المواطنين
جميعا ، فإن الإرادة الثانية تتلاشى ، بينما تشتت الأولى على
نطاق واسع ، فيكون الحكم ضعيفا . .

ومن ناحية أخرى ، فإن الهيئة الحاكمة تكون أكثر استعدادا
لأن تتمشى مع الإرادة العامة إذا هي تألفت من عدد كبير من
الحكام . . وتكون مهمة المشرع هنا هي أن يعمل على حفظ
التوازن بحيث لا تفقد الحكومة قوتها ، وهي في الوقت ذاته
تدين للسلطان بالطاعة في حدودها الصحيحة . .

نظم الحكومات المختلفة

◆ وتدين نظم الحكم المختلفة بقيامها إلى تبين درجات
عدم المساواة بين الأفراد ، في زمن وضع أسسها . . فعندما

كان يوجد بين القوم رجل أبرز من سواه في القوة ، والفضيلة ، والثروة ، والنفوذ الشخصي ، كان هذا الشخص ينتخب ليكون الحاكم الاوحد الذي يستمد الباكون سلطتهم منه . . وهذا هو النظام الملكي

أما في حالة وجود عدد من الافراد المتساوين في الكفاءة ، والبارزين عن عداهم ، فكان القوم ينتخبونهم مجتمعين ، وبذلك ينحصر الحكم في أيدي أقلية . . وهذا هو النظام الارستقراطي . .

أما في المجتمعات التي لم ينحرف أعضاؤها كثيرا عن الوضع الطبيعي ، فلم تقم بينها فوارق كبيرة في الثروات أو المواهب ، فكان الحكم في أيدي الشعب بأسره ، أو الشطر الاكبر منه . . وهذا هو النظام الديمقراطي . وقد يقال انه أصلح النظم جميعا ، لان صانعي القوانين في ظل هذا النظام هم منفذوها ، فهم أقدر الناس على تأويلها وتطبيقها ، بيد انه ليس من الصواب في شيء أن يتولى صانعو القوانين تنفيذها ، ولا أن ينصرف الشعب باهتمامه عن المسائل العامة الى أمور معينة ، اذ ليس هناك ما هو أخطر من تأثير المصالح الخاصة على الشؤون العامة ، ومن المناقض للطبيعة أن يكون الحاكمون أكثر عددا من المحكومين . . ولن يقوى شعب على حكم نفسه حكما ديموقراطيا صحيحا الا اذا كان مؤلفا من آلهة .

وللحكم الارستقراطي ثلاثة أشكال : فهو إما طبيعي ، أو انتخابي ، أو وراثي ، والاول لا يمارس الا في المجتمعات البدائية الساذجة . . أما الثالث فهو أسوأ نظم الحكم جميعا . في حين أن الثاني هو أفضل الثلاثة ، اذ أن الانتخاب يمكن من اختيار الحكيم ، النزيه ، مما يضمن سلامة الحكم .

وأول نقائص الحكم الملكي ، هو أن مصلحة العاهل تقتضي ان يبقى الشعب في حالة ضعف وفقر ، حتى يظل أفراد عاجزين

عن مقاومة سلطانه • كما ان الملكية تمكن الافاقين والانتهازين
من ان يلوا مناصب الشرف ، عن طريق دسائس البلاط ومكائد
العاشية •

أما الملكية الانتخابية ، فيعيبها ان موت الملك يصحبه
صطراب وفوضى •• في حين أن الملكية الوراثية تترك شخصية
ملك وأخلاقه في يد الصدق والحظ ••

تطور الظلم السياسي

♦ وكان جميع رجال الحكم يختارون في البداية
بالانتخاب ، فإذا طرح الثراء جانباً ، فإن الانتخاب كان يستند
إلى الجدارة والسن •• بيد أن الاقبال على اختيار الكهول كان
يستمتع بكرر عمليات الانتخاب بسرعة - اذ لا يلبث الكهل أن
يموت ، فتتجدد الحاجة الى اختيار حاكم - حتى غدت هذه
الانتخابات مصدر قلق واضطرابات ودسائس ومؤامرات
وانقلابات ، مما أفضى الى حروب أهلية كاد الناس يعودون
بفضلها الى همجيتهم الاولى ••

وانتهز بعض الحكام هذه الظروف ليثبتوا الولاية والحكم
في أسراتهم • وفي الوقت ذاته كان الناس قد ألفوا أن يكلوا
حقوقهم الى الدولة واستمروا الراحة ، فارتضوا ازدياد ربقة
الحكام في سبيل استمرار الطمأنينة •• وهكذا أصبحت ولاية
الحكم وراثية ، يعتبرها الحكام من ممتلكات الاسرة ، ويعتبرون
المجتمع ضيعة لهم ، وأفراد المجتمع عبيداً أو ماشية •• وأخذوا
يشبهون أنفسهم بالالهة ، وينتحلون ألقاب الإباطرة !

هكذا كان تطور عدم المساواة •• بدأ باقرار القوانين وحق
التملك ، ثم تبعه انشاء الولاية والحكم ، وتلاه تحويل السلطة
المشروعة الى سلطة فردية استبدادية •• وفي المرحلة الاولى
تم اقرار الفوارق بين الناس ، فكانت للفئتين الغلبة على الفقراء
•• وفي الثانية أصبح التفريق يتمثل في الاعتراف بتحكم

القوى في الضعفاء .. أما في الثالثة فانهى التفريق الى وجود سيد وعبيد ! .. وكانت هذه أقصى درجات عدم المساواة ، ما لم يقض على نظام الحكم بثورات جديدة ، أو يرد الى الطريق المشروع ..

ولو أنعمنا النظر في الموضوع ، لوجدنا انه ما لم تكن ثمة سلطة عليا قادرة على ضمان وفاء الطرفين المتعاقدين بالتزاماتهما - في العقد الاجتماعي - وحملهما على أداء تعهداتهما المتبادلة ، فلا بد أن يصبح كل من الطرفين حكما يقضى في الامر من وجهة نظره ، ويستبيح دئما حق فسخ العقد بمجرد أن يتبين أن الآخر قد أخل بنصوصه ، أو أن هذه النصوص لم تعد تلائمه .. وهنا يجدر قيام حق الاعتزال والنزول عن السلطان ، ذلك لانه اذا لم يكن للحاكم القابض على السلطان كله ، والمستبيح لنفسه خير ما في العقد من ميزات ، حق النزول عن سلطانه ، فإن للناس - الذين يعانون نتائج أخطائه - كل الحق في أن ينتفضوا على تبعيتهم له .. وتؤكد المنازعات والاضطرابات التي نشبت نتيجة لذلك مدى ما يعوز الحكومات البشرية من قواعد أكثر صلابة وتوطنا ..

ومن شأن الفوارق السياسية أن تستتبع فوارق مدنية اجتماعية ، فاذا ازدادت المساواة بين الحكام والشعب نموا ، انعكست على علاقات الافراد بعضهم ببعض .. والحاكم لا يملك أن يستغل أية سلطة غير مشروعة ما لم يؤثر على الاشخاص الذين سيشاطرونه هذه السلطة بامتيازات تفرق بينهم وبين بقية الناس .. كما أن الافراد لا يتقبلون الظلم الا بقدر ما يدفعهم في الحياة الطموح الاعمى ، اذ ليس من السهولة في شيء أن تحاول اخضاع رجل لم يبتل بطمع يملكه ويسيطر عليه ، وعلى هذا فان عدم المساواة يتفشى بين ذوى العقول التي تدفعها المطامع الهوجاء الى المجازفة ، والى الاستهانة بما قد

تتعرض له فى سبيل مطامعها من تقبل للربقة ورضى بالخنوع
 .. وكان من جراء ذلك أن مر بالناس عهد كان مجرد انعام
 الحاكم فيه على الفرد بقلب كافيا لان يرفعه فى عينى نفسه
 وعيون الناس ، فتعصيه المظاهر عن حقيقة ما تردى فيه !

الثراء هو منبع الانحراف والفساد

♦ **والخلاصة** أن عدم المساواة أصبح أمرا لا محيص عنه
 بين الاشخاص ، حتى بدون تدخل الهيئة الحاكمة ، فان
 مجرد اتحادهم فى مجتمع واحد أوحى اليهم بالمقارنة بين كل
 منهم وسواه .. والفوارق على أنواع : أبرزها الثراء ، والمرتبة
 والمكانة ، والنفوذ ، والمواهب الشخصية .. ولقد بدأت
 الفوارق بهذه الاخيرة ، ثم انحطت حتى بلغت الاولى ..
 اذ بالثراء يستطيع الفرد أن يتناع أية امتيازات أو فوارق
 أخرى . ومن هنا نرى كيف انحرف الناس عن قوانينهم
 الاصلية ، أو دستورهم الاول ، وانحدروا الى أقصى درجات
 الفساد .. وفى وسعى أن أبين بأسباب ، كيف أن حب
 الشهرة والظهور ، هو مبعث
 المنافسة ، والنجاح ، والفشل ،
 بل هو مبعث كل ما نمتلك من
 فضائل ورذائل ، ومن معرفة
 وخطأ ..



ولو مضينا قدما فى الحديث
 عن عدم المساواة . لوجدناه
 يسوقنا الى بحث فوائد ومساوىء
 كل نوع من الحكومات ، لما لها
 من علاقة بالانسان فى الوضع
 الطبيعى .. والى بحث جميع

النواحي المختلفة التي ظهر فيها عدم المساواة ، أو التي قد يظهر فيها في المستقبل ، تبعاً لطبيعة الحكومات العديدة المتباينة وما قد يدخله عليها الزمن من تحويرات وتغييرات . . . واذ ذاك نرى أن الجموع إنما تتلقى الظلم من بين صفوفها ، نتيجة للاحتياطات التي تتخذها لتحمي نفسها من الطغيان الاجنبى . . . ونرى أن الظلم يشترط باستمرار ، دون أن يتهياً للمظلوم أن يدرك الحد الذي ينبغي أن يقف عنده ، أو الوسائل المشروعة التي تبقت له كي يوقفه ويكبح جماحه ! . . . ونرى كيف ان الاساليب التي يلجأ اليها الحاكم الظالم لا تلبث أن تصرف الناس عن أعمالهم ، وأن تحول الابطال المدافعين عن البلاد الى أعداء لها ، وأن تضطربهم الى أن يشهروا سلاحهم في وجوه اخوتهم في الوطن . . . وفي غمرة هذه الفوضى ، يبتلع الاستبداد كل ما تبقى سليماً ، ويوطد دعائم صرحه على أنقاض الأمة . . . وينقلب الحاكم طاغية . . . وهذه آخر درجات عدم المساواة . . . بل هي النقطة التي تكمل الدائرة ، وتردنا الى حيث بدأنا ، اذ يرجع بمقتضاها الاشخاص - كأفراد - الى المساواة الاولى ، لانهم غلبوا سواسية في العبودية ، وأصبحوا ولا قانون لهم سوى ارادة حاكمهم ، ولا سلطان على هذا الحاكم سوى نزواته ، وقد تلاشت كل بواعث الخير وحوافزه . . . وهنا تكون العودة من جديد الى قانون الغلبة للأقوى ، والى الوضع الطبيعي وقد تجرد من نقائه وشاعته في أرجائه عوامل الفساد ! وبهذا يصبح العقد الاجتماعي - الذي قامت بمقتضاه الهيئة الحاكمة - مفسوخاً ، اذ أن المستبد لا يستمد بقاء سلطانه الا من بقائه أقوى من سواه . . . ومن ثم فإن إقصاءه أو القضاء عليه يكون عملاً مشروعاً . . . فان الغلبة للأقوى !

وأهم ما أنتهى اليه بعد هذا الاسهاب في الحديث عن عدم المساواة وبيان ما تؤدي اليه من عواقب ، هو أن الارادة العامة وحدها هي القادرة على توجيه قوى الدولة نحو الهدف الذي

قام عليه وضعها ، ألا وهو الصالح العام . ومن ثم فإن السيادة
 هو السلطان ، معناه ممارسة الارادة العامة ، وبالتالي فهو
 لا يعمل بوحى من ارادته . . . ولهذا السبب فإن السيادة - أو
 السلطان - لا يقبل التحويل ، ولا يقبل التجزئة ! . . لان
 الارادة اما أن تكون عامة شاملة - ومن ثم تكون رغبة من
 الشعب وتصبح قانونا - واما أن لا تكون عامة ، بل مجرد رغبة
 من شخص أو أشخاص معينين فيخرج تفردهم بها عن نطاق
 السيادة وحدود الحكم . . اذ أن القانون انما هو تعبير عن
 ارادة عامة ، وليس للهيئة الحاكمة - أو السلطان - أن تسن
 تشريعا يقتصر على جزء ممن يؤلفون الدولة ، لان هذا معناه
 أن الارادة العامة تدخل فى علاقة خاصة مع قوم معينين ،
 وهذا ما يناقض طبيعتها . . .

الحرية والمساواة هما أهم الاهداف

♦ ومن ناحية أخرى فإن المشرع الحكيم لا يبدأ بكتابة
 قوانين تبدو صالحة فى أسلوبها وكلماتها ، وانما هو يتلفت
 حوله أولا ليستبين ما اذا كان الناس قادرين على تقبلها
 والتزامها . . ويجب أن يضع نصب عينيه اعتبارات كثيرة :
 منها موقع البلاد ، وطبيعة أرضها ، وكثافة سكانها ، وتاريخها
 القومى ، وميول أهلها وحرفهم . . الخ
 ومن الاعتبارات الهامة ، مساحة الدولة . . فهناك حدود
 لكل دولة ، اذا تجاوزتها تغذر حكمها حكما صالحا ، واذا قلت
 عنها كانت من الصغر بحيث يتعذر عليها أن تعمل نفسها
 وتصون كيانها ! . . ولكل هيئة سياسية حد أقصى للقوة
 لا ينبغى أن تتجاوزه والا تعثرت وسقطت . . وكلما اتسع
 نطاق المجتمع ، تفككت عرى الرابطة التى تربطه . .
 والواقع أن القوة أو الاتساع ليسا أهم الاهداف ، بل ان
 أهمها جميعا هما : الحرية والمساواة ، وهما الغاية التى يجب
 أن يتجه اليها كل نظام تشريعى . .

ولما كانت الهيئة الحاكمة لا تعمل بغير القوانين ، وكانت القوانين نتاج الارادة العامة ، فان الهيئة الحاكمة لا تستطيع أن تعمل الا اذا اجتمع الناس وعبروا عن ارادتهم . ومن ثم كان لزاما أن تعقد في فترات محددة ثابتة ، اجتماعات للشعب لا سبيل الى الغائها أو ارجاء اجتماعها . .

الشعب الانجليزي ليس حرا !

◆ وقد أفضى هذا الى ابتكار انتخاب النواب أو المندوبين الممثلين للشعب في الجمعيات الوطنية . ولكن السيادة لا يمكن تمثيلها بمندوبين لانها تتمثل في الارادة العامة ، والارادة العامة لا يمكن أن يعبر عنها التمثيل أو المندوبون ، على أتمها . ومن هنا نرى أن الشعب الانجليزي مغدوع فيما يعتقد من أنه حر لأنه ينعم بنظام برلماني . والواقع أنه لا ينعم بالحرية الا في فترة انتخاب أعضاء البرلمان فحسب ، وبمجرد أن تتم عملية الانتخاب ، يترد الى نوع من العبودية .

غير أن من النتائج المنطقية المترتبة على العقد الاجتماعي . أن الغلبة للأغلبية في جمعيات الشعب ، أي المجالس النيابية . . والقانون الوحيد الذي يتطلب اجماعا تاما من الشعب كله هو العقد الاجتماعي . . ولكن ، كيف يكون الانسان حرا ، وهو يخضع في الوقت ذاته لقوانين لم يوافق عليها ؟ . . وأجيب على ذلك بأنه اذا ما عرض قانون على الجمعية الشعبية ، فان المسألة لا تتمثل فيما اذا كان المواطنون يقرونه أو لا يقرونه ، وانما هي تتمثل في : هل يتفق هذا القانون مع الارادة العامة أو لا يتفق ؟ . . فاذا أقرته الأغلبية في الجمعية . كان هذا برهانا للأقلية على أنها أخطأت اذ حسبت أنها تمثل الارادة العامة للشعب ، وبصـدوره يعتبر أفراد الأقلية مساهمين — كأعضاء في المجتمع — في وضعه ، مادام معبرا عن الارادة العامة ، وبالتالي يلتزموا بالخضوع له . .

أخلص من كل هذا العرض الى أنه لا يكاد يوجد في الوضع الطبيعي - الذي فطر عليه الانسان - شيء من عدم المساواة ، وإنما نشأ كل ما يسود المجتمع الآن من عدم المساواة ، نتيجة اشتداد ونمو مواهبنا ، ونتيجة تقدم العقل البشري . ثم توطد واكتسب صفة الدوام وشرعية وجوده باقرار حق التملك ، وباصدار القوانين .

سكك حديد جمهورية مصر

تبادل النقل بين محطات سكك حديد جمهورية مصر
وسكك حديد السودان

يتشرف مدير عام مصلحة سكك حديد جمهورية مصر باعلان الجمهور بأنه قد تقرر تقدير أجور نقل جميع البضائع المصدرة الى محطات سكك حديد السودان بذات الاجور المعمول بها في النقل محليا بدخل الجمهورية المصرية .

اعلان

تقبل العطاءات بمكتب السيد مدير ادارة الميزانية والمشتريات بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم الاربعاء ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٤ عن توريد ١٠٧ طن قش أرز لازمة لحيوانات البوليس عن سنة ٥٤ - ١٩٥٥ ويمكن الحصول على الشروط من المكتب عاليه مقابل ٢٠٠ مليم يضاف اليه ٢٠ مليم اجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمفة من فئة ٥٠ مليم

٨٦١١

اعلان

تقبل العطاءات بمجلس المحلة الكبرى البلدى حتى ظهر يوم الاربعاء ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٤ عن توريد ١٥ عربة بكليش و١٢ عربة قمامة مفسرد وتطلب الشروط والمواصفات والرسومات من المجلس على ورقة تمفة فئة خمسين مليما نظير دفع مبلغ جنيه وخمسمائة مليم للنسخة الواحدة بخلاف ستين مليما اجرة البريد وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائي قدره ٢ في المائة لا يلتفت اليه .

٨٥٩٣

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد
الماضية المسرحيات العالية الآتية :

- * خطايا الحب : لاوسكار وايلد
 - * الحب الآثم : تولستوى
 - * نزاهة الحكم : جوجول
 - * سلاح المرأة : اريستوفان
 - * فولبون : بن جونسون
 - * جيوكندا : دانونزيو
 - * كلام الناس : جوزيه اشيجاراي
 - * مدرسة الفضائح : شيريدان
 - * سيرانو دى برجرآك : رويستان
 - * لعبة الحب والموت : رومان رولان
 - * مروحة اللبدي وندرمير : وايلد
 - * فاوست : جيته
 - * اوديب الملك : سوفوكل
 - * فى سبيل الحب : جون درايدن
 - * وليم تل : شيللر
 - * الام : مكسيم جوركى
 - * الملك يلهو : فيكتور هوجو
 - * اللبحة : اندريه اوبيه
 - * الجنس الآلى : كاريل كايك
 - * الابن الاكبر : جالزورثى
 - * هرمانى : فيكتور هوجو
 - * ترويض النمرة : شكسبير
 - * الحياة نفاق : لويجى بيراندلو
 - * اغلال الحب : ستيف باسير
 - * المنافق (طرطوف) : موليير
- واليوم اقدم لك فيما يلى هذه
المسرحية الحديثة التى تمثل على مسارح
باريس منذ شهور بنجاح كبير ..

عندما ترفع
الستار ..



روائع
المسرح
العالمى
(أنتهى والغنائى)



قصة تمثيلية كبرى للروائي الفرنسي المعاصر "تيري مونيه"



عرض وتلخيص : الاستاذ انور لوقا

عزيزى القارىء . . .

♦ قدمت لك فى العدين ٢٢ و ٢٣ من (كتابى) خلاصة كتاب (آلهة ومقابر وعلماء) ، ثم مسرحية (ثمن الريح) ، اللتين تولى تلخيصهما الاديب الاستاذ انور لوقا ، الحاصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة منذ اربع سنوات ، والذي يكمل الآن دراسته بجامعة السربون بباريس ليحصل منها على دكتوراه الدولة . . .

وقد التقيت به اخيرا فى باريس ، فوجدته منهما فى جمع مادة كتاب شائق وهام عن « خفايا اسرة محمد على » ، استقاه من مذكرات مستفيضة للمستشرق الفرنسى « دافين » الذى امضى من حياته ١٧ عاما فى مصر ، عمل خلالها فى خدمة كل من : محمد على ، وابراهيم ، وعباس ، ثم عاد الى مصر فى عهد سعيد واسماعيل ليكمل دراسته للمجتمع المصرى فى عهديهما . . . وخلال ذلك استطاع ان يقف على الكثير من خفاياهم واسرارهم ومظالمهم ، فسجل فى مذكراته الصريحة هذه اخطر المعلومات التى تناقض وتنقض قلائد المديح التى صاغها لاولئك الحكام مؤرخون اشتروهم بالمال ! . .

وقد اختلس الاستاذ انور لوقا بعض الوقت الذى يعكف فيه على اعداد كتابه المذكور ، كى يقدم لقراء كتابى هذه المسرحية الحديثة التى تمثل على مسارح باريس منذ شهور بنجاح كبير :

مسرحية مثيرة ومؤلف شاب

♦ اذا كان أبلغ الكلام هو ما يناسب مقتضى الحال ، فان أبلغ مسرحية تقدمها لنا باريس اليوم هى مسرحية « تيرى مونييه » الأخيرة : (بيت الليل) . فموضوع هذه القصة هو الموضوع الذى يسيطر على العالم بأسره . . . هذا القلق الذى يملأ صفحات الجرائد صباحا ومساء ، ويصطدم به فكرك كلما نظرت فى حياتك وفى مشاكلك المادية والمعنوية : فاقتصادك وما تلغى

من الرخاء أو القلة ، وحريرتك وما تجد من ضيق أو تفريج ، وراحتك وما تحس به من أمن أو اضطراب ، وعواطفك التى تطفئ على مصالحك ، أو مصالحك التى تطفئ على عواطفك ، ووضعك فى منتصف القرن العشرين بين الحق والواجب ، وما أصبحت عليه علاقتك بالمجتمع وعلاقتك بالفرد ، كل ذلك مرتبط بآثار الماضى الذى لم يكذب ينقض ، وعلائم المستقبل الذى يوشك أن يحل . وهذا ما تتناوله قصة « بيت الليل » .
هى اذن قصة الفرد والجماعة ، وملحمة العقل والعاطفة ، كما يحددها موقف الانسانية فى العصر الحاضر .

هى قصة المرأة التى تخون زوجها حرصا على حياته ، والمواطن الصالح الذى يخاف من المواطن الصالح . . . هى قصة المادة التى تنكر العاطفة ، والحياة التى تأبى أن تجسد فى فوالب المادة . . .

ولمست طرافة الموضوع وحدها أو مناسبة لمقتضى الحال هى التى تثير إعجابنا بهذه المسرحية . فهى بلا شك مسرحية قوية جريئة تعبر عن أزمة الضمير الانسانى الراهنة . ولكنها فوق ذلك - من ناحية الصياغة الفنية - أثر متقن ممتاز ، قد ارتفع بها مؤلفها الى درجات النقاء والصفاء والتركيز التى تميز فى المسرح الفرنسى الكلاسيكى ، وبخاصة مسرح «راسين»
فالمؤلف - وهو فى الخامسة والأربعين من عمره - أديب واسع الثقافة ، عميق الفكر ، مرهف الذوق . . . تخرج عام ١٩٣١ فى مدرسة المعلمين العليا ، تلك التى أنجبت لفرنسا معظم أدبائها فى الأجيال الأخيرة . وسرعان ما أدار ظهره للتعليم وللجامعة ، وفرغ للتأليف والنقد الادبى والمسرحى ، فقدم كتابا رائعا عن راسين ، واقتبس للتمثيل الحديث بضع مسرحيات من الأدب القديم ، وما زال يحرق الصفحة الأدبية بانتظام فى جريدة حية فنية هى صحيفة COMBAT وقد أخذ نجمه الآن يتألق فى سماء المسرح الفرنسى بجداراة .

بين تييرى مونييه وراسين

♦ فهم تييرى مونييه عبقرية راسين ، واستكنه كيف استطاع الكاتب الكبير أن يحقق المثل الأعلى للمأساة التي لم يكن بد من أن تجرى حوادثها في يوم واحد من أربع وعشرين ساعة لا أكثر ، وفي حدود منظر واحد لا يتغير ، وأن تعرض موضوعا واحدا محكم العقدة واضح المدار . وقد أشاد برشاقة راسين في حمل تلك القيود البلاغية العتيقة وتضييقها على نفسه ، حتى نقى فن الانشاء المسرحي من شوائب الملابس الكثيرة الغريبة ، وسخف المفاجآت غير المعقولة ، وفوضى الحركات التمثيلية التي تطرأ من الخارج على الأشخاص والمواقف . ولمس الناقد الشاب أن راسين حقق هذا المثل الأعلى للمأساة ، لأنه استجاب قبل كل شيء لسجيته الصادقة المرهفة التي استحوز عليها نقاء الطبيعة وبساطة الحقيقة ، فكان أن اتخذ من العواطف وتطورها في القلب مواضع مسرحياته ، وصور لنا النفس الانسانية ازاء مصيرها عارية ، مجردة من ثياب الرياء والصنعة والتكلف . .

وكان القدماء يجنون موضوع مآسيهم بوجه عام في اصطدام ارادة الانسان بارادة القدر . وقد نقل « تييرى مونييه » هنا الصراع من السماء الى الارض ، أو مما وراء الطبيعة الى الواقع ، ومن العصور الغابرة الى العصر الحديث ، فعرض علينا في هذه الرواية نزاع الفرد والجماعة ، وصراع النفس التي تشد الحرية والسعادة ضد المذاهب التي تريد إلغاء هذه الحرية وهذه السعادة في سبيل حرية الانسانية جمعاء وسعادة الانسانية جمعاء . . ولكنه صرح بأنه لا يكتب في السياسة ولا يحب أن يخوض غمارها ، وإنما اختار بعض أبطاله من الشيوعيين وبعضهم الآخر من غير الشيوعيين لأن في تعارض هؤلاء وأولئك مادة رائعة للكاتب المسرحي . فهناك أزمة وانقسام والتحام ، والمأساة المسرحية لا تعرض الا أزمة

وانقساماً والتحاماً • وانه ليركز هذه الأزمة في نفر قليل ، وفي زمن قصير لا يتجاوز الساعات الثلاث التي يستغرقها التمثيل • وانه ليحاول أن ينأى بها عن الجدل العقلي – فالمناقشات الفلسفية والمنطقية تثير ملل النظارة وتقتل الحياة الجارية على خشبة المسرح – وهو يفلح في أن يجعل العاطفة هي المسيطرة على أشخاص قصته من رجال ونساء • وكما كان راسمين يتخذ موضوع مأساته من إحدى العواطف الكبيرة – كالحب أو الوفاء مثلاً – نلتهم هذا البطل أو تلك البطلة ، فان تييري مونييه يتخذ موضوع « بيت الليل » من الشفقة – ويالها من عاطفة عميقة مستحكمة عاتية !

ليس في هذه القصة المتأزاة اذن – وان أثارت سخط الشيوعيين – دعاية لأي مذهب سياسي ، فهي لا ترمى الى اثبات فكرة أو رأي ، ولا تميل مع أهل اليمين ولا مع أهل اليسار ، وانما تحاول أن تنفذ الى أعماق النفس الانسانية في مأساتها الحالية ، كما صنع القدماء ، وبالاخص « راسين »

- ١ -

♦ نحن في داخل بيت واقع بين حدود دولتين من دول أوروبا الوسطى ، فمن الشرق حدود جمهورية شعبية خاضعة لأوامر الحزب الأعلى ونواحيه ، ومن الغرب حدود جمهورية حرة • ويبدو على أثاث القاعة وجدرانها آثار التلف الذي لحقته الحرب بالمكان منذ وقت غير بعيد : كراسي بعضها سليم وبعضها مبقر ، ومائدة هي لوح من خشب فوق حاملين ، وصفائح « بنزين » في ركن من الأركان ، وساعة عتيقة ثمينة قائمة بجوار أحد الجدران يشير عقرباها الى الساعة التاسعة عند ارتفاع الستارة ، وتدور دورانها الطبيعي ، أي أنها ساعة مضبوطة تقرأ عليها الوقت الحقيقي • فان أحداث الرواية تجري أثناء الساعات الثلاث التي تستغرقها مشاهدتنا للتمثيل ، وتنقضي عندما ينتصف الليل •

ونرى فى بيت الليل هذا امرأة ورجلا وفتاة • وقد جلس الرجل والمرأة - وهما من نزلاء البيت العابرين - يلعبان الشطرنج ، ووقفت الفتاة - وهى ابنة البيت - لا تعمل شيئا بل تنتظر وتصيخ السمع ••

أما المرأة فقد جاوزت سن الشباب ، هلوع ، ثرثارة ، نعلم أنها « كوننة » من أشراف الدولة الشرقية ، قد أفلحت أخيرا فى الفرار وعبور الحدود للانتحاء الى الغرب ، بعد أن نكل الفلاحون بزوجها « أنكونت » الذى كان سيدهم الجبار ، وثأروا منه بأن خلعوا عليه جلد خنزير برى وأطلقوا عليه كلابا ضارية فمزقته اربا اربا ! وأما هذا الرجل الذى تلاعبه - ويدعى أدلر - فيصغرها سنا ولكنه يكبرها رصانة وجدا ، قليل الكلام ، لا يكشف اللثام عن شخصيته ، ولا يكاد يرحب بتوددها اليه واقبالها عليه ، اقبال المرأة التى انصرف عنها الجميع ، على رجل قد يشفى نفسها مما تجد !

لكن الرجل قلق لتغيب رب البيت « كلوسوفسكى » الذى خرج تحت جناح الظلام والضباب للقاء بعض اللاجئين من الشرق واعانتههم على عبور الحدود ، ونحن نشاطره هذا القلق اذ نسمع طلقات نارية ونباح كلاب خارج الدار ، واذ نسمع أقوال الفتاة « ليديا » - وهى التى اعتادت كل ليلة قدوم نزلاء يفلتون فى عناء من رجال الحدود الشرقية - تشرح لأدلر ماذا يعنى اطلاق الرصاص وماذا يعنى نباح الكلاب ! وها هى ذى تهرع الى المصباح فتطفئه ، فقد استنتجت ان اللاجئين قد اقتربوا من البيت ، وخير لهم ألا يسطع عليهم نور الدار فيظهرهم لرجال الحدود الذين يرمونهم بالرصاص من بعيد ، ويعلو فى الخارج صوت « كلوسوفسكى » كالمستغيث داعيا « ليديا » الى التعجيل بفتح الباب • وفى الظلام يسرع اللاجئون ومضيفهم بالدخول • ثم يضاء النور فنرى القادمين وعليهم علائم الاضطراب والفزع ، لاهئين مروعين ، يستردون علائم الاضطراب والفزع ، يلهثون مرتاعين ••

ويسألهم كلوسوفسكى هل سلموا جميعا من طلقات الرصاص؟ فيجيبه أحدهم - «هاجن» - بأنهم قد نجوا جميعا ، ولكن رفيقه ضل الطريق . بيد أن كلوسوفسكى يصب خمرًا ويشرب غير عابئ بشيء . وتخرج ليديا للبحث عن الفتى الضال . وما أرخص الحياة على الحدود ! لن يكون ذلك الفتى المفقود آخر لاجئ يهلك ولا أول لاجئ ينجو . ففي كل ليلة ، ولا سيما في الليالي الحالكة ، يزحف على بطونهم عبر الاسلاك الشائكة مئات من أهل تلك المناطق الشاسعة الممتدة من شواطئ البلطيق الى جبال بوهيميا ، لاجئون من جميع الطبقات ، ضباط من الجيش القديم ، وأشراف وأغنياء ، وسجناء أفلحوا في الفرار من معتقلاتهم ، وعمال ، وفلاحون طردوا من أراضيهم ، أولئك الذين يهربون من الجوع وأولئك الذين يهربون من الخوف . . . وكثيرا ما تكون بينهم عائلات مؤلفة من خمسة أفراد أو ستة ، قد لا يصل منهم الى هذا البيت الا اثنان أو ثلاثة ! ألم تبلغ الدار ذات ليلة امرأة تحمل على كتفها طفلها وقد كتمت فاه بملفعتها لتكتم صياحا خليقا بأن يفشى أمرها ، وحين كشفت وجهه وجدت أنها أسرفت في تكميته وأنه قد فارق الحياة منذ ساعات طوال ؟!

وتدخل ليديا مقتادة « كراوس » ممسكة بيده . وانها لتنظر اليه برهة قبل أن تترك يده ، ثم تنظر اليه نظرة أطول ، فهي لم تر وجهه في الظلام المطبق خارج الدار . وتدعوه الى الجلوس بجوار المدفأة ، ثم تسأله هل يرغب في تناول شراب ما ، فيحسده رفيقه «هاجن» على هذه العناية التي لم يلقها سواه . وتحسد « الكوننته » تلك الفتاة الرقيقة على صيدها الثمين ، سائلة اياها في خبث هل تصيب فتى وسيما كهذا كل ليلة ، فتستدير « ليديا » وتخرج كالغزال النافر . ويقص كلوسوفسكى قصتها ، فهي ليست ابنته ، وانما هي صبية جرفها الى ذلك المكان سيل من اللاجئين في نهاية الحرب

عام ١٩٤٥ • وكانت تلك الدار قد فقدت أهلها ، وكان هو قد فقد داره ، فالتقط الصبية المتخلفة من جمهور الهاربين ، كما التقط صفائح البنزين والساعة ، وأثث البيت بها جميعا . وكانت ليديا اذ ذاك فى نحو العاشرة من عمرها • لم تقبل له قط ماذا رأت قبل أن تلقىها الأحداث الى الحدود • لعلها رأت قريتها تحترق ، وأهلها يتلفون فى نار ذات لهيب • • ولا بد أنها رأت أشلاء متناثرة فى كل مكان ، وجنودا بواسل ينتهكون أمها ، وينتهكون عذارى القرية ولا حول لهم ولا قوة !

على أن مصير هذه الشرذمة الحالية من اللاجئين مصير غامض مجهول . فلئن كانوا قد اجتازوا الحدود الشرقية فانهم لم ينتهوا بعد الى أرض الجمهورية الغربية • والجمهورية الغربية قد أغلقت حدودها فى وجه الجميع منذ ثمان وأربعين ساعة ، ظنا منها أن جارتها الشرقية قد دست إليها عددا من الجواسيس ، أو عجزا منها عن ايواء هذه الحشود الجرارة من الناس • على هذه الشرذمة اذن أن تقضى الليلة فى هذا البيت ، وإن غدا لناظره قريب • •

ويصعد بهم كلوسوفسكى ليرشدهم الى غرفهم ، ولكن «فرانز ورنر» و «كاترين» - ولا نعلم من أمر هذين اللاجئين شيئا بعد - يبقيان ليتحدثا فيما بينهما حديثا خاصا يكتمانه عن الآخرين • لم تكن كاترين تعلم الى أين سيمضى بها فرانز ، فقد سألها منذ بضعة أيام أن تأتى معه دون أن يستطيع مفاتها بسبب رحيله ولا بوجهته • ولقد وثقت به ثقة عمياء لأنها تحبه ، وإن كانت تعاتبه فى رفق على ما ساوره من قلق ومن شك فى اخلاصها ، اذ خطر له أنها قد تكون من جواسيس الحزب عليه ، غير أنه يؤكد لها حبه بما فعل وما يفعل • فهو يريد ان ينتشلها من عالم الغدر والنميمة والريبة ، من عالم يحذر فيه الزوج زوجته والأخ أخاه ، من عالم يتهم فيه الوطن

أباه بالخيانة على رؤوس الأشهاد ويدعو المحكمة الى اعدامه !
 .. من عالم يشترى فيه المرء حياته - بل أياما معدودة من
 حياته - نظير هوانه وتحقير نفسه . ها هما يديران ظهرهما
 لذلك العيش الرهيب ويقبلان على الطمأنينة والقرار
 والسعادة ..

ولكن كاترين تشعر بأنها اقترفت ذنبا ، وبأنها تختلس
 السعادة اختلاسا . فان للسعادة ثمننا لم تدفعه هي . ذلك
 انها انتزعت فرانز من أحضان زوجته « ليز » ، لكنها تخشى
 أن يظل محتفظا بشيء من عاطفته الأولى .. فان المرء لا يدبر
 ظهره لماضيه كما يديره لحدود بلد من البلاد ! وان ذكرى تلك
 الزوجة لخليقة بأن تلاحقهما وتفسد عليهما أصفى الايام
 المقبلة . وهنا يعترف فرانز بأنه قد أمسى خالص النية مرتاح
 الضمير ، فقد عرض على امرأته أن ترحل معه - وان كان
 ذلك تهورا منه - أفليس بين الزوج وزوجته، مهما كانت
 الظروف ، واشجة عميقة من الالفه والتضامن والبؤس المشترك
 تجمعهما دائما كما تجمع السجينين المكبلين سلسلة واحدة
 يجرانها معا فى كل خطوة نحو الموت ؟ بيد أن « ليز » امرأة
 ضئيلة الفكر ، ضيقة الأفق ، لا تقدر كبار الأمور ، ومن
 طبيعتها أن تزحف لا أن تطير . بذلت كل جهدها وعنادها
 لتعيد الوفاق بينه وبين رجال الحزب ، لا عن اقتناع منها
 بأن رجال الحزب على حق ، بل تلافيا للأخطار التى يتعرض
 لها زوجها الوزير ، وتجنبا للعقبات التى لا بد أن تقوم فى
 سبيله اذا هو جهر برأيه وأظهر استقلاله . ولو أنه أطاعها
 لظل قويا فى مركزه السياسى ، جبان النفس مستعبدا ذليلا فى
 واقع الأمر . وكان للاحاحا عليه وحرصها على السلامة
 وتشبثها بالباطل أثر الداء المعدى ، فقد كان يدوى فى خاطره
 أحيانا صدى ما تلقنه ، ولم يكن له بد من الفرار لتوقى تلك
 العدوى . فتسأله كاترين :

— أفلم تحبها قط ؟

— أين يبدأ الحب وأين ينتهى ؟ ان الأمور ليست بهمه البساطة ، حتى بالنسبة لجسمين يتحدان • ومن ذا الذى يستطيع أن يشرح جميع ما يثور فى ضمة جسمين من الضيق ازاء الوحدة وازاء الموت • من الهزل ، ومن البغض • من الحنان ومن الالهانة • من الرحمة ومن الوجد ؟

— اذن فقد كانت جزءا منك • ألا ترى أننى فى حاجة الى أن أحس بأنها عدو ، وأن أتوقع من ناحيتها الخطر علينا ، ولا سيما الآن ؟

فياخذها بين ذراعيه ، ويحاولان أن ينسيا الزوجة المهجورة وأن يذكرأ غرامهما • ويفمرهما البشر اذ يفكران فى أنهما مقبلان فى غدهما على أوروبا ، فان الدنيا الآن لهما ، من ألمانيا التى نضرت بمدنها الجديدة كالغابة استعادت خضرتها بعد حريق ، الى باريس التى تمد قصورها الزاخرة تحت سماء الاخاء الانسانى ، الى انجلترا التى تبرز صخور شطآنها من الضباب كذهب تاج يطفو على صفحة البحر ، الى ايطاليا الغنية — رغم فقرها — بنور الشمس وبهرج المرمر وأغاني الفرح ••

ويفبقان من حلمهما اللذيذ على صوت امرأة تستغيث فى خارج الدار ، صوت سمعته « الكونتة » أولا ، ثم سمعه رب البيت فهبط يستطلع الأمر تصحبه ليديا • ويكره العاشقان أن يزدحم القوم من حولهما فيقطعوا عليهما نجواهما • ويصعدان اذن الى غرفتهما • ولا يلبث كلوسوفسكى وليديا حتى يعودا من الخارج ومعهما امرأة فى حالة اعياء شديد ، لا تكاد تملك القدرة على الكلام • فيقدمان لها قدحا من الخمر تحسوه جرعة جرعة ويعود اليها صوابها • عجيب أمر هذه المرأة ! فانها عجلة تريد أن تواصل طريقها فى الحال لتبلغ بيت كلوسوفسكى ! ويندهش الجميع اذ يرون من حديثها انها قد عبرت الحدود

الشرقية بسهولة اعجازية ، وانها لم تدرك بعد انها انتهت فعلا الى بيت كلوسوفسكى ، وأن كلوسوفسكى هو هذا بعينه الذى يخاطبها . اذ ذاك تسأله هل أتى لديه الليلة رجل ؟ فيجيبها ساخرا : بل رجال كثيرون ! ولكنها تبحث عن رجل واحد ، رجل أسمر ، طويل القامة ، تصحبه فتاة . انها تريد أن تراه ، وأن تراه بمفرده . فيصعد رب الدار ليدعوه . وتنصرف الكونتة مع أدلر ليستأنفا مباراة الشطرنج . ويقترب الرفيقان « هاجن » و « كراوس » ويحتلان صدر المسرح .

ويتضح لنا من حوار الرفيقين انهما من أعضاء الحزب فى الدولة الشرقية ، وأنهما أقبلا للقيام بمهمة خاصة - وان كانا لا يعرفان ماذا سيؤديان على وجه التحديد ! - على أن لكل منهما شخصيته وصفاته . فهاجن رجل يشعر بالحياة من حوله ، ويتكلم ، ويبتسم ، ويعلق على كل شيء تعليقات انسانية صريحة . وأما كراوس ففتى ساكن صارم ، لا يتكلم كثيرا ، لأنه لا يفكر كثيرا ، ولا يرى فى الحياة الا طريقا واحدا مرسوما هو طريق الحزب الأعلى . يستبشر هاجن فى شيء من السخرية بأن رحلتها الشاقة لا تخلو من ترفيه ، فها هي ذى امرأة ثالثة تفد الى البيت . وهو وان كان يعرف شخصيتها الا انه لا ينظر فيها لغير « المرأة » . على حين لا يرى فيها كراوس - وهو يجهل شخصيتها - الا واحدة من الطبقة « البورجوازية » تبنو عليها التفاهة ، ولا يأسف على أن تلوذ هى وامثالها بجمهورية الغرب ، اذ ينبغي أن يتخلص الشرق من تلك الطبقة على كل حال . ومعرفة هاجن بها معرفة جيدة ، فقد سبق له أن راقصها مرتين أو ثلاثا بل وطارحها الضرام ، تنفيلا لأوامر صلت الىه . فيسأله كراوس :

- من تكون ؟

- لا غناء فيها . انى متأكد من انك تفضل ليديا .

- ليديا ؟

— ليديا التى هدتك سواء السبيل فى الظلام والضباب والخطر

— ألا تظن أننا نستطيع أن نتحدث فى جد الأمور ؟ أترى أن نظل محاصرين فى هذا المكان ؟

— وما العمل ؟ إذا نحن حاولنا أن نتسلل خلال الحدود الغربية تعرضنا لخطر الاعتقال وانكشفت حقيقتنا . اليس من الخير أن ننتظر وأن نخفى عن العيون ما استطعنا ؟ هل لديك تعليمات عن المهمة ؟

— كلا . اسم وعنوان فقط . وهناك سيقولون لى ماذا أفعل

— وأنا مثلك ليست لدى معلومات أكثر

— هذا أفضل . فنحن متى صرنا بين أهل الغرب أصبحنا على أرض العدو ، وخيرا فعل رؤساؤنا اذ حمونا من أنفسنا بكتمان سر المهمة عنا !

— نعم ، لا ثقة الآن فى أهل الثقة

— وانهم على حق ، فالقاعدة هى ألا تثق فى شخص قط . انك تعتقد انك موضع للثقة ، وانى اعتقد اننى موضع للثقة ، ولكن قد يحدث أن نتورط كلانا فى الخطأ !

— أنا أحب على الأقل أن يستخدمونى حسب اختصاصى

— حسب اختصاصك أم حسب ذوقك ؟ ان الجمهورية

الشعبية لا تسألنا أن نصنع ما نحب ، بل أن نصنع ما يجب !

— ألا تعتقد أن المرء يجيد ما يصنع اذا هو صنع ما يجب ؟

— ينبغى أن يصنع المرء أيضا ما لا يجب ، وأن يجيده نفس

الاجادة !

— اهذه هى أول مهمة تنهض بها فى الغرب ؟

فلا يجيب كراوس ، بل يتجه الى النافذة ، ويحاول أن يغير مجرى الحديث . الا أن هاجن يذكر ما اجتازا من هول عند عبورهما الحدود الشرقية ، ويبدى دهشته من أن الحزب له ينسب رجال الحدود لكى يفسحوا لهما الطريق ، بدلا من اطلاق

الكلاب عليهما واطلاق الرصاص .. ولكن كراوس يرى في ذلك حكمة التمويه على أصحاب الحدود الغربية . ثم يدعو هاجن صاحبه الى الشرب فيرفض :

- انى لا أشرب قط ، ما لم أتلق أمرا بالشرب

- ولا فى مناسبة غير اعتيادية ؟

- ليس فى حياتى مناسبات غير اعتيادية

- سيأتى يوم مماتك !

- يوم مماتى يوم عادى

- ليكن . أما أنا فأشرب ، أشرب نخب ليديا ..

- ما دام ذلك يلهيك

- ... ونخب الرجل الخطير الذى يشرفنا بالنزول معنا الليلة فى هذا البيت المتواضع .

- أى رجل خطير ؟

- زوج الباكىة الحسناء : « فرانز ورنر » !

- فرانز ورنر ؟ رئيس جماعة « الاشتراكيين الاحرار »

وزير الدولة ؟ .. انك تهزأ بى !

- لقد كسبت الرهان . فقد راهنت نفسى على أننى سأخرج

كراوس من سكونه وأراه مضطربا

- فرانز ورنر .. هارب الى الخارج ؟

- فيما يبدو ..

- أما استطعت أن تنبئنى من قبل ؟

- أمامنا متسع من الوقت ، فان الحدود الغربية مغلقة

دوننا جميعا ..

- ينبغى يهاجن ألا يعبر فرانز ورنر الى الخارج !

- ٢ -

♦ ما أقسى لقاء المرأة المهجورة بزوجها الهاجر ! وأيهما

الذى يقسو على الآخر ؟ لكل منهما نفسه ومشاعره وموقفه ..

فكلاهما عادل في جوره ، جائر في عدله ! هذه « ليز » متولاهة
ملتاعة ، تنفث وجدما • تقول لفرانز انها اقتحمت الاوهوال
لتلحق به ، وان اجترعها كأس الموت لاهون عليها من الرضا
بفراقه ! •• لكن «فرانز» لا يلين لها ، وهو الذى لم يستطع
طوال حياته الزوجية أن يميز حديثها الصادق من حديثها
الكاذب ! فتقسم له انها تقول الحق ، وتستغفره وتستعطفه ••
ثم تسأله من تكون تلك المرأة التى اصطحبها فى فراده ؟ وتجب
نفسها بانها لن تكون سوى سكرتيرته فى الوزارة ، عشيقته
كاثرين ! وبماذا عساها تمتاز عليها ، هذه الكاثرين ؟ أتمتاز
عليها بالصبا والجمال ؟ ربما كانت أرق خلقا ، والطف طبعاً ،
وأنبت جاشا • ولا بد انها من النساء البارعات فى فن اجتذاب
الرجال وتسييرهم وراءها •• ما الذى أعجبك فيها ولم أقدمه
إليك ؟

وتدقق عبارات المرأة المكلمة كأنها تهذى ، وزوجها صامت
يسمع ولا يقول لها شيئاً •• حتى تستدرك قائلة :

— كلا ، بل كل ما هنالك هو أنها أشد منى ثقة بنفسها ،
تستطيع أن تخفى جزعها ، وأن تكتم ألماً • قل لى ماذا أعجبك
فيها ؟ فانى لأستطيع أن أصبح جديرة بك يا فرانز لو أنك
رغبت فى معاونتى على ذلك قليلاً • سأقرأ كتبك • اننى منذ
وقت طويل أريد أن أقرأها • ولسوف تشرح لى الصعب منها
•• انى •• انى سأحاول أن أشبهها !

فيستنكر زوجها منها أنها تمثل أمامه دور المرأة المهجورة ، مع
انها هى التى انصرفت عن حبه منذ أعوام ، وجهرت له بذلك ،
وتمادت فى حماقتها فخانت عهده وارتمت فى أحضان غيره من
الرجال ، وحالفت خصومه ، وأرغمت على الحد من حريته
واستقلاله • أما هى فتعذر عما سبق من التماسها لرجل
سواءً بحاجتها اذ ذاك الى من يجعلها تحس بالحياة ، بينما كانت
شواغله هو تستأثر به من دونها •• وتعذر له عن معارضتها

أدائه بالخوف الذى كان يدفعها الى استرضاء ذوى السطوة والبأس الشديد فى الدولة . ثم تخبره بأنها قد مهدت الأمور لانضمامه رسميا الى الحزب ، وما عليه الا أن يعود الى الوطن ، فيجيبها فى حزم :

— عبثا تحاولين . لقد رحلت لأنه لا يوجد فى الشرق مكان لى ولا للآراء التى أَدافع عنها وأريد الدفاع عنها .

— آراؤك ! آه .. أتصرف أنت ما هى آراؤك ؟ ومن أين استقيتها ؟ هل هى خير من آراء الآخرين ؟ انى أقر أن يترك المرء كل شيء فى سبيل مبادئه اذا لم يكن صاحب أسرة وصاحب بيت وصاحب مال ، اذا كان مجرد طالب أو عامل ، اذا لم يكن له فى دنياه شيء ! أما أنت ! .. انى على كل حال عائلة بأرائك ، فأراؤك هى تلك المرأة !

وينفجر سخط المرأة التى لا تفكر الا بمطافئها . ولو أن زوجها كان راحلا بمفرده لهان عليها الأمر . فهى لا تستطيع أن تحتمل وصاله لامرأة سواها ، وترفض أن تعسود أدراجها خشية أن يثار منه قادة الحزب فى شخصها ! وهنا يعرض عليها فرانز أن تصحبه الى الغرب ، ويعرض عليها ذلك اصالة عن نفسه ونيابة عن كاترين التى ستصبح زوجته . فتشور ليز فى وجهه ، وتلجأ الى استخدام سلاحها الأخير ، سلاح التهديد والوعيد ، وتنبئه بأنها أبلغت أمره فى خطاب عاجل ارسلته الى صديق لها من رجال الحزب ، وانه سيصبح تحت طائلة بوليس الدولة منذ أن يتسلم الرجل هذه الرسالة فى بريد الصباح . اذن ليس له من مفسر ما دامت الحدود الغربية مظلمة دون الجميع ، ليس أمامه الا سواد الليل يتخذ فيه قراره بالعودة ، اذا كان يفضل العودة وزيرا على العودة معتقلا ! اذ ذاك يتخلى الزوج عن زوجته .. ينبذها ويطردها عنه ، فتتوارى .. وينادى كاترين فيخبرها بما حدث ، ويفضى اليها بأنه تأكد من أن كلوسوفسكى لديه تعليمات خاصة بشأن

مرورها بمجرد أن يبرز له بطاقة معينة • وتبدو لبيديا ،
فيسألها في الحال أن تدعو رب البيت •
ويحضر كلوسوفسكى • ويطلعه فرانز على البطاقة ، فيخرج
وريقة من جيبه ويقرأها ثم يقول :

— ستكون التعليمات الخاصة بكما بين يدي الضابط الذي
يتسلم حراسة مركز الحدود الغربية في الساعة الحادية
عشرة • لا جمر ك ولا معسكر ، بل الفنادق في انتظاركما •
انى واثق من أنكما لا تفضلان الاستمتاع بضيافتى أطول مما
ينبغي ، موعدى معكما هنا في الساعة الحادية عشرة الا الربع
لاُخرج بكما الى الحدود • واحرصا على ألا يعلم بالامر أحد من
النزلاء !

ويخرجون من القاعة بينما تدخل الكونتة ، وقد فرغت من
مباراة الشطرنج ، تسأل لبيديا أن تسقيها كأسا من شراب
قوى • وتشرب ، وهى تسدى الى الفتاة الرقيقة نصيحة امرأة
مجربة : ان « كراوس » فتى وسيم لا ينبغي أن تدعه « لبيديا »
يفلت من يديها • عليها أن تسعى اليه ، وأن تبدأه بالتحية ،
وأن تخاطبه بعبارات الاطراء • فان الحياء والتحشم مما يضع
أثمن الفرص • وليس أفضل من أسلوب امبراطورة روسيا
الشهيرة « كاترين » ، تلك التى كانت كلما أعجبها فارس جميل
استوقفته وقالت له « ترجل عن حصانك وتعال معى » •••
ولكن لبيديا تشك في أن كراوس هو فتى أحلامها الذى تنتظره ،
لان ذلك الذى تنتظره سوف يقف ويتسرح عن حصانه
بجوارها دون أن توميء اليه ، بل ولن يكون فتاها من أصحاب
الحياء ، ولسوف يقف أمامها من تلقاء نفسه ! على أن الكونتة
تلقي اليها حكمة الواقع الخبيث :

— ليس الفتى الذى تنتظره هو الذى يتوقف ويسعى اليها ،
وانما هو الذى يمر بنا دون أن نرمقه بنظرة • وأما ذلك الذى
يتوقف فهو دائما فتى آخر غير الذى تنتظره •••

وتلمح كراوس مقبلا ، فتترك « ليديا » وحدها معه كي تطبق ما نصحتها به ! .. لكن كراوس يجيل بصره في القاعة ثم يعبرها خارجا ، فتدفع ليديا نفسها دفعا لتخاطبه ، سائلة اياه هل يبحث عن شخص معين ؟ فيجيبها بالايجاب .. لكن هذا الشخص الذي يلتمسه ليس شخصها كما كانت تمنى ، بل هو السيد كلوسوفسكى ، فتتطوع لخدمته في البحث عن صاحب البيت ، دون أن تتحرك من مكانها ، فانها في الواقع راغبة في البقاء حيث هي - أى حيث هو ! .. ويرى الفتى منها ذلك فيملا فراغ الوقت بشكرها على هدايته السبيل في الظلام حين ضل في بداية الليلة . ثم يسود الصمت، ويهم كراوس بالخروج ، فتسأله ليديا ما اسمه ، لانها تحب أن تعلم من يكون ..

- وماذا عسى المرء أن يعلم عن شخص اذا عرف اسمه ؟
- منذ وقت قصير، في الظلام ، كنت أقودك ممسكة بيدك .
وماذا عسى المرء أن يعلم عن شخص اذا أمسك بيده ؟ ومع ذلك ، فالمرء يجد الرضا أحيانا اذا أمسك يدا في يده . وقد يكون الاسم كاليد ، يد هذا الشخص في غيابه ..
رقة وطنية وثقة غريرة ، يقابلها الجفاف والحذر والمكر !
هذه الفتاة تريد أن تفضي بذات نفسها ، فيستغل الفتى اقبالها عليه ، ويقف منها في لحظة على سر انفتاح الحدود الغربية لفرانز وكاترين بعد ربع ساعة ! واذا ذاك ينصرف عنها ويسرع الى الاجتماع برفيقه ليتداولوا ويحسما الموقف
وبعد نقاش عسير يقرر الرفيقان أن يمضي كراوس لاختار البوليس الشرقي ، على حين يمكث هاجن في بيت اليلسل ليستبقى الوزير ويثما يحضر من يعتقله !

ويظهر كلوسوفسكى ، فيطرى هاجن أمانته ونزاهته ووفاء الوعد ، ملمحا الى الموعد الوشيك الذي ضربه لرجل وامرأة

من النزلاء سوف يصحبهما بعد دقائق ليجتازا الحدود الغربية .
ثم يدعوه الى المقامرة فى مباراة قصيرة لا تستغرق ثلاث دقائق ،
مغريا اياه بكسب مبلغ ضخيم من المال . فيجيب كلوسوفسكى
دعوته ويتبادل الرجلان اللقاء « الزهر » والقاء الكلام . ويدور
حوارهما موازيا للعبهما ، سريعا مقتضبا محكما . كل رمية
تشير اشارة مباشرة الى درجة من أطوار الربح والخسارة
اذا نظرنا الى هذين الغريمين ، وترمز من ناحية أخرى الى
موقف من المواقف بين النجاة والهلاك اذا فكرنا فى مصير
العاشقين الهاربين ! ويضرب هاجن على جميع الاوتار ، فيوحى
الى كلوسوفسكى فى أثناء اللعب بأنه انما يؤدى خيرا ومعروفا
ويحمى رابطة الزواج المقدسة لو هو منع ذلك الزوج من الفرار ،
ثم يمنحه فى النهاية مال الرهان منحا رغم نتيجة المباراة .
ويقهر كلوسوفسكى ان ذلك المبلغ - من يد غريم جواد اتقن
الغش فى القمار - ثمن لتهمله المنشود مدة عشرين دقيقة ،
ويخرج صاحب الدار راضيا ليتوارى طوال الدقائق العشرين
التالية ، بعد أن يرسل ليز الى هاجن وفقا لطلبه .

وتسعد ليز بهذا اللقاء المفاجئ ، وتظن أن هاجن لم يأت
الى ذلك المكان الا لانقاذها ، وأنه يخلص لها الحب . ويوحى
اليها هاجن ، وهو يحصى الدقائق أمامها ، بأن البوليس يتعقبه
هو أيضا ، ولكن النجاة مكتوبة لهما معا اذا هى أفلحت فى
تعطيل فرانز وكاترين وسبقتهما فى صحبتته الى الحدود
الغربية لاجتيازها بدلا منهما ، فان رجل الحدود لا يعلم من
يكون العابران وانما عليه أن يفسح الطريق لرجل وامرأة
معا . ويلقنها الدور الذى يجب أن تمثله فى الحال : فعند
نزول فرانز وكاترين - أى بعد نصف دقيقة - تتعرض لهما
شاكبة ، باكية ، لاعنة ، متشبثة بزوجها ، فيتدخل اذ ذاك
هاجن ليصلح ما بينهما وينصح الرجل باعطاء مهلة لزوجته ،
وعلى التو يلحق بها ويرحلان . . .

- ٣ -

♦ وهكذا بدور المشهد التالى . وتنفق ليز النذل والتضرع والانتحاب الى درجة تشككتنا فى كذبها وتثير عطف غريمتها كاترين عليها . ثم يفسرد هاجن بفراز ، بينما تخرج ليز من أحد الأبواب ، وتخرج كاترين من باب آخر باحثة من كلوسوفسكى .

ويدير الرجلان بينهما حوارا زاخرا بالمعاني . تتلاطم فيه الفكرة بالفكرة ، ويصدم فيه العقل الشعور ، وتسمع خلاله صوت الضمير الانسانى واضحا رغم هذا الاضطراب وهذا التنازع المحتدم . وقد يعيب الناقد على المؤلف اطالته لهذا المشهد ، فقد بلغت الرواية لحظاتها الحاسمة ، وهى لحظات قصيرة عصيبة متويرة لا تحتمل الابطاء . ولا تحتمل الجدل فى القضايا الاجتماعية والاخلاقية والفلسفية . ولكن المؤلف يريد فى هذه اللحظات الهامة الخطيرة أن يصب خلاصة موضوعه وأن يسجل رايه ، او بالأحرى آراء هذين الرجلين المتعارضين - وكل منهما يمثل إحدى الكتلتين اللتين ينقسم اليهما عالمنا اليوم - . وأما من ناحية الصياغة المسرحية فلا غبار على الموقف . ومن حق المؤلف أن يطالب فيه ، لانا نعلم أن هاجن يرمى الى تضييع الوقت وتفويت الفرصة على فراز !

يدافع هاجن عن ليز ، ويبين لفراز أن من واجب الزوج ألا يتدخل من زوجته .. فيرتاب الأخير فى أمر العلاقة القائمة بين امرأته وبين هذا الرجل . ولكن هاجن ينفى الريبة :

- كلا ! لم تكن خليلتى ، وإن كنت قد قابلتها مرارا . ذلك أنك كنت منصرفا عنها ، وهيهات أن تتحمل المرأة الوحيدة عبء وجودها . لقد جذبني نحوها ، ما وجدت فيها من الحاجة الى ماضى . ان النساء لا يعجبن الرجال بقدر ما يعجبين الشعور بأنهن شيء مذكور لدى الرجال . والرجال لا يعجبون النساء بقدر ما يعجبون الشعور بالسيطرة على النساء ... متى تم زواجك بها ؟

- منذ عشر سنين .

- إذا عاش المرء عشر سنين بجانب امرأة ، كان هو المسنون عما تزول اليه !

- لا ياسيد هاجن ! كل مسئول عن نفسه . كل حبس جلدته فى السمك وفى اليأس وفى الموت . بل وفى الحب أيضا ، هنا يحاولون أن يتضاموا . ماذا حساني أفعل من أجل ليز ؟

— أن تظل معها ، أن تقف بجانبها فى المحنة . لقد وشت بك زوجتك .
وانت تلقى عليها وزر فعلتها كما يعلق امرؤ فى رقبة الضحية حجرا ثقيلا
ويقذف بها فى البحر . هل الانسان بأكمله مجرد فعل صدر منه ؟ ألا تجد
فى ليز أيضا تلك المرأة التى سكنت اليها ، وتأبطت ذراعك فى نزهاتك ،
ومددت اليها يدك أثناء النزهة فى الريف لتعينها على عبور مجرى جارف ؟
ألا تجد فى ليز تلك المرأة التى حلمت بك فى غيابك عنها وسعدت بك بعض
الليالى فى وجودك معها ، تلك المرأة التى كان النوم يحيل وجهها بجوارك
الى وجه طفلة بريئة . ان هذه الطفلة هى التى تريد أنت القاءها فى البحر !
— باى حق يؤخذنى رجل من رجال الثورة على عدم اكتراثى بامرأة ضمن
ملايين من النساء ؟ حدثنى عما يعنىك . حدثنى عن الشعوب ، مادمت لا
تكلمون الا باسم الشعوب . حدثنى عن هذا العالم الجديد الذى تشيدونه
بالعنف والامل ودم الضحايا ، ولا تحدثنى عن ليز . وما قيمة امرأة
لديكم ؟ ما قيمة ألف بل مائة ألف من البشر ؟ هل تنكر معسكرات الاشغال
الشاقة ، تزجون فيها بمن تسموهم المعارضين والخونة والفاترين ؟ هل تنكر
نفي القوم من ارضهم حتى أقفرت اقاليم كاملة ؟ هل تنكر الارهاب الذى
يدفع آلاف من الرجال والنساء الى عبور الحدود ، رغم تهديد أبراج
المراقبة والانوار الكشافه والمدافع الرشاشة وكلاب الصيد التى دربتوها
على قنص الانسان ؟ انكم تدافعون عن الانسانية ضد الناس . واذا كان
مبدؤك قتل الخصوم والمشتبه فيهم ، أيا كان عددهم ، والى أجل غير مسمى،
فكيف تسألنى أن أدرا عن واحدة من البشر شيئا من الالم ؟ ألا ترى يا سيد
هاجن انك كمن يدمو الها ولا يؤمن به ؟

— أخطأت فهمنا يا سيد « ورنر » . اننا نقتل لاننا متأكدون من اننا على
حق . ولسنا مؤمنين ، فالمؤمن لا يستطيع أن يفعل شيئا أكثر من انه يؤمن .
لقد كشفنا المعنى الذى يستطيع الانسان أن يصوغ الدنيا فيه ، واننا
لمتأكدون من اننا كشفناه . لسنا نؤمن ايمانا ، بل نشبت آثابنا . واود ان
أعلم باسم اية حقيقة قاطعة أنت تصحى بليز . انك تصحى بها فى سبيل
سعادتك الشخصية الصغيرة ، أى فى سبيل لا شيء ... وانت شخصيا
لم تكن فى خطر مباشر ، فلماذا ترحل ؟

— لانى أصبحت أرى التعاون بين حزبكم وبين الاحزاب الحرة مستحيلا
... لان عايتكم خلاص الناس ووسيلتكم هوانهم !
— ان الدبابات أثناء الحرب تسحق زهر الحقول الفضى ، وانها لخسارة .
وخسارة كذلك الابدان البشرية . غير اننا لانستطيع فى سبيلها شيئا .
فالثورة ينبغى أن نصنعها من أجل الناس ، وفى الوقت نفسه بالناس
وضد الناس . قتل وقتيل . علينا ازدراء الناس اذا أردنا أن نحجم حيا

ينفعهم . وعلينا ان نهدم ، فلن نهدم العبودية ما لم نهدم سادة العبيد والعبيد الذين يحاربون في صف السادة .

— ودع ذلك فقد انهضت العبودية منذ نحو عشرين قرنا ، وهدمها حب لم يحمل سلاحا . ذاك لم يقتل سادة العبيد ، بل قتل العبودية في ضمير السادة !

— مادامت احدى صور العبودية قائمة ، فذلك لان الحب الذي تتحدث عنه لم يكن كافيا .

— ولكنه كان حبا . اتريدون الهدم في سبيل البناء ؟ اولئك ملوك آشور الذين شيدوا الصروح والقلاع كانوا يبنون جدرانا يسدون بها أبواب الصوامع التي يلقون في غيايها سجناءهم احياء . وكذلك تفعلون بضحاياكم فيما تنشئون من المصانع والمدن الجديدة . انى لا أريد سدودكم ، لا أريد مصانعكم ، لا أريد مدنكم حيث آلاف من العيون مفتوحة الى الابد تتطلع الى الاحياء من خلال جدران كثيفة ..

— وعيون ليز ، ياسيد ورنر ؟

— عيون ليز ؟

— لسوف تلاحق صورتها . سوف ترى جثة واقفة ، مفتوحة العينين ، داخل جدران بينك الوثير في فرنسا أو أمريكا . ولعل نظرات تلك الجثة لا تضايقك ، ولعلها لاتضايق صديقتك كاترين ..

— انك محام بارع يا سيد هاجن !

— لكل شيء ثمه . لا سعادة ولا حرية بلا ضحايا . فهلا أنصفتنا ، نحن رجال الحزب الذين لانتقاضى الثمن المرقوم ؟ اننا لانهمل من أجل أنفسنا . اننا نقتل ، نعم ، نقتل لان لنا عالما نريد أن نحياه ، لاننا نريد أن نعطي لتاريخ الناس معنى مقبولا . أما أنت ، فلحسابك الخاص ، ولمنفعتك الفردية ، ودون كثير من تائب الضمير — فيما يبدو — ستقوم بعد بضع دقائق بنحر ذبيحتك البشرية . الى اللقساء يا وزير الدولة ، أتمنى لك رحلة طيبة !

— يا سيد هاجن ، اظن اننى سأفعل ما تسألنى .

— ستفعل ؟

— اظن اننى سأفعل ، وقد أجاوب بذلك الصواب . هناك صوت آخر غير هذا الذى ندعوه صوت العقل ، صوت آخر نسمعه فى أعماقنا ، هو صوت سوانا . صوت الآخرين ، نجاة غيرنا ونجاتنا ، انتصار غيرنا وربما هزيمتنا . وغريب أن تكون أنت الذى أسمعتنى فى نفسى هذا الصوت ، أنت الذى لا تسمع مثله .

وهنا تدق الساعة دقائقها الاحدى عشر ، وكأنها تؤذن لاروع من حلول ساعة جديدة ، كأنها تعلن حلول المصير الابدى !

- هل وزنت الامور يا سيد ورنر ؟

- لو أنى وزنت الامور لكنت الآن على غير هذه الارض . لا أريد أن أزن شيئاً ، أنت خاطبتنى بالعبارات التى من شأنها أن تجعلنى أتالم لألم ليز ، وها أنذا مشلول لا أنطلق .

- ما زال أمامك الخيار ياسيد ورنر .

ثم ينادى هاجن «كلوسوفسكى» ليصحب ورنر ، فيدخل تتبعه كاترين . ويهم كلوسوفسكى باصطحاب فرانز وكاترين الى الحدود الغربية تنفيذاً للتعليمات الاولى ، فيدهشه أن الرجل لا يريد أن يتخلى عن زوجته . وتقرح كاترين - وقد أنبأها كلوسوفسكى أن رسالة قد وردت أخيراً من مركز المراقبة الغربى تؤذن بانفتاح الحدود للجميع فى الساعة الثالثة صباحاً - أن يظلا الساعات الباقية لتتمكن ليز من العبور معهما . ترى هل انتصر الاخلاص فى قلب الرفيق هاجن ؟ فما هو ذا - وهو يعلم أن فى الانتظار هلاك هذين العشاقين - يلج عليهما بمفادرة المكان فوراً . لعله كذلك يكون قد أرضى ضميره من ناحية الحزب إذ أدى واجبه ، ومن ناحية ليز إذ ضمها الى زوجها ، ومن ناحية أخوين له فى الانسانية إذ يحثهما على النجاة !

ولا تكاد كاترين تفيق من دهشتها لتحول هاجن عن موقفه حتى نسمع جلبة غريبة فى الخارج ، ويدخل رجال البوليس الشرقى يتبعهم كراوس ، ويستول الرعب على جميع من فى البيت ، الا أننا نستطيع أن نميز صوت ليز تستغيث بهاجن ، وصوت فرانز يستغفر كاترين !

- ٤ -

♦ يأمى كراوس باعتقال الجميع ، دون استثناء كلوسوفسكى وليديا المتهمين بتدبير فرار القوم . ويختل برفيقه هاجن ، فيلاحظ هاجن أن صاحبه ممتقع الوجه جريح ، أصابه رصاص حراس الحدود . ويستنكر القرار العاجل الذى اتخذته رجال الدولة ، والذى أب الرفيق كراوس ليضطلع بتنفيذه ، القرار القاضى باعدام جميع اهل البيت رمياً بالرصاص . نعم ، تلك أضمن وسيلة لكتمان سر التخلص من « ورنر » ، ولكن ما ذنب أولئك الذين ألقى بهم سوء الطالع الى بيت كلوسوفسكى فى هذه الليلة ؟

هب أنهم متهمون بمحاولة الفرار ، وهب أن كلوسوفسكى يعينهم على ذلك ،
 فماذا اقتصرت ليديا حتى تستحق الموت في زهرة صباحها ؟ كل جريمتها
 أنها أحببتك ، ووقفت بك ، وباحت لك بسر كان ينبغي أن تكتمه !
 - ولكن ما عسى ذلك أن يغير من الأمر ؟ ان ليديا لفتاة بريئة ، وانها
 لنحبني . ولو لم تكن تحبني ، ترى هل كنت أستطيع أن أقتلها وأنا أكثر
 اطمئنانا ؟ نعم ، هناك ليديا .. ولكن كم من فتيات مثلها نسين حثفن لانهن
 وففن ضدنا ، أو لان سوء الطالع أوقفهن في ميدان الوفى حيث لا تميز
 القنابل من تصيب ومن تدع ، فكان أن قتلناهن . لان أماننا ثلاثة أرباع
 الأرض نريد أن نخلصها من المبودية ، لان في ثلاثة أرباع الأرض عشرات
 الملايين من امثال «ليديا» يمدن كل يوم من المصنع منهكات القوى ليستقبلن
 اسبة مطلقة من الامل ، ويتركن أطفالهن للموت لان امراء لم يعلمن كيف
 يعتمنين بهم ، ويرقدن على الطوى في طين آسيا الاصفر ، أو يقصدن
 سفنهن على قارعة الطريق في أوروبا لشهوة السادة الذين جعلوا منهن
 عابا ذليلات . اننى ابن بفى من بلدة « ستيتين » يا هاجن !
 - ومبادؤنا ياكراوس ؟ ومعنى جهادنا وواجبنا ، وجميع ما ينبغي أن
 نخلصه ، وجميع ما ينبغي أن نثار له ، انى اهيى بهذا كله كما هيى به
 انت .. مثل امرأة وحيدة في البيت تنادى زوجها اذ تسمع اللصوص ، ولكن
 زوجها لا يأتى !

- اذا بقيت ليديا على قيد الحياة تكلمت ، واذا تكلمت ... ؟
 - آه كلا ! دع هذا ! دع المنطق ! منطقنا الصلب الذى يفترق كالرصاص
 صدرا انسانيا . انظرن اننى لا ارى تلك الرابطة المنطقية ؟ انها لرابطة مقررة
 لا سبيل الى انكارها ودحضها . ومع ذلك فهى رابطة لا وجود لها ولا معنى
 لها .. انظرن ! لقد انقسمت الى الحزب لاننى ضمنت بمشهد الانسانية منذ
 بدء تاريخها تصارع بؤسها المارد المجنون المعسوب العيين وهو يهوى
 بمينا وشمالا بفاس في يده ! وها نحن قد صرنا جميعا ذلك المجنون نفسه ،
 نصرب على غير هدى ، وتحت الفاس توجد ليديا . ماذا تجدى ثورتنا ،
 وماذا تسدى من نفع اذا أصبح منطقنا باطلا ، وتجسم في صورة ذلك
 الوجه الذى بلا عيين ، وجه الاعمى المتخبط الجامع الفصب ، وجه القدر ؟
 - اذا كان القتال دائرا ، وكانت هذه الدار مرصدا يصوب منه المدو
 النار على خطوطنا ، اكنت تتردد في تدميرها ؟ هل كانت ليديا اذ ذاك تخطر
 لك على بال ؟ اننى ارئى لليديا كما ترئى انت لها ..
 - ان ليديا لا تثير رثائى بقدر ما تثير خوفى .. نرى كيف سنلقى
 اليها بالنبا الفاجع ؟

ويقتاد هاجن رفيقه من كنفه. ويدبره نحو الجدار ، فى المكان الذى اتخذته ليديا فى الفصل السابق . ويتخيل أن ليديا واقفة وجها لوجه أمام فتاحها الأثغر ، تنظر اليه فى مقت ، وأن هذا الفتى ينظر اليها ثم يقول لها انه آسف لانه سيقتلها بمد هنية قصيرة . . . فيستنكر كراوس من رفيقه هاجن أن يمازحه هذا المزاح البشع . وفى تلك اللحظة تهبط ليديا الدرج وتقف وراءهما صامتة !

هاجن : انك لا تريد أن تقول لها انك ستقتلها . لماذا لا تريد أن تقوا . لما ذلك ؟

فترددا ليديا :

- لماذا لا تريد أن تقول لها ذلك ؟

فيلتفت كراوس مجفلا مضطربا ويقول للفتاة الهادئة أمانه :

- ماذا تفعلين هنا ؟ من أذن لك بالمجيء الى هنا ؟

فترتاع ليديا وتتلطم :

- قالوا لي انك صاحب الامر . . لم اصدق . . كنت أريد . . كنت أريد .

وتلوذ بالفار من حيث أقبلت !

- ٥ -

♦ ولكن المؤسف يبعها الى غرفتها فى المشهد التالى ، حيث نراها ونسمع حوارها مع الكونتة . ويا له من حوار مؤثر : أحقا هذه هى آخر ليلة فى حياتها ؟ يخيل اليها أنها تحلم ، وأنها ترى فى حلمها شخصا يدنو منها ليقتلها دون أن تستطيع الهرب ولا الدفاع عن نفسها ، لانها أسيرة الكرى ! . . غير أنها تكفر بحلمها ، وتنكر أن يكون له مكان فى الواقع . ثم يخطر لها أنها دمية ، وأنها لو كانت جميلة لاستطاعت أن تشنى الفتى عن قتلها . وذلك خاطر لم يطرا على بالها قبل تلك الليلة !

- ينبغي أن أعرف : لو قد أتيج لي أن أعيش ، هل كان يهتم بى رجل من الرجال ؟ لا تكذبى أيتها الكونتة ! ما أنا الا فتاة دمية لم يكن لها فى حياتها أى أمل . فتاة دمية ما كان ليحدث لها أى شئ ، تموت ميتة لا معنى لها بعد حياة قصيرة لا معنى لها . . . اما أنت فقد كنت جميلة أيتها الكونتة ،

وأحبك الرجال .. وستكتنّفك جميع ذكرياتك في لحظتك الأخيرة ، ولا تموتين وحيدة مثلي . أنا ليس لي ذكريات ، ولم يقع لي شيء .. لابد أن أعرف هل كانت حياتي ستتصل على هذا المنوال .. ؟

– انك جميلة يا ليديا .. وانك لصبيبة ...
وتأخذ المرأة رأس الفتاة الشقراء بين يديها فتزيع شعرها الى الوراء قائلة لها :

– أظهري وجهك ولا تختبئي وراء شعرك . انك كالحيوانات الصغيرة النافرة التي تتسلل بحذاء الظلال . لكي تكوني جميلة ينبغي أن تؤمني بأنك جميلة ، ينبغي أن تتقدمي الى النور . وانني لخليقة بأن أصنع منك في عشر دقائق فتاة من أولئك اللواتي كن يخلبن رجال السفارات في الحفلة الراقصة التي كانت تقيمها الرئاسة في فارسوفيا !

– جمليني أيتها الكونتة ! هلمي ! أسرع ! فليس لدينا عشر دقائق كاملة . انني أريد أن أكون جميلة . أريد أن أكون جميلة للمرة الاولى . انك لا تفهميني . أنا أيضا ، لساعة واحدة خلت ، لم أكن أفهم من الحياة شيئا . كنت أنتظر ، وكنت خائفة . كنت أتهيب الحياة . أما الآن فاني لا أرهب شيئا منها . انها لضافية شفافة حتى قاعها ..

وتلح الفتاة الرقيقة على المرأة المجربة في أن تجملها . فتقترب الكونتة منها ، وتصفف لها شعرها ، وتفتح ثوبها فوق نحرها ليظهر جيدها ، وتلون وجنتيها بمسحة من مسحوقها الاحمر ، ثم تمنحها عقدها اللؤلؤي الثمين . وتمسك ليديا امرأة صغيرة في يدها ، وتنظر الى صورتها مليا ثم تقول :

– انك جميلة يا ليديا !
وتنفخ على الفور في مرآتها فتغشى أنفاسها الندية صقال الزجاج الالامع ، وتقول لنفسها :

– نفخة واحدة تمحوك • ليس بين الحياة والموت الا هذه النفخة !

ثم تجلو مرآتها وتطيل النظر فيها وتقول :
– وداعا أيتها الجميلة ليديا ••

وها هو ذا الشرطى فى معطفه الفضفاض ومشيته النظامية الثقيلة يدخل ويأمرهما بالخروج دون أن ينظر اليهما ، فقد حانت الساعة ! وترى ليديا فى هذا الرجل الجامد – هذا الانسان الذى حولته النظم الاجتماعية الى آلة صماء ، عديمة الشخصية ، تتحرك وتنفذ دون أن تشعر أو تفكر – ترى فيه رجلها الاول منذ أن تجملت ، وتريد أن تلمس أثر جمالها فى عينيه • فتدنو منه وتساله فى سذاجة أن يسمح لها بأن تنظر فى مقلتيه • فيتحشم الشرطى قائلا :
– أيتها الرفيقة !

فتجيبه :

– اننى لست رفيقة • اننى ليديا • هذا الجسم الذى ألمسه من فوق هذا الثوب ، انه ليديا ، انه أنا ••• أنا ، يالها من كلمة عجيبة !

وتظن الكوننة أن الفتاة فقدت صوابها ، فتحنو عليها •• ولكن ليديا تستأنف حديثها هذا الساذج الغرير الحكيم معا ، بأسطة يدها للشرطى :

– هذه اليد ، انها ليديا • أنظر، اننى أننى وأبسط اصبعها ، واصبعا آخر واصبعا ثالثا • وأفتح يدي ، وأضمها • هذه ليديا • انه لشيء عجيب أن أكون « أنا » ، شيء عجيب أن أكون حية ! ويختلط فى حديثها دلال الصبا ، والغزل الذى تتوق اليه ، والفزع من الموت الذى ينتظرها ! تأنس فى هذا الشرطى الذى سيطلق عليها الرصاص عما قليل رجلها الاول والآخر ، عاشقها ، فرصتها الوحيدة لان تعرف الحياة والحب • تعرض عليه جيدها وقد أزاحت عنه شعرها سائلة اياه أن يصوب اليه



وصاصة ، دون أن ينذرهما بشيء
قبل أن يفعل • تعرضي عليه
جسدها في استسلام الذبيحة
البريئة ، وفي اغراء المرأة
الفاتنة ، وتخاطبه بلغة الفرام :
- يا حبيبي ، هل انا جميلة ؟
فيجيب الشرطي في لهجته
الصارمة :

- انك جميلة

- اننى جميلة ؟ فهل تحبنى ؟
هل تشتهينى ؟
- نعم !

فتضحك ثم تقول :

- هل تاخذنى بين ذراعيك اذا تجردت من ثيابى واصبحت
عارية ؟

- نعم

- قبلنى !

فيتردد الشرطي ، ثم يقبلها • وتغمض الفتاة عينيها لتتلوق
قبلته ، او لتغيب في حلمها المفقود ، فها هى ذى اول قبلة على
وجنتها من شفتى رجل ، وان كان هذا الرجل هو الشرطي رقم
٢١٨ ، البالغ من العمر ثمانية واربعين عاما • وتصمت قليلا ثم
تقول له :

- انك ستمضى الى ايام من الحياة وسنين من الحياة • هلا
اصطحبتنى معك ؟ فانى اريد أن أعيش معك هذه الحياة التى
تشبه الابد

- لا أستطيع . .

- لا تخش شيئا . انى لا أريدك على أن تعصى أوامرك . خذ هذه المرأة الصغيرة . اننى أعطيك ليديا . فقد حبست فيها صورة ليديا . هذا الوميض الذى تمحوه نفخة ، ويقضى عليه وميض بندقيتك . هل تحفظها ؟ هل تحفظ الوجه الذى جملته ؟ فيجيب الشرطى وقد أخذه التأثر :

- الى يوم مماتى

- الى يوم مماتك ؟ أنت أيضا سيجىء يوم تموت فيه ؟ ولكنه يوم بعيد ، ودونك قبله ملايين الايام . انك رجل خالد . . ينبغي أن نمضى الآن .

- ينبغي . .

وتتجه ليديا والكونتة نحو الباب ، بينما يظل الشرطى واقفا فى مكانه كالمشدود ينتظر أن يفيق، فتنبهه ليديا فى رفق:

- هيا بنا أيها الشرطى . تشجع !

وننتقل الى غرفة أخرى من بيت الليل ، فنجد كاترين وفرانز واقفين متعانقين ، فنيا فى عناقهما ، وغابا عن كل ما حولهما فى نظرة واحدة طويلة متصلة . انهما لا يسمعان صوت ليز تخاطب زوجها ملهوفة مفجوعة مستيئسة ، تدعوه اليها ، وتقسم له انها لم تطلب الشرطة ، وانما سعت الى الفرار معه ، ولا أدل على ذلك من أنهم قرروا اعدامها هى أيضا ! ويتقارب فرانز وكاترين ، ويغمضان أعينهما كأنهما ينتظران شيئا . ولا يلبث فرانز حتى يترنح فتسنده كاترين دون أن تفتح عينيها ، كأنها قد أحست بذلك الخور فى جسمها هى . ثم يدخل كراوس وهاجن والضابط . وتجهد كاترين لحظة فى الاحتفاظ بفرانز متوكئا عليها ، ثم يهويان معا ، متعانقين دائما ، جامدين . لقد تجرعا من السم ما أخرجهما من الدنيا الضيقة . غير أن ليز ترتمى على الجثتين تحاول أن تفصلهما ، وتستسلم

ليأس والقنوط اذ ترى نفسها وحيدة منبوذة . فهذا زوجها يموت على مشهد منها دون أن يشاطرها موته ! وتتعطل المرأة المشردة بالسراب ، تلوذ بهاجن ، وتناشده أن يمسك بها وألا يتخلي عنها ، فانها فى حاجة الى شخص يقف بجوارها عند اعدامها ، وما زال وهما يصور لها أن هاجن معتقل مثلها ينتظره نفس المصير . تلتصق اذن بهاجن ، ويحاول الضابط أن ينتزعها ، فتصيح صيحة رهيبة : « لا ! » . واذا يرى هاجن تعلقها به ، يذود عنها الضابط ، ويطيب خاطرها . ولكن الضابط يريد أن يؤدى واجبه ، فهو مسئول عن المعتقلين . وتفهم ليز من نقاش الرجال حولها ان هاجن هو الذى دبر اعتقالها ، ومع ذلك فهي لا تقوى على أن تتمثل نفسها الشريكة مطرودة من هذا الملاذ الاخير . ويصمت هاجن ازاء هذه المرأة التى تتصور من اللفهه والسخط والاسى ، ثم يقول :

— كفى . هلموا اعتقلونى !

فتعقد الدهشة السنة الجميع ، ولا يقطع الصمت الا شهقات ليز ، ثم يستأنف هاجن حديثه :

— اننى متواطىء مع هذه المرأة . وهأنذا متلبس بالفرار معها من الجمهورية الشعبية الى الخارج !
كراوس : هل جننت يا هاجن ؟

هاجن : لقد كذبت عليك حين قلت لك اننى سأحاول استبقاء ورنر وزوجته هنا حتى تعود . فقد كنت أريد أن أبعدك عنى لاتخلص من رقابتك ولاعبر الحدود مع ليز . ولكنك عدت سريعا . أتسمعيننى ياليز ؟

تمسك ليز عن البكاء وترفع رأسها . انها لا تفيق من مفاجأة الا لتتلففها مفاجأة أخرى . ولا تكاد من فرط دهشتها أن تصدق ما تسمع ، غير أن هاجن يقترب منها ، ويستغفرها معذرا عن صمته بما ساوره من خوف منذ لحظة ، ويؤكد لها

أنه معها مهما يحدث • فترتمي على صدره في فيض من الشوق والامتنان !

كراوس : هاجن ! هلا شرحت لي ماذا تعنى ؟

هاجن : اننى معها • معها وعليكم

ويجذب ليز ويخطو معها صوب الباب المؤدى نحو الغرب ، سائلا الضابط أن يعتقله • فيوجه الضابط الى كراوس نظرة المستفهم ، ولا يملك الرفيق كراوس الا أن يقول لرفيقه هاجن : « لك ما تريد » ، وللاخرين : « انه سيقدم حسابا عن تصرفه هذا أمام محكمة الشعب » • ويخرج الضابط للبحث عن المدعو أدلر واعتقاله ، بينما يقتاد الشرطة ليز الى حيث الآخرون ينتظرون •• وينفرد كراوس بهاجن :

يستوضحه في عتاب رقيق أولا لماذا يتحول ويرتد في وسط المعركة ؟ فيعترف هاجن - وهو من المجاهدين الأشداء - بأن في نفس الانسان شيئا أقوى من الانسان ، هو هذا الشعور الذى يدفعه الى الغوص فى الماء لاناقاذ طفل أخذ فى الفرق ، رغم علمه بأن التيار عنيف قاتل ! لكن كراوس يأخذ عليه افراطه فى الشراب ، فلا يجيب الرفيق المرتد الا بصب كأس من الخمر يجرعها بعد أن يرفض صاحبه أن يشرب مثله !

كراوس : انك لم تحترس من تهكمك كما ينبغى • والرجل الذى يسخر من نفسه رجل قد تسرب اليه الشك ••• لقد أصبحت غير أهل للثقة ••

هاجن : اذا كنت قد أصبحت غير أهل للثقة ، فلمماذا أرسلونى للخارج ؟

- أرسلوك تحت مراقبتى !

- أجل ! بمثابة اختبار لي ؟

- تقريبا ••

- ولمراقبتى اختاروا أحسن أصدقائى ؟

- لبعث الثقة فى نفسك

- انهم لم يسيثوا الاختيار ..
- لست متأكدا من ذلك
- لماذا ؟
- أشاروا على بأن أعرضك لبعض المغريات . وأعتقد أنني حاولت على التقيض ابعادك عن العثرات !
- ولماذا ؟
- لاني أحبك
- وأنا أيضا كنت أحبك يا كراوس
- ويرفع كأسه ويشرب نخب صداقتهما القديمة ..
- هناك شيء أعجز عن فهمه ياهاجن ، ألا وهو أنك استطعت أن تحب هذه المرأة الى درجة الارتداد والهلاك من أجلها ؟
- أنا ؟ أحب ليز ؟ انك لمجنون !
- فما شروعت في الفرار معها ؟
- فليتحول هذا النبذ الغربي الممتاز الى سم زعاف اذا كانت هذه الفكرة قد خطرت لى على بال !
- اذن فكل شيء ملفق ؟
- يقينا ... لقد قمت بواجبي كمجاهد أمين ، فاستخدمت هذه المرأة لاستبقاء ورنر هنا حتى عودتك . أتقنت العمل .
- ولكن حدث ما لم أكن أتوقعه
- فهو لم يكن يتوقع مشهد هذا اليأس الخائر الذى لا سند له ، مشهد هذه المرأة المهمة المنبوذة التى اعتقلت لحظة أن شخصا يهتم بها ، ثم وجدت أنه خدعها وأسلمها الى الموت وحيدة ضالة مدحورة ! لعلها لو قد استقبلت مصيرها رابطة الجأش لما لان لها قلبه . انه على كل حال ليس بخائن ، وان ظهر بمظهر الخائن أمام رجال الحزب . وحسبه ما يجد من الرضا منذ آنس من هذه المرأة التعسة أنها ستموت في كنفه سعيدة ، أسعد مما كانت طوال حياتها . وهل من شأن الشفقة أن تقف عند حد ؟ اذا تألم المرء ، قد يستطيع أن يتدبر آله

مع نفسه كما يروق له ، ولكن اذا تألم سوانا ، طفلا كان أم حيوانا ، هل نستطيع أن نجد من عطفنا عليه ؟ ان الشفقة لتملك أمر من تمسه حتى لا تدع له أضيق حين للتملص من وطئها . وقد يتسرب الوهن أو الجبن لحظة الى النفس المخلصة في جهادها ، فتدفعه وتتغلب عليه وتستأنف جهادها بعزيمتها المعهودة . . أما الشفقة فلا راد لها من قوة الشكيمة وحزم الارادة . ليس هاجن جبانا ، وانما هو لا يستطيع أن يقاوم نظرة ليز ولا نظرة ليديا في شقوتها . اذن لقد أصبح غير صالح للخدمة ! ورفيقه يذكره بأن الطريق أمام الحزب مازال طريقا طويلا شاقا ولا بد من أن تضرجه الدماء ، لا بد من القسوة حتى يشيد النظام الجديد علما ليس للشفقة فيه مكان ولا نفع . .

هاجن : ليس لآلام الدنيا آخر يا كراوس . لن تنتهى شقوة البشر قبل أن تنتهى كربة آخر الاحياء على ظهر الارض ، وهو يحضر وحيدا وليس أمامه الا وجه الموت . .

وماذا عسى أن يصنع ذلك الرفيق برفيقه ؟ يعرض عليه أن يشرع في الهرب وأن ترديه أثناء محاولته الفرار رصاصة يطلقها عليه أحد رجال الحدود ، فهو لن يحاكم محاكمة علنية لو عاد موفور العافية ، لان الحزب يريد أن يكتم عن الملاء تلك القصة . يرفض هاجن هذا العرض في شمم الانسان الذى يشعر بكرامة نفسه ، وفي اباء المجاهد الباسل الامين الذى يحرص على أن يودى حسابا عن أمانته ، وأن يعترف بخطئه اذا كان قد أخطأ ! . . ويفترقان . عزيز على كراوس أن يودع صديقه ورفيق جهاده وداعا أبديا . ولكن هاجن يحذره من أن يلين ، وأن تتسرب الى نفسه العنيدة أشعة الشفقة فتصهرها وتفسد عليه أمره ! ينظر كل منهما فى عينى صاحبه ، ويكتفى هاجن بأن يضع يده على كتف كراوس ثم ينأى عنه ، بينما يظل هذا الاخير فى مكانه جامدا . ويسأله هاجن أن يأذن له

بمشاهدة اعدام النزلاء ، وبأن يقف بجوار ليز حتى لحظة مصرعها ، كي تعتقد أنه سيموت معها ! ويهم بالخروج ، الا أنه يعود سائلا :

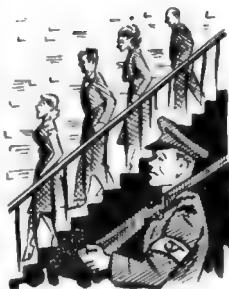
- كراوس • أتعلم ليديا أيضا ؟

- ليديا أيضا

ويبقى كراوس وحده • ثم يدخل الضابط وقد قبض على « أدلر » الذى كان يحاول الفرار ، لا الى الغرب كما توقع الجميع بل الى الشرق ! ذلك أنه قسيس أراد أن يدلف الى الدولة الشرقية ليحمل الى أهلها المضطربين المتألمين - وما أكثر من يساقون هناك الى الموت ! - رسالة حب الله لهم ، وحاجتهم الى أن يشفق بعضهم على بعض • ونسمع فى حوار الرجلين هذين الصوتين المتناقضين : صوت المذهب المادى الذى يحاول أن يحل مشكلة الانسان بالغاء وجود الله ، وصوت الايمان الوثيق الذى لا يرى فى غير الرحمة والتضحية مخرجا للانسان من مأساته القائمة • وما من شك فى أن المؤلف قد أقحم شخصية هذا القسيس فى الرواية ، حيث لا يشترك فى توجيهها ولا يضطلع بدور فعال ، لمجرد النقاش الفكرى الذى يثيره الموضوع ، والذى لا تكتمل عناصره الا اذا تجادل متحدث باسم المادية مع متحدث باسم الله • وهذا النزاع بين المادة والروح قد أصبح بعد الحرب الاخيرة أهم ما يشغل الكتاب فى بحثهم المتصل للانسانية الضالة المتخبطة عن حل يعصمها من التردى فى هوة الهلاك التى انفجرت دونها • وما أكثر ما يظهر القساوسة على المسرح الفرنسى فى هذه الايام ! ولعل تييري مونييه متأثر فى هذا الجزء من روايته ببطل من أبطال الكتاب الانجليزى المعاصر « جراهام جرين » رأيناه أخيرا يحيا حياة غريبة على خشبة المسرح وفى أشربة السينما تحت عنوان « القوة والمجد » و « قد مات الله » !

ومهما يكن من شيء فإن خاتمة
«بيت الليل» خاتمة قوية مؤثرة:
فهؤلاء هم أهل الدار يهبطون
السلم في حراسة الشرطة
ويتجهون الى الباب الخارجى .
وتنشد ليديا وهي تسير في
وداعة ، هذه الابيات الرقيقة ..
وكانها ترثى نفسها او تعاتب
القدر :

لقد لبست ثوبى المتألق كالشمس
ولبست السماء ثوبها القاتم
كالخريف



أهى السماء التى تغطى . أم أنا ؟

هل يأتى ؟ هل يأتى حبيبي ؟

وينهرها الضابط بعنف فتصمت . وتخيم الرهبة
على الجميع . ويخرج الواحد تلو الآخر من هذا الباب الذى
لن يعود منه الى الابد . أما كراوس فيظل فى مكانه جامدا
دائما . ثم تسقط الستارة .

ويمكن الحصول على الشروط مقابل
١٥٠ مليما يضاف اليه ٧٠ مليما
أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب
بتأمين مؤقت كامل قدره ٢ فى
المائة لا يلتفت اليه ، وتقديم
الطلبات على ورقة تمغة فئة
خمسين مليما .

٨٦٤٤

تفتيش رى اسيوط

يقبل بمكتب تفتيش رى اسيوط

باسيوط عطاءات لغاية ظهر يوم
الاحد الموافق ١٠ اكتوبر سنة
١٩٥٤ عن توريد حبال سلك صلب
مجدول وحبال مانيلابفاطار مختلفة
وعفاريت تدار بالكبس الهيدروليكي



ويلفريد بلنت

التاريخ السري للاحتلال الإنجليزي لمصر

اضرب الاسكندرية
وبدء الاحتلال.



بداية الاحتلال المشؤم

♦ في الأعداد الثلاثة السابقة من (كتابي) ، قدمت اليك الجانب الأكبر من هذا الكتاب التاريخي الهام ، الذي فصح فيه مؤلفه « الإنجليزي » خفايا السياسة البريطانية الاستعمارية ومؤامراتها التي مهدت لاحتلال مصر .. كما كشف فيه الستار عن حقيقة الموقف المخزى الذي وقفه الخديوى توفيق من الصراع بين عرابي والانجليز !

وفي هذا العدد أقدم اليك فيما يل القسم الرابع والآخر من هذا الكتاب ، وهو يروى بالتفصيل أطوار الخطة المسكرة التي دبرها الانجليز لضرب الاسكندرية ثم احتلال مصر ، بعد الاجهاز على مقاومة جيش عرابي بكافة الاساليب الوضيعة التي اتقنها سياسة الانجليز : من رشوة - وتبجس - وشراء للدمم - والفساد للقمائل !

الفصل الثالث عشر

((درويش)) مبعوث السلطان

♦ لولا الوثائق التي تؤيدني ، لتعذر اقناع أحد بأن حكومة انجليزية تنتمي للارهاب ، ويرأسها رجل عظيم وطيب مثل جلادستون ، تقدم - لاية ضرورة مالية أو سياسية أو شخصية - على مثل الخطة التي سارويها فيما بعد ، والتي لا يقرها عرف خلقى أو أدبى !

ففى أوائل يونيو - سنة ١٨٨٢ - أصبح من المسلم به أن سياسة الارهاب وارسال الاسطول الى مصر قد فشلت ، اذ اضطر الخديو تحت ضغط الشعب الى أن يعيد عرابي وزيرا للحربية ، وقد اتسعت مسئولياته وأحيى بالتركيم .. ورات وزارة خارجيتنا انها أصبحت فى مازق محير ، يضطرها الى اختيار أحد امرين : اما أن « تبتلع » تهديداتها الجوفاء ، أو

أن تنفذها ضد رجل غدا معروفا لدى أوروبا كلها كبطل وطني !
 .. وكانت الخطة التى انتهت اليها من أغرب الخطط التى لجأت
 اليها حكومة متمدنة فى العصر الحديث ، اذ تضمنت استجداء
 معونة السلطان فى « التخلص من عرابى » ، لا بقوة السيادة
 العثمانية ، وانما بوسائل الغدر التى كانت معروفة لدى الباب
 العالى !

ووقع الاختيار على مندوب يدعى « درويش باشا » كان
 مرهوب الشخصية ، معروفا بالدهاء والبطش . وكان من قادة
 الجيش العثمانى قبل أن تقعه السن ، اذ كان حينذاك فى
 السبعين من عمره ..

على أن تدخل السلطان لم يكن على ما كان يرجوه الانجليز ،
 سيما وان عرابى كان لا يزال يتمتع برضى البلاط السلطانى ،
 كما كان عبد الحميد يضمن بثقته على الخديو توفيق ، ويفكر
 فى أن ينصب « حليم » بدلا منه .. لذلك أوفد مع « درويش »
 مندوبا آخر عرف بالتحمس لعرابى هو الشيخ « احمد أسعد »
 شيخ احدى الطرق الدينية فى المدينة المنورة ، وأحد الثقاة
 الذين كان السلطان يعتمد عليهم فى الترويج لفكرة الوحدة
 الاسلامية ..

« دوش » بارد يلقبه أهل الاسكندرية على « درويش » !

◆ وأرسل الخديو « ذوالفقار باشا » ، كما أرسل الوزير
 وكيل الحربى « يعقوب باشا سامى » لاستقبال المندوبين ..
 كذلك أرسل عرابى الشيخ عبد الله نديم - الص - حفى
 والخطيب - الى الاسكندرية كى يهيبوا الاهالى للحفاوة بهما
 لدى وصولهما ، ولإعلان سخط البلاط على الإنذار الذى قدمه
 « ماليت » وزميله الفرنسى .. وهكذا استقبل السكندريون
 الوفد السلطانى هاتفين « الله ينصر السلطان » و « الالايحة
 مرفوضة » ، و « اطردهوا الاسطول » .. وكان لهذه الهتافات

اثرها السريع على الوفد ، ولا سيما على « درويش » ٠٠ ومع ما كانت وزارة الخارجية البريطانية تبثه في نفسه - عن طريق الصحافة الانجليزية - ومع ان الغديو قدم له ٥٠٠.٠٠٠ جنيه - كمنحة - فضلا عن جواهر قيمتها ٢٥٠.٠٠٠ جنيه ، ليكسبه في صفه ، الا انه لم يبق على ان يقوم باجراء ذى خطورة ضد عرابى ٠٠ لا سيما حين تلقى مذكرة من مشايخ الازهر تؤيد عرابى ، وتطالب برفض الانذار وخاصة ما ورد فيه بشأن نفية ٠٠! ولقد حاول درويش ان يعامل المشايخ فى حزم ، فاذا بهم يتصرفون غاضبين ، وسرعان ما اوفد ازعماء الوطنيين رسلهم الى الاقاليم لاثارة المشاعر ، كما عقدت فى القاهرة اجتماعات ضد درويش ، ثم نظم الطلبة مظاهرة كبيرة فى الازهر ، زعزعت اعتداد درويش بنفسه ، فبادر الى دعوة عرابى - وكان قد رفض من قبل ان يراه - ومحمود سامى ، وتلطف اليهما ، ثم راح فى لهجة معسولة يقنع عرابى بان رحيل الاسطول ، وتحسن الموقف ، لن يتحققا الا اذا استقال ورحل الى القسطنطينية ٠٠ فرفض عرابى قائلا انه يحمل مسئولية صون النظام والامن . وانه قد اتهم ظلما بالطغيان ، ولن يبارح منصبه الا اذا اقبل رسميا بكتاب يتضمن اسباب الاقالة !

الشرارة التى مهدت للمأساة !

♦ وانفص الاجتماع دون تفاهم ٠٠ وكان ذلك فى ظهر يوم السبت ١٠ يونيو . وفى صباح اليوم التالى ، اخذت الامور تتطور بسرعة فى الاسكندرية ، حيث وقعت مشاجرة بين مكارى (حمار) مصرى ورجل مالطى ، فاذا بثورة تقوم من الساعة الواحدة بعد الظهر حتى الخامسة ، انجلت عن موت مائتى شخص بينهم ضابط من احدى البوارج الانجليزية ، فضلا عن مائتين آخرين من الاوربيين ، كما اصيب القنصل الانجليزى « كوكسن » بجراح خطيرة ، والقنصلان الايطالى

واليوناني بجراح خفيفة ، ولم يهدأ الهياج الا بوصول الجنود النظاميين . وكان هذا أول عمل عنيف فى أحداث ذلك العام ، وسرعان ما انتشرت أنباءه فاثار فى أوروبا - وفى انجلترا بوجه خاص - اهتماما كبيرا .

ولما كانت تبعة هذا الحادث قد ألقيت ظلما على عاتق أكثر الاشخاص اصابة بأضراره ، كما تعللت به وزارة الخارجية وقيادة الاسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية ، لذلك يجدر بنا - قبل أن نمضى قدما - أن نرد الجرم الى عاتق المجرم الحقيقى فيه - وان كنت لم أتلق التفصيلات الموضحة للحقيقة الا بعد الحرب التى نشبت :

كانت الاسكندرية أكثر مدن مصر ازدحاما بالاوربيين ، وكان الود مفقودا بينهم وبين المصريين من أهل المدينة ، لا سيما بعد وصول الاسطول باسم حماية الاوربيين . ومن ثم فقد كان حفظ النظام يتطلب مجهودا شاقا من محافظ المدينة « عمر باشا لطفى » ، غير أن الرجل كان شركسيا ، مناوئا للوزارة الوطنية ، وعضوا فى حزب « السراى » ، ومن أذئاب الخديو السابق اسماعيل ، والخديو توفيق . لذلك عمد الى تشجيع العناصر المتدمرة بدلا من اخمادها . وكان اليونانيون - فى الوقت ذاته - قد عمدوا الى تسليح أنفسهم عن طريق عميد جاليتهم ، وكان من وكلاء « روتشيلد » . وحذا المايطيون حذوهم بمساعدة « كوكسن » ، القنصل الانجليزى . وهكذا هيئت الامور - فى نهاية مايو - لاثارة الشغب ، على أمل اشعال حرب داخلية اذا رفض عرابى ما أريد املأوه عليه !

الاعراض الشخصية تلعب فى الظلام !

♦ وليس ثمة شك فى أن الدبلوماسيين الانجليز فى القاهرة كانوا يتطلعون الى الاضطرابات كدليل على تفشى الفوضى . كما أنه لم يكن ثمة شك فى أن عمر لطفى كان ذا

مصلحة شخصية ، اذ كان اسمه بين المرشحين لتولى وزارة الحربية خلفا لعرابي ، وقد استدعاه الخديو في ٢٧ مايو الى قصر الاسماعيلية وعرض عليه المنصب ٠٠ وقد قدم الانذار في اول يونيو ، واستقالت الوزارة في اليوم التالي ، فلما اضطر الخديو الى اعادة تعيين عرابي في الثالث من يونيو ، كان من الطبيعي أن يهتم عمر لطفي بكل ما يثبت لمن أزروا اعادة عرابي - وخاصة القنصل الالماني وزميله النمساوي - خطأ ثقتهم ٠٠

كذلك لدينا من القرائن ما يبين أن عمر لطفي تلقى من الخديو في ٥ يونيو برقية بالشفرة تفيد أن عرابي قد تعهد للقناصل بمسئولية حفظ النظام ، وانه لو نجح فسوف تثق فيه الدول الكبرى فيفقد الخديو هيئته ! واختتمت البرقية بهذه العبارة : « فاختر اذن ما اذا كنت تساعد عرابي في تعهداته أو تخدعنا » ٠٠ وكانت هذه العبارة بمثابة ايجاب ، بادر عمر لطفي باتباعه ! ٠٠ ويؤخذ على عمر لطفي أنه كمحافظ للمدينة كان قائدا لفرق من الجنود تشبه « بلوك النظام » ، وقد توانى عن انزالها الى المدينة ، الا بعد أن استفحل الهياج !

وهكذا تجمع القرائن على أن الفتنة كانت مهياة لتنفجر عندما يصل درويش الى الاسكندرية في ٨ يونيو ٠٠ ولست مقتنعا بأن درويش نفسه كان يجهل هذا . ولعل الحادث العرضي بين المكاري والمالطي هو الذي أدى الى انفجارها قبل الموعد المختار لها ٠٠ على أن المؤكد أن الخديوى وعمر لطفي أقاما نطـاقا محكما على المواصلات التلغرافية بين القاهرة والاسكندرية ، وأن الاخير أرجأ دعوة الجيش الى تهدئة الهياج ! يضاف الى هذا ان اللجنة التي شكلت للتحقيق ، تألفت من اذناب الخديو ، وقد عين عمر لطفي على رأسها ٠٠ ومع ان هذا منح عطلة حين قويت الشبهات ضده بين القناصل ، الا أنه

ظهر عجب ضرب الاسكندرية ، ولحق بالخديو وتولى منصب وزير الحربية !

كذلك ثبت أن الخديو أرسل قريبه « حيدر باشا » الى الاسكندرية خلال اسبوع الحادث ، وكان يستقبله فى تكتم قبل وبعد السفر فى كل مرة ٠٠ وقد كان حيدر فى الاسكندرية يوم الحادث ، وعاد بمجرد انفجار الشغب ٠٠

وتضم رسائل ماليت فقرات توحى بأنه كان يتطلع - حوالى الوقت الذى حدث فيه الاضطراب - الى حل عنيف للورطبات الديبلوماسية التى كان يتخبط فيها ، كما كان من الحجج التى تدرع بها لمعارضة الحكومة الوطنية ، انها كانت تخلق الفوضى فى البلاد ٠٠ على أن معرفتى بأخلاقه وشخصيته ، تجعلنى أرجح انه لم يكن على علم سابق بحادث الاسكندرية ٠٠٠ وكذلك الامر بالنسبة لكولفن

العوامل التى أدت الى ضرب الاسكندرية

♦ ولم تكن النتيجة المباشرة لفتنة الاسكندرية متمشية مع ما كان يرجو الخديو وأصدقائه ، فقد اشتطت الى الدرجة التى دعت الى ضرورة الاستعانة بالجيش ، فاذا به يخدم الفوضى ويمسك بأعنة الامور ، مما ضاعف من تقدير الجميع له ولعرابى ، حتى أن القناصل الاجانب - فيما عدا الانجليزى - انتهبوا الى الاخذ بهذا رأى ٠٠ وكان فى وسع عرابى أن يصبح سيد الموقف ، لولا أن ماليت وكولفن راحا يثيران ذعر الاوربيين ، ويمهدان لضرب الاسكندرية ٠٠ كما أقسم السير بوشامب سيمور - قائد الاسطول - أن ينتقم لياوره ، وهو الضابط البحرى الذى قتل فى الفتنة ٠٠ وكان الانتقام هو : ضرب الاسكندرية !

وفى ظهر يوم الاحد ١١ يونيو ، تلقيت من صابونجى برقية كان قد أرسلها منذ أربع وعشرين ساعة ، مؤكدا فيها أن عرابى يلقي تأييدا من البرلمان - عدا سلطان باشا - ومن

الازهرى ، اللهم الا شيخ الاسلام .. وان المصريين عقدوا العزم على خلع الخديو .. وان عرابى يقول ان السلام لن يستتب طالما ظل ماليت وكولفن فى مصر ، وقد خطب عبد الله نديم فى ١٠.٠٠٠ شخص مفندا المطالب التى وردت فى الانذار ومهاجما الخديو ..

وفى خطاب كتبه صابونجى فى ١١ يونيو ، قال ان الشيخ عليش - شيخ الازهر - أصدر فتوى بأن الخديو ، باتباعه مشورة القناصل الاوربيين ، قد باع بلده . فلم تعد له ولاية على مسلمى مصر .. وان الاقباط والمسلمين يؤيدون عرابى .. وان الوفود تترى من الاقاليم لتطلب الى درويش خلع الخديو .. كما انه تلقى رجاء من ١٠.٠٠٠ عالم ، وآخر يحمل توقعات ٩.٠٠٠ شخص ، برفض المطالب الاوربية ، وبابقاء عرابى فى منصبه ..

الفصل الرابع عشر رجاء اخير

◆ ذهبت فى اليوم التالى الى « ايدى هاملتون » فانبأته بأننى قد حصلت على معلومات لا يتسرب اليها الشك ، مضمونها ان عرابى يقبض على ازمة الامور فى مصر ، وان خطر عزل توفيق يشتد ، وقلت له ان من المستحسن المبادرة الى مهادنة عرابى فى اقرب فرصة ، فوعدنى بأن يحمل كلامى الى جلادستون ..

وتلقيت فى المساء برقية من صابونجى بأن مبعوث السلطان قد اعلن سحب المطالب الاوربية ، وان شيخ الاسلام « الامبايى » قد عاد الى صفوف الوطنيين .. وبادرت الى الابراق الى صابونجى بأن يحذر عرابى من غدر درويش ، وان يدعو الزعماء الوطنيين الى المطالبة برحيله ، ون ينصح عرابى بمهادنة الخديو ليضيق على القناصل حجة التدخل ..

ولقد قوبل بالدهشة نبأ الاتفاقية التى أبرمت بين كل من : الخديو ، والقناصل ، ودرويش ، وعرابى ، لصيانة الامن والنظام .. وما خطر لنا فى انجلترا أن وراء هذه الهدنة خدعة دبرها ماليت وكولفن .. لا سيما

وان عرابى اقسام بشره لتوفيق بان يحى حياته بأى ثمن ، فاستغل الخديو هذا القسم الى النهاية فى غدره ..

ولقد اخبرنى « بتون » بان روتشيلد عرض ان يمنح عرابى معاشا سنويا قدره ٤٠٠٠ جنيه اذا هو بارح مصر .. (ولكننى علمت فيما بعد من عرابى انه لم يتلق هذا العرض ، وانما مناه القنصل الفرنسى بخمسمائة جنيه شهريا اذا هو قبل ان يرحل الى باريس فيعيش فيها كما كان يعيش الامير عبد القادر .. ولكن عرابى رفض)

وتلقيت من صابونجى برقية أخرى ارسلها فى ظهر يوم ١٢ يونيو ، مؤكدا فيها ان عرابى سيد الموقف ، وان درويش قد سافر الى الاسكندرية ، وكذلك توفيق قد رافقه عرابى الى المحطة متأبطا ذراعه !

على اننى ما لبثت ان تبينت من تحريقاتى ان سفر درويش وتوفيق الى الاسكندرية قد اثار الشكوك ، وتسربت انباء بان درويش طلب جنودا من تركيا .. ومع ان طلبه لم يكن محتمل الاجابة ، الا ان الجيش المصرى اتخذ اهيمته للطوارئ ، وان ظل عرابى محتفظا باعتمداله .. وابقى لى صابونجى بان ماليت لا بد مقتول اذا استمر على نشاطه الذى اثار سخط الوطنيين ، فبادرت الى رجاء « هامبتون » بالعمل على ان يلوذ « ماليت » باحدى البوارج .. (وقد علمت فيما بعد بأنه تلقى امرا بذلك ونفذه)

انجلترا تستعد للتدخل المسلح

♦ وتلفتت فى ١٦ يونيو برقية من صابونجى بان السلطان أوفد مبعوثا آخر وصل الى مصر دون أن يدري أحد شيئا عن الاوامر التى سيعمل وفقا لها .. وان الشعب والجيش يتشاوران يوميا لرسم خطط الدفاع ، وقد تولتهم الريب نحو وفدى السلطان ..

وبدأت أفقد ثقتى فى جلادستون وبوايا الحكومة الانجليزية ، لا سيما حين طالعت فى صحيفة « سانت جيمس جازيت » اعلانا عن صدور أوامر بترحيل قوات الى مصر ! ولم أعد أرتاب فى أن الحكومة قررت التدخل المسلح ، وان كانت فرنسا وبغية الدول الاوربية قد هادنت عرابى وصالحته ، وقد اقتنعت بأن لا بد من هذا لصون الامن والنظام ، ولو ترتب عليه خلع توفيق ..

وتلقيت فى ١٨ يونيو برقية بنأليف وزارة جديدة فى مصر تحت رئاسة راعب وعرابى .. كما تلقيت رسالة من صابونجى كتبت قبل أربعة أيام ، عن حديث جرى بينه وبين عرابى ، وقال فيه هذا : « لقد دربنا الزمن واسماعيل على أساليب الخداع التركية . ولن نكون المبادرين الى العدوان ، ولكننا سنقاوم كل من يحاول مهاجمتنا .. لسنا نبقى سوى الاصلاح .. »

واذا كانت أوروبا - وانجلترا على الخصوص - تقول أن بوسمها أن نحققنا في أربع وعشرين ساعة ، فدعها تجرب .. أن أول رصاصة تطلق سنحرقنا من كل التزاماتنا ! «
وفى رسالة أخرى بتاريخ ١٧ يونيو ، كتب صابونجي يقول : « كنا في مادية بدار الشريعى باشا حضرها عرابى ، عندما أقبل جندى يحمل رسالة من سيدة انجليزية تلتبس الامان .. فسألنى عرابى أن أبادر بالكتابة اليها مؤكدا أن لا خطر هنالك . وأنه سيحصى حياتها كما يحصى حياته اذا وقع أى اضطراب .. وهكذا أصبح عرابى بطلا



تلوذ به كثير من الاوربيات ، حتى انهن يساعدن الى التوالد يعينه حين تمر عريته فى الطرقات ! »

وكتب فى ١٨ يونيو يقول : « ضمتنى وعرابى وقادة الحزب الوطنى ، أدبة غداة فى دار السيد حسن العقاد .. ودار الحديث من نظم الحكم ، فإذا الكل يجتمعون على تفضيل النظام الجمهورى ، الذى تهدف اليه الحركة الوطنية منذ بدايتها .. »

وفى رسالة أخرى فى اليوم التالى ، قال ان الشيخ محمد عبده اعتمزم أن يجمع كل ما لديه من وثائق بصدد القضية المصرية ويرحل الى انجلترا ليحرضها على جلاستون والبرلمان الانجليزى .. وقد حيد البارودى الفكرة .. كما أخذ نديم والسيد حسن العقاد - كبير التجار - يستعدان للسفر معه ..

وكتب صابونجي بعد ثلاثة أيام انه أعد مذكرة بالانجليزية - سلمها الى البارودى - موجهة من الحزب الوطنى الى جلاستون بطلب ارسال قنصل انجليزى ، بدلا من ماليت ، واقدّر منه فهما لشئون البلاد .. وان ماليت كور نصحه لتوفيق بالقاء القبض على الشيخ محمد عبده . وعبد الله نديم ، والبارودى ، وصابونجي ..

كلمة صدق فى الصحف الانجليزية

♦ وليس بوسمى أن احدد بالضبط متى عقد جلاستون عزمه على العمليات العسكرية فى مصر ، ولكن الذى أدريه أنه لم يكن يتوقع أن تفضى

تلك العمليات الى حرب ، وانه كان مندفعاً تحت ضغط حزبه ، وتحت الحاجة الى تغطية الفشل الدبلوماسى الذى منيت به وزارة الخارجية ..

وفى ٢٣ يونيو ، نشرت لى « التايمز » خطاباً مفتوحاً وجهته الى جلادستون ، كشفت فيه عن الالاعيب الدبلوماسية التى أدت الى الموقف القائم فى مصر ، ملخصاً فيه التطورات مذ صدرت المذكرة الثنائية ، والدور الذى قام به كل من السير ادوارد ماليت والسير أوكلند كولفن .. وما بذلت شخصياً من مساع ، سواء فى لندن أو فى القاهرة لتخفيف حدة التوتر .. وقلت فى النهاية : « لو أن ممثل جلالة الملكة أفضى باعتراف صادق باخطائه ، وباعلان لعطف انجلترا على حرية مصر ، لاستعادت انجلترا المكانة التى فقدتها » .. وبعد أن اكملت له حرص المصريين على السلام مع التثبيت باستقلالهم ، قلت : « لم يبق الا أن تبسط لهم يد المودة صادقة ، فتقابل بتقدير الجميع .. »

الفصل الخامس عشر

ضرب الاسكندرية

♦ كان ضرب الاسكندرية خطة حمل مسئولية تدبيرها الاميرال سيمور ، وكولفن - فان انصاء ماليت عن مصر ، القى بالسلطة الدبلوماسية فى يدى هذا الاخير ، سيما وان «كارتررايت» ، خليفة ماليت ، كان جاهلاً بمصر ، فأولى كولفن كل اعتماده وصار يأخذ بمشورته ..

وكان خطابى فى «التايمز» قد أثار ضجة على صفحات الجريدة وفى مجلس اللوردات ، حيث أخرج «لورد لامنجتون» وزير الخارجية .. وبدأ لى من اتصالاتى ، أن تدابير الحرب كانت تجرى فى الخفاء بين الاميرالية ووزارة الحرب - حتى أن رجال جلادستون لم يعلموا بها ! - بل ان «برايت» أكد لى انه حين آن الاوان لعرض خطة ضرب الاسكندرية على مجلس الوزراء ، زعمت وزارة الخارجية أن الشعب المصرى ملتف حول الخديو ، وأن اول طلقة كفيفة بأن تثير الشعب على عربى ، وتضطره الى السجود عند قدمى الخديو .. وقد بادر «برايت» الى الاستقالة عندما تبين كيف استسدرج بالخداع الى الموافقة على ضرب الاسكندرية ..

واذ أرجع الى مذكراتى ، أجدنى قد كتبت فى ٣ يوليو : « يخيل الى انه لو حدث أى تدخل ، فسيكون على يدى ايطاليا .. وكما أكره هذا ، لان الايطاليين اذا اطلقوا فى غزو انقلبوا وحوشاً فى أساليبهم .. (ولقد دعيت الحكومة الإيطالية فى تلك الايام الى الاشتراك معنا فى غزو مسلح لمصر ، ولكنها اعتذرت بحكمة) .. »

وفي ٤ يوليو كتبت : « سمعت ليدى جريجورى من سير أرسكن ماى (أحد قادة الاسطول) ان الاميرالاي سيمور قد أصدر أوامره بضرب الاسكندرية فى الغد ! » ٠٠ ولقد كانت اول وثيقة فى المكاتبات الحكومية عن ضرب الاسكندرية هى برقية أرسلتها الاميرالية فى ٢٦ يونيو الى سيمور ، وقالت فيها : « اذا كان الجنود المصريون يتخذون الاستعدادات للهجوم ، فاتصلوا بالاميرال الفرنسى وأعدوا سفنكم » ٠٠٠ وتكشف هذه البرقية عن الحجة التى اتخذناها ذريعة للمأساة ، على نسق ما جرى بين الذئب والحمل ! ٠٠ ولقد عرف فيما بعد أن سيمور كان قد عقد العزم على ضرب الاسكندرية حوالى يوم ٤ يوليو ، وكان من الاسباب التى أثرت على جلادستون ومجلس الوزراء حتى وافقا على الخطة ، رواية زائفة عن مذابح وهية فى (بنها) ، قصد بها إثارة الراى العام الانجليزى ضد عرابى ! »

وأخبرنى « بتون » فى تلك الاثناء أن خطة الاميرالية كانت ترمى الى انزال جنود - أثناء ضرب الاسكندرية - لقطع خط الانسحاب على عرابى ٠٠ فبادرت فى اليوم التالى الى الابراق الى صابونجى لينصح عرابى بعدم الاحتكاك بالاسطول وللتعجيل بإيفاد الشيخ محمد عبده الى لندن ، لا سيما بعد أن علمت أن سيمور وجه اندارا للحكومة المصرية ٠٠

وفي ١٠ يوليو ، وجه الى عرابى انذار لم يكن من المقبول أن يقبله ، اذ طلب اليه فيه تسليم الفلاح (الطوابى) - وقد رفضت فرنسا الاشتراك فى هذه « القرصنة » ! - والواقع أن موقف سيمور كان شديد العرج ، اذ كانت قطع الاسطول فى متناول نيران الطوابى ، ولو كان الوطنيين فى خبث قومنا وشراً ، لامكنهم أن يفرقوا السفن ، ولكن عرابى لم يكن بالرجل الذى يبدأ بالفرد . بل انه كان راغباً فى أن يتفادى اى اصطدام ، ومن ثم سمح لسيمور بأن يحرك بوارجه بحيث أصبحت على ابعـاد تناسب الانجليز ٠٠

ولقد خيل الى وقتئذ أن ضرب الاسكندرية واراقة الدماء سيثيران الراى العام فى انجلترا بحيث يحول دون المضى فى مثل هذه الاجراءات ٠٠ كذلك خيل الى أنه سيفضب الدول الكبرى ، فى فترة لم يكن من مصلحة انجلترا أن تفضيها ٠٠ لكن شيئاً من ذلك لم يحدث !

ونشرت الصحف فى ١١ يوليو أن ضرب الاسكندرية بدأ فى الساعة السابعة ٠٠٠ وكان من الواضح أن المصريين كافحوا فى بسالة ورجولة ، وانهم لن يهزموا ، ولو اضطروا فى البداية الى الانسحاب من الاسكندرية ٠٠ وفعلًا وردت الأنباء فى اليوم التالى بأن « الطوابى » كفت عن ضرب النار ، ولكن القتال لم يكف ٠٠ وصرنى أن السلطان ثبت فى موقفه ضد هذا

الاجراء ، حتى غدا الموقف ينذر بما سبق أن تنبأ به عرابى من أن الحرب السياسية لن تلبث أن تنقلب الى حرب دينية ١
وفى ١٢ يوليو ، أنبأى « بتون » بأن الاحتلال سيقع لا محالة !.. وسرنى من الانباء أن الجيش المصرى استطاع أن ينسحب من الاسكندرية دون أن يقع فى الكمين الذى كان سيمور قد أعده ، وتراجع الى مكان حصين فى كفر الدوار بعيدا عن مرمى الاسطول ..
ومع أن جلادستون أعلن فى مجلس العموم أنه لن يرسل جيشا الى مصر ، لأنه ليس فى حرب مع احد ، الا أن « بتون » أكد لى ثمة قسوات ستوفد لضم مصر الى بلادنا !
وفى ١٦ يوليو كتبت فى مذكراتى : « أخبرنى بتون أن تركيا ، اذا كانت قد وافقت على ايفاد جنود انجليز لمصر ، فقد اشترطت أن يذهبوا ويعودوا ، بعد أن يقبضوا على عرابى خلال شهر واحد . وهذا هراء ، لانهم اذا ذهبوا فانما ذهابهم ليمكثوا .. واذا كان ثمة عزاء فهو فى أن هذا قد يدعوا السلطان الى اعلان الحرب ! »

الفصل السادس عشر حملة التل الكبير

♦ بقى أن أورد أهم أحداث الحملة الانجليزية التى صمدت مصر الوطنية فى وجهها شهرين .. فليس فيما كتبه الانجليز والفرنسيون وصفا صحيحا صادقا لها :

أولا - مصر كلها كانت تدافع :

وأولى النقاط التى شوهت فى الكتب الزرقاء - التى أصدرتها الحكومة الانجليزية - وتجاهلها الكتاب الانجليز جميعا ، تتمثل فى الطابع القومى الذى اتسم به دفاع مصر ضد الغزو الانجليزى .. فلقد زعمت المصادر الرسمية أن الجيش وحده هو الذى قاوم مطالب سيمور عند ضرب الاسكندرية ، وقاوم الغزو البرى الذى قاده « ولسلى » .. وما كان هذا سوى امتداد للقصة الخيالية التى كانت تؤلفها وزارة الخارجية الانجليزية لتبرير التدخل .. والواقع أنه اذا كان عرابى قد أُنذر دائما بالمقاومة ، واذا كان صوته عاملا هاما فى القرار الذى اتخذ فى ١٠ يوليو برفض مطالب الاميرال سيمور ، الا ان أعضاء المجلس العام ايضا اجمعوا على الرفض ، وعلى أنه ليس من حق الخديو ان ينزل عن شبر من ارض مصر استجابة لطلب قائد اجنبى ، دون ما مقاومة أو امر صريح من السلطان .. ولم يكن رأي

الخديو نفسه يختلف عن ذلك ٠٠ حتى سلطان باشا - الذى استقر فى صف الانجليز - لم يجرؤ على المجاهرة برد آخر غير رفض مطالب سيمور ٠٠ وقد تلقى عرابى من الخديو - نتيجة هذا الاجماع - اوامر دقيقة بوصفه وزير الحربية بأن يعد الطوابى لتطلق نيرانها بمجرد اقدام الاسطول الانجليزى على اطلاق قنابل ٠٠ كما صدرت اوامر عاجلة فى مساء ١٠ يوليو الى وكيل الحربية بأن يعلن فى المديرية بأن رأى استقر على الحرب وبدعوة الرديف الى الخدمة ٠٠ ومن الجائز - بل من الطبيعى - ان الخديو لم يكن مخلصا للدور الذى اضطر الى ان يؤديه ، وانما اتفق وسلطان باشا على ان يتخذ المظهر الوطنى ليحميا نفسيهما اذا اثبتت القلاع انها اقوى من الاسطول !

ثانيا - الخديو يضع نفسه تحت الحماية :

وقد تضمنت الكتب الزرقاء اقوال الخديو لمستشاريه الانجليز ، فقد اطلعه على نوايا سيمور منذ ٦ يوليو ونصحوه بأن يصعد الى احدى البوارج حرصا على سلامته ، ولكنه لم يستحسن هذه الفكرة واقترح ان يلجأ مع درويش باشا الى قصره القائم على ترعة المحمودية ، وقال ان الخطر على سلامته يقل بالاسراع فى انجاز المهمة ٠٠ وهذا ما تم فعلا ، وان كان قد آوى الى قصر الرمل بدلا من قصر المحمودية ٠٠ وقد انبأنى - فيما بعد - لورد تشارلس بيرسفورد ، قائد البارجة كوندور التى اشتركت فى ضرب الاسكندرية ، ان الخديو صارحه يوما بأن السبب الحقيقى لبقائه على البر هو ان الفكرة التى سادت مصر وقتئذ هى ان سفن الاسطول كانت ولا بد ستغرق ٠٠ وقد ظل الخديو طيلة المعركة يجرى الى سطح القصر بين وقت وآخر ، حتى اذا اطمأن فى النهاية الى بقاء الاسطول وسكوت القلاع ، قرر ان يضع نفسه تحت حماية سيمور !

ولايضاح موقف الوطنيين ، جدير بنا ان نقول ان تحول توفيق لم يكن ليلفى الاوامر التى سبق ان اصدرها ، فان الشريعة الاسلامية تقضى بان الحرب اذا اعلنت بقرار من رئيس الدولة ، فان الواجب يقتضيه وشعبه بان يستمروا فيها الى ان يحققوا نصرا او ييؤوا بهزيمة ، ولو أسر رئيس الدولة او غدر بدولته اثناء القتال ٠٠

ثالثا - عرابى واخوانه يؤدون واجبه على خير وجه :

وثالث النقاط التى يجب ايضاها ، تتمثل فى قيام عرابى والزعماء الوطنيين بمسئولية حفظ القانون والنظام فى مصر ، وفى ادارة خطط القتال ، على خير وجه ، وبصفة مشروعة ٠٠ فما هو ان ظهر ان الخديو لم يعد يعتبر رئيسا للدولة ولم يعد يمارس اصدار الاوامر فى حرية ، حتى

اجتمعت فى القاهرة جمعية عامة من الانطاب الدينبيين والاعيسان درست الموقف .. ومع ان عرابى لم يحضر الاجتماع - اذ كان مع الجيش فى كفر الدوار - فان مندوبى الامة المجتمعين ، وكانوا يمثلونها اكمل تمثيل ، اجمعوا على ان الخديو لم يعد فى مركز شرعى يخول له ممارسة اصدار الاوامر ، ومن ثم فان كل امر يصدره وهو فى ايدي الانجليز يعتبر غير مشروع ولا قانونى ، وان على عرابى ان يبقى وزيرا للحريية ويكلف بالاستمرار فى الدفاع عن البلاد .. وعين مجلس دائم - او لجنة للدفاع - لمعاونته ، برئاسة يعقوب باشا سامى وكيل الحرب ، فطلت طيلة الحملة تنظم التجنيد والامدادات العسكرية والمؤن .. كذلك تقرر ان تستمر اعمال الحكومة - بوساطة المصالح الحكومية - ما دام راعب ، رئيس الوزراء ، غائبا فى الاسكندرية حيث ارغمه الخديو وحارسه الانجليزى على البقاء .. والواقع ان مصر لم تر حكومة اقدر على تصريف الامور من الحكومة الوطنية اثناء الحملة .. فقد صانت ارواح الاوربيين ، واوفدت من رغبوا فى الرحيل منهم الى بورسعيد فى حراسة البوليس .. وليس ابعد عن الحق من المزاعم التى راح اللورد « دفرين » يكررها فى مؤتمر القسطنطينية عن ان القاهرة كانت تشهد مذابح يومية يروح المسيحيون ضحايا لها !

وكان لا بد لمركز عرابى من أن يظل مركزا سياسيا كوزير للحربية وقائد للجيش وزعيم وطنى .. الى ان شغل فجأة بزحف ولسلى البرى فأسرع الى التل الكبير .. ومكنه ما كان له من مكانة سامية فى نفوس مشايخ البلاد وفلاحى الدلتا ، من ان يستثير همهم للحرب ، فتدفق المتطوعون على الجيش من كل فج .. ولم يتج لى ان ألم بتفصيلات العمليات الحربية باكملها ، اذ كان صابونجى قد بارح البلاد ، وكان الاوربى الوحيد الذى رافق الجيش وبذل الخدمات لعرابى ، هو « جون نينيه » - وكان سويسريا من الوطنيين وصديقا من المتحمسين لحرية مصر - ولكن الكتاب الذى نشره فى سنة ١٨٨٤ كتب فى غير ما دقة ولا عناية ، حتى ليتعذر الاعتماد عليه ..

والذى جمعته من تحرياتي، هو ان المصريين قاتلوا فى اول ايام ضرب الاسكندرية بلاء لم يكن سيمور ولا ضباطه يتوقعونه ، غير ان القلاع كانت قديمة ، كما انها كانت من الحجر ، وهى مادة خطيرة تنفتت الى شظايا رفيعة وعديدة اذا تعرضت للقنابل الحديثة .. ولهذا كانت الخسائر فى الارواح بين المدافعين كبيرة ، فقتل نحو الف من مجموع حامى الاسكندرية، وكانت تتراوح بين ٨٥٠٠ - ٩٥٠٠ جندي .. واستطاعت الحامية ان تنقل

كرامتها ، حتى ان بلاؤها كان بداية رد الفعل الذى ازداد ظهورا فى انجلترا ضد الحرب ..

ومن العسير ان يفهم المرء كيف كان عرابى يذهب الى قصر الرمل ليرفع تقاريره الى الخديو ، وكيف عمى عن ان الخديو كان قد استقر على اتجاه معين .. على انه ما لبث ان فطن الى ذلك فأرسل فى ثانى ايام القتال حامية خاصة لمراقبة الخديو وحمايته ونصحه بالانتقال الى القاهرة .. وكان خليقا به ان يعتقله ، فان اهماله فى هذا الصدد كان خطأ ذا نتائج جسيمة ، اذ انتهز توفيق فرصة انشغال عرابى بتدابير الانسحاب الى كفر الدوار ، وتسلسل من القطار الذى كان قد ارسل لنقله الى القاهرة، وعاد الى الاسكندرية واضعا نفسه تحت حماية سيمور بشكل سافر على ! .. وصحب معه درويش ووزراءه ، فجعلهم بذلك شركاء له فى غدره .. وما ان استقروا فى رأس التين حتى اقيم سبعون جنديا بحريا انجليزيا لحراستهم ، فكانوا فى الواقع اسرى - فيما عدا درويش الذى حضر يخت بخارى سريع يحمل اوامر من القسطنطينية لاستدعائه ..

شرك انجليزى لعرابى !

♦ وكان اختيار كفر الدوار لينسحب الجيش اليها اختيارا موفقا - بحيث لو لم يكن ثمة مدخل لمصر سواها ، لقدّر للوطنيين ان يكسبوا الموقف ! - وقد اقيم عرابى مركز قيادته فى «ايكنجى عثمان» ، وتولى محمود فهمى اقامة المتاريس وخطوط الدفاع ، كما رحل الاهالى الهاربون من الاسكندرية تدريجيا الى داخل البلاد

وفى مساء ١٤ يوليو ، تلقى عرابى رسالة من الخديو اورد « نبيه » نصها .. والظاهر انها كانت من املاء كولفن او احد مستشارى توفيق من الانجليز ، لان كل عبارة فيها بنيت على الموقف كما كان يراه الانجليز ، فبدات بالثناء تبعة القتال على رفض مطالب الاميرال الانجليزى ، الذى ما كان يبغى الحرب ، والذى يريد ان يجدد علاقات الصداقة ويبدى استعداداه لان يسلم المدينة الى الجيش ، ومن ثم فالخديو يدعو وزير الحرب الى رأس التين ليتباحث مع راغب باشا وبقيّة زملائهما .. وفى الوقت ذاته يجب إيقاف كل الاستعدادات الحربية !

ومن الكتب الزرقاء نعلم ان هذه الدعوة كانت شركا لاياع عرابى فى ايدى الانجليز ، كما ورد فى برقية من القنصل الى وزير الخارجية الانجليزية فى ١٥ يوليو .. ولكن عرابى اجاب مذكرا الخديو بأنه ودرويش هما اللذان حبذا رفضي المطالب ومقابلة العدوان .. وإن حالة الحرب قد قامت

بذلك ، فلا سبيل الى عودة الجيش الى المدينة ما لم ينسحب الاسطول البريطاني ! .. وكان جواب الخديو منشورات بتوقيعه الى المديرين يعلن فيها ان عرابي قد جرد من سلطانه كوزير للحربية ، لرفضه أمر الخديو بالذهاب الى الاسكندرية !

وهكذا ايقن الاهالي من تعالف الخديو مع الانجليز ، فاسفروا عن وطنيتهم دون اى تستر .. واثبت الجيش مناعة موقفه اذ وفق الى رد حملة انجليزية بقيادة الجنرال اليسون ، عدة مرات .. فازداد التفاف الاهال حول الجيش ، وغدا عرابي محط الأنظار والآمال .. وكانت فكرته ، كما رواها نينه ، هي انه اذا افلح في اطالة المقاومة عدة شهور ، فان اوروبا ستضطر الى مهادنته ، لا سيما وان مؤتمر القسطنطينية كان منعقدا في تلك الاثناء ، وكانت الدول الكبرى تهيب بالسلطان ان يتدخل .. كما كانت في نفسه بقية من الثقة في اخلاص جلادستون لمبادئه ، واخلاص الانجليز لتفاليدهم ! .. وهي احلام كانت مجرد سراب زائف ! .. اذ لم يلبث ولسلي ان هبط الى الاسكندرية مع الدفعة الاولى من الحملة البرية في ١٦ اغسطس ، فوجدت اللجنة الحربية في القاهرة ان توفر خطوط دفاع جديدة في الجانب الشرقي الاقصى - الذي لم يكن منيعا - عند قناة السويس .. ومن ثم اوفد جيش شرقي بقيادة علي فهمي احتل القناة ، وشرع في تحصين الخطوط عند التل الكبير - وهي الخطوط التي كنت قد نصحت بتحسينها في رسالة ارسلتها للشيخ محمد عبده في ابريل .. وكان ثمة اجماع بين رجال الجيش على ضرورة سد الطرف الشمالى من قناة السويس للحيلولة دون تسلل السفن البريطانية .. ولكن عرابي لم يتخذ قرارا في هذا الشأن ، فكانت هذه ثانية غلطاته الكبرى .. (اذ كان دلسيس قد اهاب به - حين تبدى احتمال استخدام الانجليز للقناة اذا قامت حرب - ان يحافظ على حياد القناة ، فتلقى منه ردا بالايجاب .. وقد ظن دلسيس لفرط اعتداده بنفسه ان مجرد وجوده يجعل حكومتنا تراعى هذا الحياد بدورها)

دلسيس يسمح للجيش البريطاني بالمرور

◆ ولكن ، في لرابع من اغسطس ، استقرت بعض بوارج بريطانية بين الاسماعيلية والسويس ، بقيادة الاميرال هويت ، وشكا دلسيس من انهم يصعدون اوامر الى الاهالي ، فانكر عرابي - باسم مجلس الدفاع - هذا الحق عليهم ، مؤكدا ان الحكومة الوطنية « لن تخرق حياد القناة الا في اقصى الظروف ، وفي حالة ما اذا قام الانجليز بأعمال عدوانية في الاسماعيلية او بورسعيد ، او اية نقطة على القناة .. »

ومع ذلك ، فقد كانت الاستعدادات تتخذ سراً - وعلى مفضل من عرابى - لسد القناة فى بقعة بين الاسماعيليه وبورسعيد ، خضوعاً لاجماع المجلس .. لا سيما بعد ان تبين عرابى ان دلسيس خدعه ، اذ سمح للبوارج البريطانىة بان تنقل ولسلى وجيشه الى بورسعيد .. لكن التأخر فى اعاقه المرور فى القناة كان قد ادى الى ابلغ الاضرار ..

وانتقل الدفاع المصرى الى مرحلة جديدة - وغير مجدية فى الواقع - باحتلال ولسلى الاسماعيليه فى ٢١ اغسطس بجيش مؤلف من ٣٠.٠٠٠ جندى .. ولم تكن قوات عرابى فى كفر الدوار تزيد على ٨٠٠٠ جنسى نظامى . و ٨٠ مدفعاً من طراز « كروب » . وما كانت مصر لتستطيع ان تحشد اكثر من ١٣.٠٠٠ جندى مدرب . فى حين ان المتطوعين الجدد لم يكونوا يصلحون الا للعمل اليدوى فى حفر الخنادق .. لذلك وجد ولسلى ان مهمته سهلة ، ولم يكن يفصل بينه وبين القاهرة سوى خطوط التل الكبير التى لم تكتمل تحصيناتها .. ومع ذلك فان المخابرات السرية الانجليزىة اردت ان تضاعف من ضمانات النجاح باجراءات سرية - واذا كان الكتاب الانجليزى قد اعتادوا ان ينفوا فى اياها ان زحف ولسلى قد اقترن بمساعدات اشترى بالرشوة . فان الوقت قد حان لكشف الحقيقة :

ذلك ان غزو مصر من ناحية القناة كان قد دبر فى اوائل العام بين وزارة الحرب والاميرالية ، وتقرر فى اواسط يونيو تهديد الطريق بالرشوة ، لا سيما لبدو الصحراء الشرقية .. ولعل القارىء يذكر انى كنت قد توسعت لبعض شيوخ قبائلهم ، وكانوا مسجونين فى القلوس فى ربيع سنة ١٨٨١ ، وقد عرف لورد نورثبروك هذه القصة ، فاستغل اسمى - مع الرشوة - فى كسب مساعدة هؤلاء البدو ضد عرابى .. واستعان باستاذ اللغة العربيه فى « كمبريدج » - وكان يدعى ادوار بالمر - اذ كان على معرفة بالمنطقة . وقد زارنى بالمر فى ٢٦ يونيو قبيل سفره . زاعماً انه راحل الى الاسكندرية حيث عين مراسلاً لصحيفة « ستاندارد » وسألنى ان اعطيه خطابات توصية الى اصداقائى الوطنيين ..

جاسوس بريطانى !

♦ وكان برنامجى الحقيقى - على ما تبينت من تحرياتي فيما بعد - ان يبحث مع سيمور فى الاسكندرية خططه ، ثم يرسل الى يافا فيستخفى فى ثياب شرقية ويرتاد الصحراء جنوبى وغربى غزة ، حيث يتصل بشانر (الطياحه) و (الطرابين) .. وقد وفق فى هذا ، وانطلق فى الصحراء مستخفياً فى زى ضابط سورى عربى مسلم .. واستطاع ان يكسب شيوخ



المشائر الى صفه . وان يدعوهم الى
جند وجالهم لحماية القناة « ولو ضد
عرايي باشا » كما ذكر في مذكراته بعد
ذلك .. وكان جزاؤه ان عين
« كبير مترجمي قوات صاحبة الجلالة
في مصر » ، وضغ الى اركان حرب
الاميرال .. واصبح له خدم وكتيبة
ومترجمين ، وفي يديه ذهب يسيل دون
رقيب ولا حسيب .. الى ان قرر له ان
ينطلق مع اثنين من زملائه الى بلدة
« النخل » - في الصحراء الشرقية -
مدمرين في طريقهم الخطوط التلغرافية
بين مصر وسوريا .. وكان في حراستهم
حرب من (العشويات والحويطات) ،

ادركوا ما كانوا يعملون من ذعب للعشائر الأخرى ، فقتلهم في بطاح وادي
سدر ، واستولوا على الذهب .. وأثار الحادث غبطة في البرلمان الإنجليزي ،
دعت وكيل وزارة الخارجية الى ان ينكر كل صلة للحكومة ببمته « بالمر »
السرية !

الجاوسوس العربي الذي غدر بعرايي !

◆ كذلك تضمنت مذكرات بلنت انباء مهمة أخرى قام بها عربي قنصة
السويس ، وكان مزودا بقائمة - بخط يد الخديو - تتضمن اسماء كبار
سوخ العشائر - ومنهم سمود الطحاوي في الصالحية ، ومحمد إيلقي في
وادي طميلات

ولقد واصلت انا الحملة لكشف اسرار هذه المهمة .. فبعد ان نفيت
الحقيقة في مجلس الصوم ، اثارها شقيق زوجتي - اللورد ونتويرث - في
مجلس اللوردات . وقام اللورد جرانفيل واللورد نورثبروك وزملائهما مرة
أخرى بإنكار الحقيقة في اصرار .. وكان سمود الطحاوي هو الشيخ
العربي الوحيد الذي وفق في براعة الى الفدر بعرايي ، اذ عمل جاسوسا
في نفس ممسكته ، مذ نقلت القيادة المصرية من كفر الدوار الى التسلي
الكبير ، وقد تقاضى عن ذلك ٥٠٠٠ كراون نسوى ذهبي .. وقد اعترف لي

مزها بأعماله - دون ان يعرف ميول السياسية - حين مرتت بالصالحية وعرجت على مضاربته فى ربيع سنة ١٨٨٧
على ان اعظم ضرر حاق بعرايى وسهل وعجل زحف ولسل ، هو ما قام به عدد من الجواسيس الذين اندسوا بين جيشه - فى القاهرة والتل الكبير - مسلحين بقلال ووعود الترقية لمن يتمردون من رجال عرايى - وكان هؤلاء الجواسيس موفدين من الخديو ، يشد ازرهم عثمان رفعت بك ، الذى لجأ الى الضرب على الاوتار التى تثير غيرة الضباط ، لا سيما اولئك المتحدرين من اصل شركسى - والايحاء اليهم بان ولسل والانجليز انما يخدمون الخديو بموافقة السلطان الذى لن يلبث ان يعلن ان عرايى متهمون خائن !

اما بين الزعماء الوطنيين المدنيين ، فكان هناك مبعوث آخر لم يخفق فى التأثير عليهم ، ذلك هو الزعيم القديم لحركة الفلاح « سلطان باشا » ، الذى ارتقى فى احضان الانجليز ، ولم يعد يخجل من ان يشيع الفرقة بين من ظلوا متمسكين بوطنيتهم ! .. واعتقد انه كان صادرا فى ذلك عن عذد اكثر منه عن طمع ، وقد استعمل فى مهمته سلاح المال ، ويبدو انه كان ينفق من جيبه الخاص - اذ كان اول قرار مالى اصدرته حكومة الخديو بعد معركة التل الكبير ، هو ان منحه علنا ١٠٠.٠٠٠ جنيه كتعويض عن الخسائر التى حاقبت به اثناء الحرب ، وان يكن ما انفق لم يصل الى هذا الرقم ..

غدر وخيانة .. وسوء طالع !

♦ ومع كل ذلك ، فقد كان من الممكن ان يطول امد الدفاع الوطنى ، لولا الحظ العاثر : اذ وقع محمود فهمى فى الاسر بعد ايام من وصوله الى التل الكبير ، ولما يتم اقامة الاستحكامات الدفاعية ، فقد خرج الى الجانب الآخر من وادى الطميلات يستروح النسمات ذات مساء وقد تخفف من يرقه العسكرية ، ولم يصحبه سوى ياوره . واذا بجماعة من الحرس الانجليز يفاجئونه ويعتقلونه ، وهو بضائى من الياور . وكان اعتقاله ضربة قاسية لدفاع التل الكبير

كذلك كان من سوء الحظ ان اصيب اثنان من القادة ذوى الدراية ، فى القصاصين .. فقد قام على فهمى ورشيد باشا بعملية استكشاف ، اتبعها بهجوم على ولسلى ، وكاد « دوق كورنوت » ان يقع اسيرا فى ايديهما - ولو تم ذلك ، لما كان ثمة شك فى ان يضطر الانجليز تحت ضغط الراى العلم البريطانى الى طلب الصلح والمهادنة . لكن محمود سامى ، الذى كان مقفرا ان يزحف بالفى رجل من الصالحية ، اخطأ الموقع اذ ضلله بدو سعوه الطحاوى اثناء الليل . ومن ثم لم تصل كل القوة التى كانت معدة للم

الميدان ، كما جرح على فهمى ورشيد ٠٠ فضلا عن ان قائدا من زملائهما
 - هو على بك يوسف - غدر بهما عمدا ١٠
 وهكذا ساد الاضطراب فى التل الكبير ، وفقد عرابى خيرة ضباطه
 دون ان يستطيع تدبير من يحل محلهم ٠٠ اذ ان الضباط الباقين الذين
 كانوا موضع ثقة - ومنهم على باشا الروبى الذى عهد اليه بالقيادة هناك
 - كانوا نادى الخبرة والتجربة ٠٠ كما ان عرابى ظل فى معسكره محوطا
 بالاعيان الذين كانوا يتوافدون لزيارته ، ومعتمدا على سعود الطحاوى فيما
 كان يزيفه له من معلومات عن حركات جيش ولسلى ٠٠

الليلة المشؤومة !

♦ ولم يكن فى قوات عرابى فى التل الكبير من الجنود النظاميين
 المدربين ما يزيد على ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ ، والباقي من المتطوعين ، وقد راحوا
 يعملون ليل نهار فى استكمال خطوط الدفاع ٠٠ الى ان جاءت النهاية فى
 فجر ١٣ سبتمبر على حين غرة - ولقد اضفى الانجليز جوا خياليا على زحف
 قواتهم من (المحسمة) ليلا ، ولكن الطريق كانت فى الواقع مبهدة من قبل
 بوسائل الرشوة والغدر كما قدمت ٠٠ لا سيما وان اثنين من صفار ضباط
 عرابى الذين عهد اليهم بمراكز هامة ، فد قبلا رشوة الخديو ، وهما
 على بك يوسف وعبد الرحمن بك حسن ٠٠ وكان اولهما يتولى القيادة فى
 جزء من الخطوط المركزية ، فلم يكتف بمغادرة مكانه فى الليلة الفاصلة ،
 بل انه وضع مصباحا لارشاد الاعداء ! ٠٠ اما الثانى الذى كان قد عهد اليه
 مع رجاله - حرس الخيالة - بحراسة الطريق الصحراوى من الشرق ، فقد
 نقل رجاله فى تلك الليلة بحيث ترك الطريق مفتوحا للانجليز !

اما عرابى وبقيّة الجيش ، فقد اطمأنوا الى المعلومات الزائفة التى قدمها
 لهم سعود فى تلك الليلة ، فاخذوا الى النوم ٠٠ واذا بهم يفاجأون بالعدو
 يخترق خطوطهم فى نقاطها الضعيفة ، فلاذ المتطوعون غير المدربين بالفرار ،
 ولكن الانجليز احدثوا بهم وقلبوا المعركة الى مجزرة ! ٠٠ وصمد الجيش - لا
 سيما المدفعية بقيادة محمد عبيد - ولكن مقاومتهم لم تدم اكثر من اربعين
 دقيقة ، استشهد خلالها عبيد وطائفة من خيرة رجاله ٠٠ ولم تنقضى ساعة ،
 حتى كان الجيش الوطنى قد غدا حطاما ٠٠ ولقد حاول عرابى ان يتفادى هذه
 النتيجة ، وان يصل خلال افواج الهاربين المدعورين الى خطوط محمد عبيد،
 ولكنه لم يستطع ، واضطر فى النهاية الى ان يلجى رجاء خادمه - الذى كان
 يرافقه - وان يرتد الى محطة التل الكبير قبل ان يحتلها الانجليز . فلما
 لم يجد قطارا ، عبر الجسر الصغير قبل ان يفتح ، وانطلق الى بلبيس ٠٠

وكان كل هم عرابى ان يصل الى القاهرة قبل ان تبلغها انباء النكبة ،
فيحصد المدينة ويصدها للدفاع ..

ولكن دسائس الخديو ، والاعلان الذى اصدره السلطان باعتبار عرابى
خائنا ، قضيا على كل امل .. ثم وضع وصول الفرسان الهنود الى العباسية
فجأة ، حدا لمقاومة اللجنة الحربية .. واذا رأى عرابى ان كل فرصة قد
ضاعت ، سار الى العباسية فسلم نفسه .. اسير حرب !

الفصل السابع عشر

محاكمة عرابى

♦ فى تلك الاثناء لم اكف عن مواصلة جهودى فى لندن ، وكان مما
ساعدنى ان قامت جماعة من « الراديكاليين » الممارضين للحرب بجولة فى
الاقاليم حولوا خلالها الراى العام لصالحى .. كما اننى بادرت الى اثارة انتباه
جلادستون الى ما بدأت الصحف تنشره عن المظالم الانتقامية التى شرع تولى
وزرائه الشراكسة يوقعونها بالاسرى الوطنيين حتى انهم كانوا يتزعسون
اظفار محمود لهماى القائد المهندس ، ويعرضونه للضرب بالسياط ، وغير ذلك
من الوان التعذيب .. وكان اخشى ما خشيته وسط الفسجة التى احداثها فوز
الانجليز فى التل الكبير ، ان يتعرض عرابى لعمل انتقامى ، فيتخذ كبش
الذداء للاخطاء التى ارتكبتها الخديو والانجليز .. لا سيما وان جلادستون
وزرائه كانوا يصلون الى ان يتقاضوا عرابى حياته ثمنا لجرمهم السياسى ،
ولكن الراى العام استطاع ان يحولهم عن هذا الاتجاه ..

كذلك كتبت الى جلادستون مباشرة اعرب عن خوفى من ان تكون اية هيئة
عسكرية يؤلفها الخديو لمحاكمة عرابى ، متحيزة ومغرضة ، ومن ان لا يستمتع
الشهود العدول بحرية اداء شهاداتهم ، وان تحشد السلطات جهود الزور
.. وانتهيت الى اننى ونفر من اصدقائى قد اعتزمنا ان نهيب مجلس دفاع
لعرابى وكبار المسجونين من الوطنيين فى القاهرة .

وفى الوقت ذاته ، رجوت ان يسمح لى بالكتابة الى عرابى فى سجنه
مؤكدًا له صداقتى ، وسائلا اياه ان يوكلنى عنه فى رعاية مصالحه وتدبير
الدفاع عنه ..

ورد « هاملتون » نيابة عن « جلادستون » فقال ان الرسائل الموجهة
الى عرابى لا بد ان تحظى باذن من الخديو ومن القائد العام البريطانى ،
ونصحنى بان ارسل خطابى الى « ماليت » ليتولى الامر .. ولكن « ماليت »
لم يلبث ان رد الرسالة معتذرا بان تعليمات وزير الخارجية تضطره الى ذلك ..

وكانت الظواهر كلها تجمع - يوما بعد يوم - على ان عرابى لن يحظى بمحاكمة عادلة . فلما قيل ان اسماء اعضاء المحكمة العسكرية ستعلن فى ٢٨ سبتمبر ، عدت اكتب الى جلادستون بشأن مجلس الدفاع عن عرابى وزملائه ، واسأله ان يتيح لى ولزملائى حماية دبلوماسية فى القاهرة تمكننا من العمل للأهداف التى ننشدها

ولكن الخطاب لم يصله ، اذ كان قد بارح لندن ، وحوله سكرتيره الى وزارة الخارجية . . . غير اننا لم نحظ بجواب من جرانفيل ، فقسروا و « بتون » و « لورد ديلاوار » ان لا نضيع الوقت عبثا ، وابرقنا الى « برودلى » المحامى الشهير - وكان اذ ذاك فى تونس - كى يسافر الى القاهرة حيث سيجد فى انتظاره محاميا آخر يعمل كمساعد له . . . وكان هذا المحامى المساعد هو « مارك نابير » الذى عرف بالكفاح فى قضاياهم ، والذى كان على دراية بالأساليب الدبلوماسية ، اذ كان ابنا لسفير سابق . . . وكان عليه ان يبادر فور وصوله الى القاهرة الى مقابلة « مالت » والاصرار على رؤية عرابى بوصفه محاميا عنه . . . وان يثير كل ضجة ممكنة اذا ابى عليه « مالت » ذلك . . .

أما انا ، فقد رأى « ديلاوار » - ازاء حنق وزارة الخارجية على - ان لا اذهب الى القاهرة ، لأنه توقع ان اعتقل وارحل عنها ثانية الى انجلترا . . . وفى الوقت ذاته ، سعى « ديلاوار » حتى حصل من جرانفيل على تأكيد بأن الخديو سيتتيح للدفاع عن المسجونين كل فرصة معقولة ، فتناول « بتون » هذا الوعد ، ونشره فى « التايمز » محوطا بطنطنة أخرجت جرانفيل ، وألزمته به !

عراقيل . . . ودسائس !

◆ واخذنا فجأة بظهور « كولفن » من جديد على مسرح الموقف فى القاهرة ، وكان لا يقل تحمسا عن الخديو فى العمل على منع نشر شيء عن المحاكمة ، التى راحت وزارة الخارجية تتعجلها قبل ان يصل « برودلى » الى القاهرة . . . فنقل عرابى الى حراسة الجيش الانجليزى ، ومنع كل اتصال بينه وبين الخارج دون موافقة الحكومة الانجليزية . . .

وحدد يوم ١٤ لبنة المحاكمة ، فى حين ان برودلى لم يستطع ان يصل قبل يوم ١٨ . . . بيد ان ظهور « نابير » على غير توقع ، قلب خطط الوكالة الانجليزية رأسا على عقب !

وزيادة فى عرقلة المحامين الانجليزين ، اختير القانون الجنائى العسكرى الفرنسى لطبق فى المحكمة العسكرية ، وهو يتيح اجراء تحقيق كامل مع

التهمة ومناقشة الشهود قبل ان يتصلوا بالمعامين ٠٠١ وكان الخديو يرسل بعض « الطواشى » سرا الى عرابى وزملائه فى السجن ، فينزلون بهم اقسى الوان التعذيب الوحشى ، لتحطيم روحهم المعنوية ٠٠ كما اعلنت الحكومة المصرية انها لن تسمح باى دفاع الا اذا كان بالعربية !

وكان كل ما فعلته الحكومة الانجليزية للحد من نفعة الخديو ، ان عينت انجليزيين يجيدان العربية ، للاشراف على اجراءات المحاكمة ٠٠ وشاء القدر ان يكون الاثنان من المخلصين ذوى الامانة والشهامة ، وكانا - بالمصادفة - من اصدقائى ، وهما « سير تشارلس ولسن » ، و « اندرين بيمان » ٠٠ وقد اعجبا بجلد عرابى وموقفه الكريم اثناء المحاكمة ، وقدموا للمحامى « نابير » ما فى وسعهما من مساعدة خاصة ٠٠

وافلح نابير فى اقناع ماليت بأن يعترف به وبالمحامى « ايف » - الذى وجده لحسن الحظ فى القاهرة - كممثلين رسميين لاصدقاء عرابى ٠٠ وكان ماليت يرجى كل محاولة له كى يقابل عرابى نفسه ، ويحيى له على رياض باشا - وزير الداخلية - الذى كان يرفض على طول الخط ٠٠ بينما كانت المحاكمة تدار بسرعة ٠٠

التأمر على حياة عرابى

♦ وفى ١٢ اكتوبر ، اندلعت «ديلاوار» بأن حياة عرابى مهددة بالخطر ما لم نتخذ اجراءات حاسمة ٠٠ وقررت مع «بتون» ان نقيب بالترى العام الانجليزى ، وان نشن حملة شديدة على وزارة الخارجية وجلادستون نفسه ٠٠ وفعلنا كتبنا رسالة قاسية الى جلادستون اهتمت فيها جرانفيل بكل ما فى نفسى ، وعمل «بتون» على ان تروج «التاييز» لهذه الرسالة ، وان تتناول الموضوع فى مقالها الرئيسى فى اليوم التالى ٠٠

وفعلت هذه الحملة فعلا فاعتسرت وزارة الخارجية بضرورة ازالة محاكمة عادلة لعرابى وزملائه ، وامرت ماليت بأن يسحب اعتراضه وان يعمل المعامين الذين اوفدناهم لعرابى معاملة طيبة ٠٠ وكان هذا كفيلا بان يشجى فرع الخديو ، اذ ان المحاكمة العادلة تفضح الاعيىب ، كما تكشف الاكاذيب الرسمية التى بنت عليها الحكومة الانجليزية تصرفاتها ٠٠ ولم يكن السلطان ايضا بمنجى من الافتضاح . ومن ثم تلقيت من نابير بوقية فى ١٦ اكتوبر بان من المتوقع ان تتخلص الحكومة المصرية من المحاكمة وان تدفع كبر المسجونين الى مبارحة البلاد !

وفى تلك الاثناء ، وصل برودلى الى القاهرة وبدأ يعمل بنشاط ٠٠ وكان الانهام ينصح بعدم التعميرى بالخديو ولا بالسلطان ، وقد وجهت الاسئلة فى المحاكمة وفقا لهذا الانجاء الذى كان يلائم اغراض حكومتنا ، اذ انه

لا يهدم المبررات التي تلوقت بها في سياستها ضد عرابي ، وفي إدارة دفة الحرب ..

مصير عرابي في كفة ميزان !

♦ وفي ٢٢ أكتوبر ، سمح لبرودل ونابير بمقابلة عرابي في سجنه ، ووجدوا أن لديه من الأموال ما يضع أسسا للدفاع قوى .. وقد كتب لهما في الأيام القلائل التالية تاريخا عاما ، وصريحا ، ومقنعا ، لكل المسائل السياسية التي كان له شأن فيها .. وكان أهم نصر لهما أن استطاعا بمساعدة زوجة عرابي وابنه وخادمه ، أن يحصلوا على الوثائق التي كانت في حوزته ، وكانت مخبأة في مكان أمين لم تستطع أيدي عبيد الخديو أن تصل إليه ! .. وقد كانت هذه الوثائق ذات قيمة عظيمة ، لا سيما وقد كانت بينها الرسائل التي كتبت إليه بأمر السلطان .. حتى لقد كتب لي نابير في ٣٠ أكتوبر يقول أن الحكومة لا تستطيع أن تواجه دفاعهم ، بأن تعرض صلحا ترد فيه كل ما صودر من أملاك في مقابل اقضاء عرابي وصحبه عن البلاد ..

ووجد التطور الذي وقع في القاهرة صدى مضاعفا في صحف لندن ، واستطاع « برودل » بما كان له من صلات أن يكسب الصحافة في صفه .. وعجزت ماليات وكولفن عن مقاومة التيار ، فلذا الاسرار تتكشف واحدا بعد الآخر ، ففقد كولفن ثقة وزارة الخارجية ، كما بدا ماليات فيرك كفه لمركزه .. وجن جنون جرانفيل لما أحرزنا من انتصارات في القاهرة ، فلوفا لدورد دفرين ليصمى لتسوية الموقف وتلاذي الفضيحة .. وبادرت أكتب الى برودل في ٢ نوفمبر أحلده من أن دفرين سيحاول اقناع عرابي بقبول أن ينفي الى بقعة في الامبراطورية البريطانية يبقى فيها كاسير سياسي ويعامل خير معاملة ، كما سيحاول أن يحصل منه على أوراقه ووثائقه .. ونهيت برودل الى ضرورة احباط الفسائتين ، والى ضرورة تثبيت عرابي بالحكمة ، وبأن تسحب في المحكمة - علانية - الاتهامات الموجهة اليه والى صحبه ! كما نهته الى أن دستور فبراير سنة ١٨٨٢ - الذي اعترف به الخديو والسلطان - يحرم النفي .. ففي سلطة أى منهما أن يقصيه عن منطقة نفوذه ، ولكن ليس من حقه أن يحدد له مكان النفي الذي يستقر فيه ..

الفصل الثامن عشر

بعثة « دفرين »

♦ كان الخديو ووزارؤه يعملون في حرية لاغراضهم ، حتى وصل دفرين الى القاهرة في ٦ نوفمبر ، فلم يدع للخديو فرصة خداعه باكاذيبه ، وفتح

أبواب الوكالة الانجليزية لكل راغب فى أن يدلى بمعلومات ، وسرعان ما ألم بفكرة صادقة عما كان يجرى فى مصر خلال العامين الاخيرين ! ٠٠ وحظى برودلى ونابير بمقابلة دفرين مرارا ، وأطلعاه على كل ما كان يدور فى المحاكمة من خدع والاعيب ٠٠ وفى ١٨ نوفمبر تلقت برقية من برودلى جاء فيها :

« هناك أمل فى صلح رائع ٠ لا تهاجموا وزارة الخارجية ٠ التكنم التام ضرورى » ٠٠ ولكن الحكومة المصرية ركبت رأسها ، وراحت تعمل جهرا وفى تحد ، لتدفع براس عرابى الى المشنقة ٠٠ وراح برودلى ونابير يغوضان المعركة ، واستطاعا أن يكسبا عون ولسن ودفرين ، ولكن حكومة الخديو كانت تمضى فى خططها الجهنمية بسرعة عجيبة ٠٠ واخيرا ، كتب لى برودلى فى ٢٧ نوفمبر ١٨٨٢ يقول ان من الممكن الوصول الى صلح مرض ، على أن ينفى عرابى ومحمود سامى وطلبة الى رأس الرجاء الصالح ، وأن يجردوا من رتبهم العسكرية وممتلكاتهم ٠

وكتب نابير فى نفس التاريخ يبين كيف ان ادارة البريد كانت تفتح الرسائل التى كنت أبعث تعليماتى فيها ، ويشير الى الاعيب التى كانت تجرى فى المحاكمة ٠٠

وكان حريق الاسكندرية - اثر ضرب الاسطول لها - هو العقبة الكبرى فى طريق الدفاع ٠٠ فمع ان « نينيه » أثبت أن الحريق نشب نتيجة القنابل والمتفجرات ، الا أن أعداء عرابى استطاعوا أن يثبتوا أن عرابى هو الذى أمر بإشعال النيران ! ٠٠ وتعذر على الدفاع أن يحطم الاتهام ٠٠ ومن ثم كان خير حل هو المساومة على نفى عرابى ، ومحاولة احراز منفى مناسب له ٠٠ مع ضمان معاش ملائم له ، وتمويض عن الثروة المصادرة ٠٠ وكان هذا أقصى ما استطاع دفرين أن يعد بدفع الحكومة المصرية على تقديمه ٠٠

وانتهت المفاوضات الى أن يكون المنفى فى جزيرة « فيجى » أو جزر « الأزور » ، بيد اننى تشبثت بأن يكون فى بلد اسلامى ، فجاءنى الرد بأن دفرين يقترح أن يتباحث « ديلاوار » مع وزارة الخارجية فى ذلك ٠٠ وخرج « ديلاوار » من مباحثاته بأن خولت وزارة الخارجية لدفرين أمر اختيار المنفى ٠٠

عرابى فى المنفى

◆ وفى تلك الاثناء كنت أعمل جاهدا فى تدبير نفقات الدفاع ، فقد بلغ ما لبرودلى ٣٠٠ جنيه ، فى حين ان ما استطعت أن أجمعه من اكتاب لم يتجاوز ٢٠٠ جنيه ، ومن ثم لم يكن فى طوقنا أن نطيل المحاكمة لنكسب موقفا أفضل ، لان اطالنها كانت تتطلب مزيدا من النفقات !

لهذا اضطررنا الى ان نقنع بالنتيجة التى وصلنا اليها ، وان نحصل على قبول بان تكون « سيلان » هى منفى عرابى ٠٠ اذ يقال انها كانت مقام ابينا آدم بعد ان طرد من الجنة !

على أن احتياطا واحدا ، لا أدري كيف غاب عن فطنة برودلى : ذلك هو ان نسجل شروط الصلح كتابة ٠٠ فقد أتاح ذلك للحكومة المصرية أن تهين المسجونين وان تخفض رتبهم العسكرية ، وهو ما أوقن من أنه لم يكن من نوايا دفرين ٠٠ كما انه ترك مجالا للنزاع فيما يتعلق بمقدار المعاش والتعويض ٠٠ وكان أكبر المسجونين نصيبا من الضرر هو محمود سامى ، اذ كانت ممتلكاته المصادرة تفوق ممتلكات سواء بكثير ٠٠

والآن اذ اختتم مذكراتى ، لا أدري ما سوف يكون عليه مستقبل مصر ٠٠ على ان الامة ستبقى حية ، وقد يأتى يوم يتاح فيه للفلاحين أن يحكموا انفسهم ، واذا ذلك ، سيتبدى لهم الكفاح المسلح الذى جرى فى سنة ١٨٨٢ فى ضوئه الحقيقى ، كفاتحة لحياتهم القومية ٠٠ وهى حياة ستكون محفوفة بالعظمة والمجد ٠٠

تم الكتاب

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات « بوسنة قصر الدوبارة »
لغاية ظهر يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٤ عن عملية :
اصلاح سوق المواشى ببلينيا
مديرية بنى سويف
وتطلب الشروط والمواصفات من
المصلحة على ورقة تمفة فئة
الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ
٢٠٠ مليم خلاف اجرة البريد
وطابع المهن الهندسية وكل عطاء
غير مصحوب بتأمين ابتدائى
قدره ٢ فى المائة لا يلتفت اليه .
٨٦٧٩

وزارة الحربية والبحرية

مصلحة الطيران المدنى

يقبل مدير عام مصلحة الطيران
المدنى تقديم العطاءات حتى الساعة
١٢ من ظهر يوم ١٧ أكتوبر سنة
١٩٥٤ عن عملية انشاء مبنى
المنارة اللاسلكية بمطار بورسعيد
وتطلب الشروط والمواصفات
والرسومات من قسم المشتريات
« ١٣ شارع فؤاد الاول بالقاهرة »
على ورقة تمفة فئة الخمسين
مليما نظير دفع خمسمائة مليم
عدا . ٤ مليما اجرة البريد .

٨٦٩٦

عزيزى القارىء . . .

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : « كيف تصارح اولادك وبناتك باخلاق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الحجل » و « كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » . .

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى « اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة . .

ثم قدمت لك عقب ذلك سلسلة فصول كتاب « غزو السعادة » لبرتراند رسل . . فكتاب فرويد المشهور « التحليل النفسى » ، يليه « كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة » ، ثم « الجنس الاخر » ، و « عش حياة ايجابية » ، و « ابواب الحب المغلقة » ، و « فن الحب » ، للشاعر الرومانى اوفيد . . ثم « الانتصار على الخوف » ، للاخصائى المعروف « جيمس بندر »

واليوم أقدم لك الجزء الثانى من الكتاب العالمى فى « العلاج الطبيعى » للاخصائى الالمانى الدكتور « برنارد ديتمار »

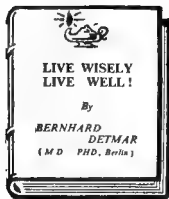
خوافز الحياة



النفس

والجنس ..

والمجتمع ..



LIVE WISELY
LIVE WELL!

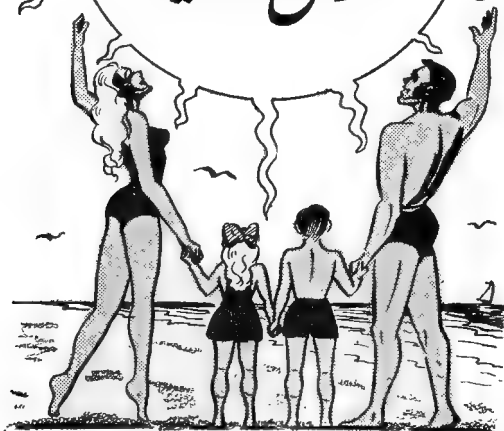
By

BERNHARD
DETMAR
(MD PHD, Berlin)

دکٲور

برنارڊ ڊيٽمار

عش بحکمة ..تعش سلیمًا!



الصحة ليست هبة .. وانما هي كفاح !

◆ يتغنى الشعراء والفلاسفة بهدوء النفس وقدرة المرء على أن لا يخرج عن وعيه ، حتى لقد دعا بعض الفلاسفة القدماء الى مذهب «عدم المبالاة» ، والواقع أننا لو أنعمنا النظر فى الطبيعة البشرية ، لوجدنا أن «عدم المبالاة» كان مذهب قوم ملوا الحياة ، وتاقوا - دون وعى - الى أن يفروا من عالم المظاهر المصطنعة وعدم الراحة والشواغل المستمرة والانفعالات والآلام .. وهذه حال لا تزال قائمة فى عالمنا اليوم .. بيد أن «عدم المبالاة» لا يمكن أن يتحقق الا بالموت ، اذ أن نفوسنا تظل - ما دمنا أحياء - بعيدة عن أن تعرف الراحة ، وكلما تجلت حركتها ازدادنا حياة .. ولا بد أن تتناوبنا عوامل السرور وعوامل الاستياء ، دون أن تكون لاي منها الغلبة على الثانية .. وكلما ازدادنا صحة ، سهل على العقل والروح مغالبة المضايقات والمشيطات السلبية ..

ان الصحة هى السعادة .. وليست السعادة فى مجرد غياب الألم ، وانما هى فى أن نكون من القوة دائما بحيث نهزم الألم اذا أصابنا .. فى أن نحول الاستياء الى ابتهاج ، وان نميز الخبيث من الطيب ، وان نخوض المتاعب ضاحكين .. ولن يقوى على ذلك الا الصحيح الجسم ، الوفور الصحة .. ولكن الصحة ليست مجرد هبة ، وانما هى بغية لابد من أن نجدد الكفاح فى كل يوم من أجلها .. فان التغيرات التى تطرأ على أبداننا تحدث فى ببطء وتسلل ، فلا نكاد نتيبنها أو نشعر بأثرها فى جهادنا من أجل الصحة ، ولكن النفس هى التى تكشف لنا مدى تقدمنا .. فاذا شعرنا بالسكينة والهدوء ، كنا ماضين فى الطريق الصحيحة ، وكل اشارة للقلق وعدم

الراحة تنم عن انحراف .. بل هي أكثر من العوارض البدنية دلالة على المرض .. وهي نذر لنا كي نرتد الى الطريق الصحيحة .
 فالصحة ليست بالشئ الثابت ، أو الذى يقاس بكميته ، وانما هي تعبير عن مدى انتصارنا في كل مرحلة وميدان في كفاحنا ضد تكون المرض والقوى الهدامة . ولا بد لميزان الصحة من أن يتأرجح ، ولكنه يجب أن لا يتجاوز الوسط في الهبوط ، وحيدا لو بلغ الذروة في الصعود .

أهمية النوم .. والراحة الجسمية والنفسية

◆ ان الحركة ضرورية للنفس ضرورتها للجسد .. فالنفس التي لا تغضب للحق أو تثور ضد الظلم نفس مريضة .. ودنا الذى لا يحفل بأهله ، ولا يصل رحمه ، ولا يعنى بأخوته في الاسانية ، راصيا بأنانيته عاكفا عليها، لا يعد من الاحياء .. والذى لا يعرف الحزن لا يعرف الفرح !
 يجب أن نستعين بكل قوة وكل عاطفة في كياننا في صراعنا ضد الهنات والاختفاء والمرض ، ضد كل شر في أعماقنا وخارج كياننا .. ومن أجل هذا تتطلب الحياة الحركة ، على أن تكون حقيقية لا زائفة، اذ بهذا تصبح الحركة سلاحا في سبيل الصحة ..

وكل حركة جسدية ونفسية تستهلك من نشاطنا ، ومن ثم فلا بد من ان نعوض ما ينقص بالراحة .. يجب أن تعقب الراحة والاستجمام كل توتر وإرهاق .. ومهما كانت فترات الراحة في النهار ، فإن راحتنا الكبرى ، والرئيسية ، هي راحة الليل : النوم .. فهو من أهم الوسائل لاستبقاء الصحة والشباب ، اذ أن خلايا الجسم التي ينهكها عمل النهار ، تعيد نشاطها وتجدد قواها أثناء النوم ، فإن أعضاء الجسم تكف عن العمل ، أو هي لا تعمل الا القليل ، أثناء النوم ، وتتحرر أجهزة الحس واللمس من التأثيرات العديدة النواحي التي تتعرض لها بالنهار .. ومن ثم تجد الخلايا الفرصة للانصراف الى الإصلاح والتجديد .. وكثيرا ما تكون الاحلام ضرورية لتحرير الروح من الضيق والارهاق ، ولتنسوية كثير من المعارك التي تدور فيها ، ولانصاج الافكار التي لم تستكمل النضوج ..

لهذا كان لابد من أن يكون الفراش مريحا ، وان تكون الطبقة التي تحت الحشية « الملة » يابسة ، أو تكون الحشية ذاتها محشوة بالقش حشوا تاما .. ومن الخطر ان يبدأ الإنسان في فقدان النوم بسبب عادات خاطئة في أسلوب حياته ، فالنوم المضطرب من نذر الطبيعة ، ويجب المبادرة الى علاجه . وسأورد

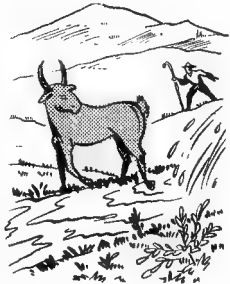
فيما بعد خير الطرق لذلك .. ومن الخطأ التام أن يتخيل المرء أن في وسعه أن يفرض النوم على نفسه بقوة الإرادة أو بالعقاقير ، فإن الارق دليل على اضطراب مؤكد في الجهاز العصبي الاوتوماتيكي الذي يحكمنا ولا يخضع لرغباتنا . وإذا لم يتيسر للمرء النوم ، فليس أقل من أن يستريح مغمضا عينيه ويطلق نفسه على سجيته وطبيعتها دون أى قيد . وهذا نوع من الراحة تتسنى ممارسته في كافة الاوقات ، ومن ثم يحسن ممارسته كثيرا ، حتى في النهار .. ولا ينبغي أن نتجاهل شعورنا بالتعب ، وانما يحسن أن ننعيم بالراحة ساعة أو نصف الساعة أثناء النهار ، لا سيما بعد الغداء .. وفي حالة الارهاق الشديد أو التعب الشديد ، يجدر بالمرء أن يستلقي في الفراش من وقت لآخر ستا وثلاثين ساعة - أى ليلتين ونهار على التعاقب - ولا يجب أن يتناول طعاما في الفراش ، فالسرير للنوم فقط ..

وفي حالات الارهاق يحسن أن نلوذ بالصمت ، فلا نكلم الا حيث يكون الكلام ضروريا في معركة الحياة .. فالصمت راحة واستجمام للعقل ... ولو استطعنا أن نلزم الصمت المطلق ساعة واحدة في كل يوم لكان لهذا أثر عظيم في الاستجمام .. فتناوب الراحة والحركة - بالفدر المعقول - من عوامل الصحة العظيمة القيمة ..

الماء من أهم عناصر العلاج

◆ عرف الماء واستخدم منذ عرف الانسان الحياة لأول مرة .. والاستحمام والاعتسالم من طقوس الدين لدى كثير من الشعوب الشرقية . وقد كان قدماء الالمان يقيون أجسادهم بالحمامات الباردة ..

والعلاج بالماء معروف منذ القدم ، ولكنه اتخذ شكلا علميا منظما منذ أواخر القرن السابع عشر على أيدي بعض الاطباء الالمان ، وغير الاطباء . ومن أشهر هؤلاء « فنسنت بريسنتز » - الذي عاش بين سنتي ١٧٩٩ و ١٨٥١ - اذ كان في صغره راعيا في جبال بوهيميا . فلاحظ أن غزالا أصابه طلق ناري، واعتاد



أن يرد جدولا يفصل فيه جرحه كل يوم .. وتبين ان العرج الذي غلب على مشية الساق كان يقل يوما بعد يوم ، حتى تلاشي تماما .. كذلك كان يشاهد الفلاحين يلفون الماشية المحمومة في قماش مبلل . وجرح أصبعه يوما ، فاخذ يعالجه بنفسه مرارا بالماء البارد .. ومن ثم أقبل يعالج الناس بالماء البارد ، وظل عشرين عاما يمارس هذا العلاج ويعمل على تحسينه حتى بلغ الذروة .. وكانت طريقة « بريسنيتز » تتلخص في الفسيل والضمادات المبتلة « كمادات » والحمامات بالماء الباردة والبقاء فيها حتى تـدفا .. وكان الفسيل - جزئيا أو كليا - يتم بالاسفنج أو باليد . أما الضمادات المبتلة فهي على نوعين : مطلقة ، ومهيجة .. وفي الاولى تبدل الضمادة بأخرى بمجرد أن يسرى اليها الدفء ، عدة مرات .. أما في الثانية ، فتترك الضمادة الباردة الى أن تدفا وتجف ، ولو استغرق ذلك أياما .. وهناك « كمادات » للبطن ، وأخرى للاقدام - هي عبارة عن جوارب مبللة - وغيرها للرأس ، وللجبين ، وللرقبة ، وللساعد ، ولليد .. وكان الاخصائي المذكور يستعمل للكمادات الكبيرة أقمصه أو جلابيب مبللة ، أو ملاءات غطست في الماء ثم عصرت عصرا شديدا ، كي تلف حول الجسد باحكام .. فضلا عن نوع خاص من الكمادات تسمى « كمادات المشى » وهي عبارة عن صديري وسروال مبتلين ، يرتديهما المريض فوق اللحم ، ثم يرتدى فوقهما ثيابه ..

أما الحمامات فنوعان : جزئي وكلي ، وكلاهما بالماء البارد .. والحمامات الجزئية إما لنصف الجسم ، وإما للعضو الواحد ، فهناك حمامات لليدين ، وأخرى للمقدمين ، وثالثة للعينين .. وكان « بريسنيتز » يبني علاجه على نظرية العصارات الجسدية ، فكان يرمى الى طرد العصارات الضارة بالعنف ، وذلك باصطناع حالة حمى ، بتدفئة الجسم حتى يتفصد منه العرق ، ثم يعقب ذلك حمام بارد جزئي أو كلي ، فرياضة عنيفة كالسير مسافة طويلة ، أو تسلق الجبال .. ثم حمام بالهواء ، يتلوه حمام شديد البرودة .. فتدليك مستمر للجسم ، تبرد الضمادات المستعملة فيه تدريجيا ، حتى يرتعش الجسم .. وفي حالات الحمى الحادة كان « بريسنيتز » يستخدم الحمام النصفى لامتصاص الحرارة من الجسم ..

للعلاج بالماء أساليب متنوعة ..

◆ ومن الحمامات العلاجية ما كان يجمع بين الهواء والماء ، فيستلقي المريض أو يجلس عاريا الى جانب نافذة مفتوحة ، وقد التف في قماش مبتل، يدلك من فوقه باستمرار ، بينما يصب الماء البارد على رأس المريض وأجزاء جسمه ، كلما بدأ يدفا ..

وكان « برسينتز » يعالج جميع الامراض والحميات والالوبنة المعدية بالماء .. وكان يقول : « ان مهمتنا هي ان نعالج المريض لا الداء .. نعالج قوة حيويته ، وادارته ، ونشاط أعضائه ، وتكوين دمه .. ولما كانت هذه العوامل تختلف من مريض الى آخر - ولو كان المرض واحدا - لذلك كان لابد ان تتباين اساليب العلاج .. »

وفي بافاريا ، كان ثمة طبيب آخر ابتدع للعلاج بالماء اساليب اخرى .. ذلك هو « سباستيان نيب » ، الذى ولد فى سنة ١٨٢١ وبدا حياته عاملا فى مزرعة ، ثم ساق له القدر قسا علمه ، فاقبل على دراسة اللاهوت ، حتى اوهن التحصيل جسده واصيب بنزيف رئوى ، وانتهى الامر بالاطباء الى القنوط من شفاثه ، وفى تلك الاثناء وقع فى يده كتاب عن العلاج بالماء ، فحرب ما جاء فيه ، وتعود ان ينطلق جازيا فى ظلام الليل بضعة ايام الى نهر الدانوب ، فيقفز الى مياهه الثلجية فى الشتاء ، ثم يخرج فيرتدى ثيابه بسرعة ، ويعود الى البيت فى جرى قصير - او ما يسميه رجال الرياضة « خطوة سريعة » - واستمر على ذلك بضعة شهور احس خلالها بتحسن مطرد فى كل يوم ، حتى شفى تماما !

وشجعه هذا على المضي فى دراسة التأثير العلاجي للماء على الجسد ، فشفى زميلا له بهذه الطريقة .. وما ان أصبح قسا فى سنة ١٨٨٠ حتى كان صيته قد ذاع ، واستطاع ان ينشئ مصحة للعلاج بالماء ظلت تتسع وتنمو ، وبقيت بعده الى الآن وتتلذذ عليه كثير من الاطباء

وكان الاغتسال بالماء البارد ، سواء فى الحمام أو تحت « الدش » ، اول وأهم شيء فى أسلوبه العلاجي - وكلما ازدادت برودة الماء ، وجب أن يقصر أمد استعماله - وكانت صنابير أو أنابيب الماء تتباين ، لتلائم مختلف الامراض ومختلف درجات القدرة على احتمال البرودة .. كما كان هناك نوع من « الدش » للركبة ، وآخر للخاصرة ، وغيره للجزء العلوى من الجسم ، أو للوجه ... الخ

ولا تزال طريقة « نيب » تستخدم الى الآن ، وان أدخلت عليها تحسينات وتجديدات لا حصر لها ، منها « الدش » البارد والساخن بالتعاقب ... ولا يزال فى الماء كثير من القوى العلاجية لم تتضح حتى اليوم .

الطريقة الصحيحة للعلاج بالماء

اولا : يجب أن يكون المريض دافئا عند البدء ، ويجب أن يضمن له الدفء بعد كل مرة .. وأسهل وسيلة لذلك هي أن يبدأ العلاج عند مغادرته الفراش ، ثم يرتد الى الفراش بمجرد فراغه منه مباشرة .. ولكن

يستحسن البدء ببعض التمرينات الرياضية التي تفرز العرق ، وكذلك الأمر عند الانتهاء ..

ثانيا : يجب أن يبدأ العلاج بمجرد خلع الثياب ، فإن أى تلبس يضر بالجسم نظرا لتبديد الدفء .. كذلك يجب عدم تجفيف الجسم بعد العلاج ، بل يلجأ المريض الى فراشه فوراً ، أو يرتدى ملابسه فى الحال ، ثم يمارس تمريناته الرياضية وذلك لحمل الجسم على أن يتخلص من الماء الذى تبقى عليه بتبخيره بالحرارة البدنية التى لا تتولد الا بانتظام الدورة الدوية واسراعها .. فاذا لم يشعر المريض بالدفء ، أو أحس ببرودة أو ارتعاش بعد نصف ساعة من انتهاء العلاج ، وجب أن يعدل عنه الى طريقة أخرى يحددها له الطبيب .

ثالثا : يجب تبين رد فعل الجسم لتأثير الماء عليه .. ويكون رد الفعل طبييا اذا احمر الجلد بسرعة وشدة ...

رابعا : تمارس طريقة « نيب » للعلاج فى غرفة حرارتها معتدلة .

الاغتسال علاج للحمى

♦ اغمس فوطة يد - مطوية الى أربعة - فى الماء البارد ، ثم اعصرها حتى لا تعود تتساقط منها أية نقط .. ومن الممكن فى حالات معينة أن يستبدل الماء البارد بماء فاتر ، أو حار ، أو ساخن .. والماء يكون باردا فيما بين درجتى ٥ و ١٢ مئوية ، وفاترا بين ١٢ و ٢٣ ، وحارا بين ٢٣ و ٣٦ ، وساخنا فوق هذه الدرجة .. على أن لا يعتبر مريض واحساسه اثرا كبيرا فى هذا الصدد ، فالماء الذى يعتبره مريض باردا ، قد يبدو لآخر فاترا ، ولثالث شديد البرودة .. الخ

وتختلف اجراءات الاغتسال تبعا لما اذا كان المريض فى الفراش أو خارجه . على انه يستحسن أن يكون الاغتسال فى الفراش حتى لا يفقد الجسم دفئه ، فتفسل كل ساق على حدة وترد الى الفراش الدافئ مباشرة .. ثم تفسل البطن والصدر ، وينام المريض على وجهه ليفسل الظهر .. وفى هذه الحالة أيضا ، يبدأ بالجزء الايمن ، ويعقبه باليسر .. وبعد ذلك يغطى المريض فيما عدا ذراعيه ليفسلا ، الايمن أولا ثم اليسر .. ولا ينبغى أن تستغرق العملية كلها أكثر من دقيقتين ..

وهذه العملية جديرة بأن تعود بفائدة عظيمة فى حالات الامراض المعدية الحادة ، ويمكن تكرارها من عشر الى عشرين مرة فى الأربع والعشرين ساعة ، تبعا لارتفاع درجة حرارة المريض ، على انه يتفصد عرقا فى العادة بعد مابين ثلاث وست مرات ، مما يخفف حرارته ... الا أنه لا ينبغى الاسراف فى مقاومة الحرارة ، فهي عامل هام فى الشفاء ..

الضمادات « الكمادات »

♦ تتألف كل ضمادة من ثلاث طبقات : الطبقة العليا من قماش من صوف ، تليها طبقة من التيل ، فطبقة ثالثة - هي الضمادة الحقيقية - من تيل أيضا .. وهي التي تبلل بينما تبقى الآخرين جافتين ... وتوضع الضمادة حول الجزء الذي يجرى علاجه من الجسد . ويجب أن تكون كل طبقة أعرض من التي تحتها بحوالى نصف سنتيمتر من الجانبين .. على أنه فى حالة الرغبة فى التخلص من الحرارة يمكن الاستغناء عن الطبقتين الملويين ، وأن لا تنصر الضمادة عصرا تاما . والضمادة القصيرة تمتد من الأبط حتى منتصف الدف ، ويجب أن يكون جسم المريض دافئا قبل وضعها . وأن لا ترفع من مكانها ، وأن تحفظ حرارة الجسم بزيادة الإغطية .. وأن تكون الضمادة مستوية لا تتخللها أية انثناءات أو تجعدات ..

وهناك ضمادة العجز ، وتوضع من أسفل الضلع السفلى الى منتصف الدف .. وضمادة الصدر ، من الأبط الى مستوى الضلع السفلى .. ولا يعنى القارئ هنا أن تغشى فى الحديث عن الضمادات « الكمادات » وكيفية اعدادها واستعمالها ، لانه لا ينبغى استعمالها - فى أية حال - بدون مشورة اخصائى فى العلاج الطبى ، يفحص حال المريض ويحدد مدى استعداده ، ونوع الضمادة اللازمة لاجتذاب العرق من جسمه وتخفيف حرارته ..

والواقع أن الضمادات والفسيل من أكثر أساليب العلاج نفعاً فى جميع حالات المرض .. ويؤثر عن البروفيسور « شونينجر » الطبيب الخاص لبيمارك أنه كان يقول : « إن قطعة من القماش المبلل فى يد طبيب حاذق ، أفضل من مخزن للأدوية بأكمله ! »

على أننا نكتفى باستعراض سريع لتأثير الضمادات المدة للعرق أو «تبخير» .. فى حالة ارتفاع حرارة الجسم ، تجتذب الضمادة المبتلة الدم الى الجزء الذى تغطيه .. وإذا كان التبخير مطلوباً ، فإن الضمادة تترك حول الساعة أو الساعة والنصف حتى تجف تماما .. والضمادة القصيرة من أفضل أنواع الضمادات لاستمرار العرق . ولتعجيل العملية يحسن الله ترطى بعض المشروبات الدافئة كالينسون أو التيليو أو ما إليها . ويجوز نزع الضمادة ، يجب غسل جسم المريض بسرعة بالطريقة السائفة شرحة : لو مسح - مع شيء من التدليك - حتى يجف .. وكلما كانت حرارة الجسم عالية ، وجب أن تزداد برودة الضمادة ...

الحمامات بالماء البارد والماء الساخن

♦ الحمامات قد تكون شاملة ، او تكون جزئية .. باردة ، او دافئة ، او ساخنة .. ويستغرق الحمام الكامل بالماء الدافئ خمس عشرة دقيقة فى المتوسط ، وعادة يضاف الى الماء بعض الاعشاب ، او ملح الطعام .. ويمكن تنويع حرارة الماء خلال الحمام تبعا لآر الطبيب . وهذا النوع من الحمامات ذو اثر مريح للجسم ومهدئ للاعصاب ، ولكن كثرة التكرار تفقده هذا الاثر ، ولذا لا يلجأ اليه - علاجيا - الا عند الضرورة ..

أما الحمامات الباردة الشاملة ، فلا يجب أن تزيد مدتها عما بين خمس وعشر دقائق .. وتكرارها يقوى طاقة الجسم على الاحتمال والمقاومة ..

وفى حالة الحمام الساخن يجب أن تكون حرارة الماء حوالى ٣٦ أو ٣٧ درجة مئوية ، ثم ترفع تدريجياً بقدر احتمال المريض .. أثناء الاستحمام .. ولمضاعفة تأثير هذا النوع من الحمامات يجب أن يحك الجسم - فى الماء - بفرشاة جافة الشعر ، حكا جيداً .. وفى حالة الشعور بأى انفعال ، يوقف الحك ، وترطب الرأس والصدر بالماء البارد .. ويستحسن وضع « كمادة » باردة على الجبين ، ويجرى تغييرها عدة مرات ..

ويجب أن يستغرق الحمام ما بين ثلث الساعة والساعة الكاملة ، ويستطيع الانسان أن يتعوده تدريجياً .. وهو طريقة أكيدة لاستئذراز العرق ، ويحسن أن يأوى المريض بعده مباشرة الى فراش توفر فيه الدفء من قبل ، فيلتف فى الاغطية التفاسفا محكماً ، بدون أن يجفف الماء عن جسمه .. فإذا أريد ايقاف العرق - ففى وسع المريض أن يأخذ «دشاً» بارداً ، أو يمسح جسمه بقطعة باردة - كما أوضحنا فى طريقة الاغتسال - أو يقتصر على تحفيف جسمه ...

والحمامات الباردة ، كالدافئة والحارة ، يمكن أن تكون شاملة للجسم كله ، او جزئية .. وثلاثتها عظيمة القيمة فى محاربة المرض ، وفى المكافحة للاحتفاظ بالصحة . بل هى من اللوازم الصحية اليومية .. والحمامات الدافئة والساخنة توصف عادة للمسنين أو ضعاف البنية ، على أنه لا يجب أن ننسى أن التعود التدريجى على الماء البارد لا يضر .. أما الحمامات الساخنة المتزايدة الحرارة - تبدأ عند درجة ٣٧ مئوية ثم ترفع تدريجياً بقدر احتمال الجسم - فتوصف فى حالة ضيق الاوعية الدموية «ارتفاع الضغط» أو تيبس الأطراف .. على أنها لا يجب أن تمارس دون مشورة طبيب ..

حمامات البخار

♦ يستخدم في العلاج بالبخار ، الماء المغلي الذي تضاف اليه بعض الاعشاب في الغالب .. فيصب ما بين جالونين وثلاثة جالونات ونصف الجالون في حوض خشبي تعلوه شبكة من الخشب وفوقهما غطاء خشبي ايضا ...

ومن اهم حمامات البخار حمام الرأس .. فيجرد الجزء العلوى من الجسم من الثياب ، وتوضع على الرأس ملاءة من التيل ، فوقها بطانية صوفية مسدلة حتى تصل الى الارض .. ويوضع الحوض الخشبي على مقعد امام المريض ، تحت اطراف الملاءة والبطانية ، ثم يرفع الغطاء عنه ، ويميل المريض فوقه ، ولا يجب ان يترك البخار يتسرب من تحت الملاءة والبطانية .
.. وعلى المريض ان يتنفس بعمق ورأسه منحنية فوق البخار ما بين عشر أو عشرين دقيقة .. ويعقب ذلك مسح جسمه بقطعة مبللة باردة - بالطريقة التى شرحناها في الاغتسال - أو يأخذ حماما باردا للنصف العلوى مدة عشر ثوان .. ويوصف حمام البخار للرأس فى حالات التهاب الجيوب الانفية أو فى منطقتى الجبين والفك ، أو نزلات البرد فى المسالك الهوائية .. وهناك حمام البخار للبطن ، وفيه يوضع الماء المغلى فى وعاء مثل « القروانة » ، ويخلع المريض ثيابه السفلية ، ثم يجلس فى بطنه واحتراس ، ويحاط الوعاء بملاءة من التيل فوقها بطانية لعدم تسرب البخار ، ويستغرق الحمام ما بين عشر وعشرين دقيقة ، يتبعه اغتسال بالقطعة الباردة ، أو حمام نصفى .. وتوصف هذه الطريقة فى حالة وجود اختلال فى البطن كتصلب عروقه ، وكالامساك .

ليس العلم الها بل هو صنعة البشر

♦ ومن المهازل الباعثة على الاسى ، ان دعاة العلاج الطبيعى كانوا يوضع حملات اضطهادية من أساتذة الطب والعلماء ، لار هؤلاء فى الواقع أسرى الاساليب التى لقنوها ، وأسرى ما يسمونه العلم ، يؤمنون به كما لو كان الها يجب اطاعة أوامره ... وفى هذا العنت والتزمت العلمى يكمن الشر ، فالعلم ليس الها ، بل هو من صنع البشر .. فى حين أن البشر من صنع الله ، فهم أبناء الطبيعة .. وكما أن خلق الله فوق خلق البشر ، فكذلك يجب أن تبقى الطبيعة خير دخر وكنز للبشر .. وأن تظل أستاذنا الأكبر .

اننا نجل العلم ، ولمهنا يقتضى أن نوفق وننسق بين العلم والطبيعة . ولقد وفرت الطبيعة الماء فى متناول أفقر أبناء البشر ، وهو وسيلة من

وسائل الصحة والعلاج .. وهناك مائة طريقة لاستعماله ، ولكننا يجب أن نستعمله عن فهم .. فالمرضى يجب قبل كل شيء أن يستشيروا طبيباً ، يكون ممن آمنوا بفوائد الماء العلاجية وتوفروا على دراستها ، فان الاستعمال الخاطيء قد يؤدى الى ضرر ...

العلاج الطبيعى يجب أن يبعد عن الارتجال

♦ وان الخبرة والتجربة اللتين مرتا خلال المائتى العام الاخيرة ، كفيلتان بأن تؤكدا أن من الممكن ممارسة العلاج بنجاح سواء بالهواء ، أو الشمس ، أو بالتدريبات الرياضية والتسديك أو بالماء .. بيد أن هذا جدير بأن ينبهنا الى اهمية عدم الاقتصار على احدى هذه العوامل دون بقيتها .. كما يجب أن يبصرنا الى اهمية اساليب العلاج الاخرى ، كالجراحة وكنظيم الغذاء « الرحيم » ..

لقد كان « نيب » من أهم أقطاب العلاج بالماء ، ومع ذلك فقد كان لا يفتأ ينبه مرضاه الى أن يجمعوا بين هذا العلاج وبين الاقتصار فى طعامهم على الخضر ، والاقبال على الرياضة ، وتقوية أجسامهم بتعريضها للهواء الطلق . وكان يقول أنه لو لم يجد الماء لاستخدم الهواء كمعصر علاجى . ذلك أن الطبيب الطبيعى لا يجب أن يفضل عنصرا على آخر فى العلاج .. فالشمس لا تقل اهمية عن الماء للمريض أو السليم على السواء ، والطبيب هو الذى يقرر أيهما أصح للحالة التى امامه .. ولكى نفهم هذا ، اذكر القارئ بما سبق أن قلت فى البداية من أن المرض لا يجب أن يعتبر مجرد ظاهرة موضعية ، قاصرة على العضو أو الجهاز المصاب ولا اثر لها على بقية الجسم .. بل ان كل عرض من أعراض المرض إنما ينم عن مرض الجسم كله ، لذلك لا ينبغى أن نعالج الظاهرة الموضعية ، وإنما نعالج المريض كوحدة كاملة ، وذلك أن تنشيط القوى الدفاعية فى كيانه ونضعاف كفاءتها الى أقصى درجة .. وهذا يتسنى بتنظيم وتحسين الدورة الدموية ، وتنشيط تجديد الخلايا ، وهما أمران مرتبطان ، فكلما أسرعت دورة الدم فى أعضاء الجسم كلما أسرع تخلص الخلايا كلها من الاجزاء التالفة فيها وانشاء بديلة عنها .. وبهذا تزداد كفاءة جميع أعضاء الجسم ، ولا سيما الجلد والرئتين والقلب والكبد والكلى ، فيستعيد الجسم صحته . واستعادة الصحة — أو الشفاء — لا تتسنى اذن الا اذا نشطنا قوى الدفاع فى الجسم وأطلقناها فى المعركة .. ولما كانت هذه القوى تستهلك فى سياق الحياة وثيدا ، لذلك كان خليقا بنا — ان شئنا ان نعيش طويلا — ان لا نستخدم قوة الحياة فينا الا عند الضرورة القصوى ، وان نتجنب كل ما لا لزوم له فى صون الصحة والكفاءة . فمن الخطا الاسراف والتقتير ، والنظر فى الاحجام

على السواء . . فالمرء السليم - او المريض الذى استكمل الشفاء - لا يجب ان ينتهج من اساليب التقوية الا بالقدر الذى يكفى لتفادى أى مرض فى المستقبل، وكل فائض عن ذلك قد يضر . .

ومن ثم كان لزاما على المريض - بالتالى - ان لا يتال من العلاج الا ما هو ضرورى لشفائه فحسب ، وان ينسق موارده فى ذلك . فمن الخطأ ان يخال المريض - الذى يعالج بالماء - ان من الممكن التمتع بالشفاء اذا هو نال من العلاج فوق استعداده واحتماله ، او اذا اطال امد فترات التمرض للماء فى أى مناهج العلاج . فهو لن يجنى من هذا غير الضرر . . والامر كذلك بالنسبة للاستمرار فى العلاج بعد تحقيق الشفاء . . بيد انه يجوز له - فيما بعد - ان يأخذ بعض « العلاج الوقائى » من حين الى آخر ، وبطرق خفيفة يصفها الطبيب ويحدد مواعيدها . . وهذا الذى قلته عن الماء ينطبق على العناصر الاخرى كالشمس والهواء والرياضة البدنية فان عن الطبيب والمريض - على السواء - ينحصر فى ممارسة الاعتدال فى كل الحالات ، والتزام الوسط فى كل الامور

والذى يهمنى ان انبه اليه بوجه خاص، هى ان مهمة اختيار العلاج الطبيعى، وطريقته ، من حق الطبيب وحده . . فهو الذى يستطيع ان يقدّر أى عناصر الطبيعة يصلح للعلاج ، والقدّر اللازم منه بحيث اذا تجاوزه العلاج انقلب الى ضرر . .

ولقد دلت التجارب على ان العلاج بالماء يجب ان لا يؤخذ كشيء ثانوى فى حالات المرض العادة ، بل يجب على المريض ان يعتزل العمل الذى يمارسه خلال فترة العلاج ، سيما اذا كان هذا العمل ذهنيا ، لان الاعمال الذهنية تستنفد القدر الاكبر من طاقة الانسان ، وبالتالى تستنفد حرارته الحيوية . . وفى هذه الحالة يكون العلاج بالماء جهد يضاف الى جهد المريض الذى يبذله فى عمله ، فغلق به ان يكف عن العمل لكى لا يرهق جسده ويستنزف طاقته

الماء كعلاج للانفلونزا و نزلات البرد

◆ وامر آخر من الامور الهامة التى تبيينها خلال عشرات السنين ، يتمثل فى ان من الواجب ان يفهم الطبيب والمريض على السواء العلاج الطبيعى ، ان اريد له ان يعفى ، فليس العامل الحاسم فى العلاج هو المرض نفسه ، وانما هو تكوين جسم المريض وحالته عند تشخيص العلاج . . او بالاعرفى ، رد فعل الجسم بالنسبة لاسلوب معين من العلاج . .

ولقد ازدادت اقتناعا ، عاما بعد عام ، خلال السنين الثلاثين التي قضيتها كطبيب ، بأن الماء يستحق المكانة الاولى بين وسائل العلاج الطبيعى ، فهو متوفر فى كل وقت وفى كل فصل ، وهو صالح للكبار والصغار على السواء ، وهو ناجع فى معظم الحالات .. ولناخذ الانفلونزا ، أو النزلة الشعبية مثلا ، فأننى أعالج المريض بأى منهما بالاغتسال الكامل - بطريقة الفوطة المبللة - من ثلاث الى عشرين مرة خلال الاربع والعشرين ساعة ، تبعا لدرجة حرارته .. وغالبا ما يبدأ العرق يتفصد من جسد المريض بعد المرة الثالثة فتهدأ حرارته قليلا ، فإذا لم يشف بالسرعة التى قدرتها له ، فأننى أضيف الى الاغتسال « ضمادة قصيرة » كل يوم - بالطريقة التى أوردتها آنفا - لزيادة العرق .. وأمر له بكوبين أو ثلاث من التيليو أثناء وضع الضمادة للمساعدة على افراز العرق .. فإذا رفعت الضمادة غسل جسم المريض بالفوطة المبتلة بسرعة .. فيكون نفاؤه مؤكدا فى خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر ..

وإذا كان الانسان يشعر بتوعك - دون أن ترتفع درجة حرارته - أو كان يشعر ببرد ورعشة ، فيحسن به أن يأخذ حماما ساخنا - ترفع درجة الماء فيه رويدا - لمدة تتراوح بين عشرين وأربعين دقيقة ، وأن يحك جسده بفرجون خشن وهو فى الماء حتى يتفصد منه العرق ثم يقتسل بطريقة الفوطة الباردة بسرعة ، ويندس فى فراشه بعد أن يكون قد دفىء بزجاجات الماء الساخن .

ويمكن تكرار هذا يوميا - بل يمكن تكراره مرتين فى اليوم .. ومن الطبيعى أن الانسان يجب أن يلزم الاعتدال فى الامور الاخرى ، فيقتصر فى الغذاء على الفواكه ، وعلى عصائر الخضف والفواكه .

ومن الناس من يقتصر على غسيل وجهه ويديه بالماء الدافىء .. وهذا خطأ ، اذ لابد من استعمال الماء البارد يوميا ، ولا يكفى غسيل الوجه واليدين ، بل يجب أن يمتد ذلك الى الجزء العلوى من الجسم والذراعين على الأقل .. والافضل أن يشمل الجسم كله ، على أن يلى ذلك مباشرة بعضى التدريبات



الرياضية ، أو المشي ، أو ممارسة بعض الاعمال التى تتطلب حركة بدنية لفترة تتراوح بين خمس وعشر دقائق . ولست أحبذ استعمال الصابون - الا اذا كان الجسم متسخا - لان للصابون أثرا مضرًا على البشرة اذا أسرف فى استعماله ..

وليس من الضروري غسل الجسم كله يوميا ، بل تكفى مرتان أو ثلاث فى الاسبوع .. أما الايام التى لا يكون فيها حمام مائى ، فيحسن أخذ حمام هوائى مع شيء من التمرينات الرياضية ، ومع التدليك الخفيف لفترة تتراوح بين خمس دقائق وربيع الساعة .

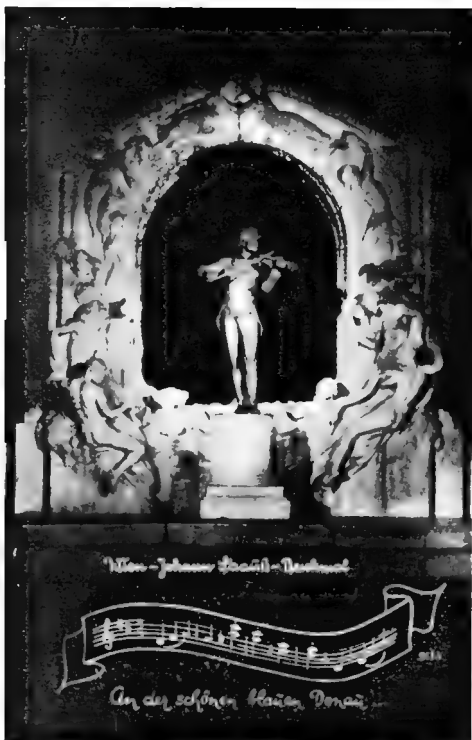
أن الطبيعة لا تتقاضانا كثيرا فى مقابل الصحة والقوة . ولكن القليل الذى تتطلبه يجب أن يؤدى بدقة وعناية .

وعلاج كل مرض يستلزم علاجا اضافيا للنفس ، فالنفس لا تنفصل عن الجسد ، وقد تقدم العلاج النفسى - لا سيما لدى الاعصاب المكدودة - حتى أصبح له فرع خاص فى الطب ..

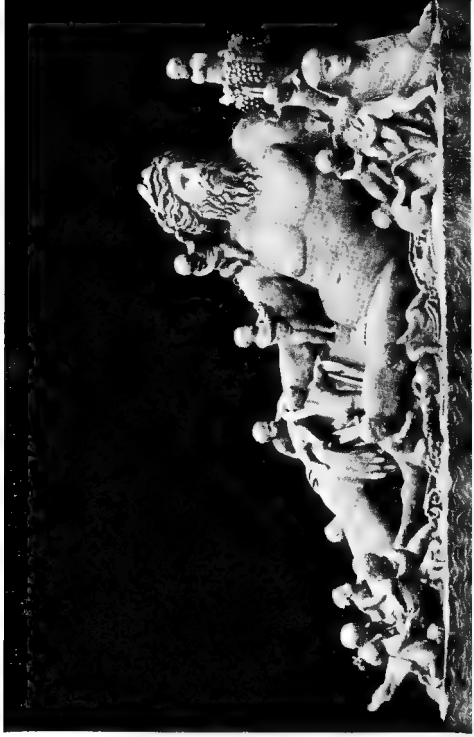
أهمية العلاج الطبيعى

♦ تعرف أساليب العلاج الطبيعى التى أوردناها باسم « العلاج الحيوى » ، لأنها تتمشى وما كشف عنه علم الاحياء الحديث ، من أن الطبيعة الحية «الكائنات العضوية» تخضع لقوانين تختلف عن تلك التى تسود عالم غير الاحياء «غير العضويات» فى الطبيعة والكيمياء ، ومن ثم فإن الطب الحيوى لا يعترف - فى علاج الامراض - بغير قوانين الكائنات الحية ، فينبذ ما يقوم خارجها من أساليب للعلاج ، كقصص الدم ، أو حقن المريض بدمه ، أو استخدام «اللزقة» أو «كأس الهواء» ، أو العلاج بالكى بالنار ، وما الى ذلك ، فهذه كلها أساليب تعمل عملا معارضا للطبيعة . وهى قد تكون عاملا مساعدا فى العلاج ، ولكنها لا ينبغي أن ننسى انها وسائل مصطنعة لتهدئة أو إثارة أو تنشيط العضو المريض

والعلاج الطبيعى الصحيح هو الذى يهدف الى اصلاح الاشخاص الذين بعدوا بانفسهم عن الطبيعة ، وردهم الى الانسجام معها .. ومن ثم فإن استخدام الادوية والعقاقير لا يعدو أن يكون عاملا مساعدا فحسب ، لأنها فى حد ذاتها لا تبرى ، وإنما الذى يحقق الشفاء هو التركيب الجسمى للمريض . وإذا لاح أن الامراض تشفى بالادوية ، فهذا الشفاء الزائف إنما يرجع الى أن الادوية أجسام غريبة عن الجسم ، ومن ثم فإنه يعمل على طردها ، فتتشتت قواه بدرجة تمكنها من أن تقلب الداء . بيد أن الاستعمال المنتظم للادوية - فضلا عن الافراط فيها - يضعف قوى المقاومة فى الجسم حتى تنهار ..



الصرح الفني والتمثال الرائع الذي أقيم في إحدى حدائق (فيينا) عاصمة النمسا ، تغلبدا لذكرى الموسيقى الغالية « يوهان سترافوس » صاحب العنان الفالس « المشهورة »



تمثال دهنوی يمثل نهر « النيل » الخالد

(متحف الفاتيكان بروما)

ولا ينبغي أن تدرج الجراحة مع غيرها من أساليب العلاج ، فهي وسيلته للانقاذ في وقت الحاجة .. وقت أنفى بالانسان فيه غباؤه الى موقف لا مخرج منه الا بعد المبضع .. أما الحوادث فحالات استثنائية لا تعتبر مقياسا للحكم على الجراحات ..

وفي معالجة جميع الامراض ، لابد من اعادة الجهاز البدنى الى وظائفه الطبيعية ، وان تنظم حياة المريض بحيث تتفق وما تتطلبه الطبيعة والادراك السليم ، ومن ثم فيجب صرفه عن « العادات السيئة » .. ونعنى العادات التى تساعد على نمو المرض وظهوره .. فالعلاج الطبيعى ، والحال هذه ، يتضمن التدريب على عادات الحياة الصحية السليمة .. وواجب الطبيب يقتضيه أن يقنع المريض بالتخلي عن عاداته القديمة ، ولن يتسنى له ذلك ما لم يوطد روابط التفاهم والتعاون بينه وبين مريضه ..

العلاج بالادوية نوع من « الترقيع »

◆ لقد بلغ الانسان من الترف والضعف فى العصر الحديث ما يجعله يؤثر أن يتناول الادوية ، بل وان تجرى له عملية جراحية ، استعجالا للشفاء ، بدلا من أن يتخلى عن العادات التى تجلب له المرض ، أو أن يقوم بمجهود لكى يسترد صحته .. ولكن الضرر الذى الحقته المدنية الحديثة - ولا تزال مستمرة على الحاقه بنا - لا يمكن أن يزول بمجرد العلاجات الموضعية بالوسائل المصطنعة من وقت الى آخر ، فان هذا اللون من العلاج - أى استعمال الادوية أو الجراحة - لا يعدو أن يكون من قبيل الرتق و « الترقيع » .. أما العلاج الطبيعى فيتطلب علاجاً شاملاً ، وتغييراً كاملاً لتكوين المريض .. وهذا لا يتأتى الا بالاقتراب من الطبيعة قدر الامكان ، وتقوية البنيان الجسدى بالوسائل الطبيعية .. وهذا القول ينطبق كذلك على السليم ، فان الوفاة خير وسيلة لمكافحة المرض .. ومن دلائل الغباء البشرى الولع بالادوية الحديثة ، اذ يكفى أن يعلن أن الدواء « غير ضار » ، وان يعا فى لفافات أنيقة ، وان يباع بشئ مرتفع ، يكفى هذا لكى يلتقى اقبالا يدر الثراء على صانعيه ! .. أما الدواء البسيط ، الرخيص ، فيقابل بالاشمئزاز .. ولو انك قلت للناس ان الهواء من خير عناصر العلاج ، لقبوا شفاهم استهجاناً ، وقالوا : اذا لم يكن من الهواء بد ، فليكن هواء مضغوطاً فى أنابيب أنيقة ! .. والماء .. انهم لن يقبلوا عليه الا اذا قيل لهم انه مستخرج من نبع خيالى ، والا اذا وضع فى زجاجات جميلة ، وبيع بشئ مرتفع !

ولا يلتفت الانسان لاساليب العلاج العادية البسيطة الا اذا شفه المرض ، وابل جسمه ، وهوى بقواه الى الحضيض ، وأخفقت معه الادوية الصناعية

الفالية ٠٠ وهو اذ يتحول ، يروح يتعجل الشفاء ، ويطلب البرء فى أسابيع قلائل من داء برح به سنين ، حتى استفحل ٠٠ فاذا قلنا له ان هذا مستحيل ، وان لابد للعلاج من شهور ، سنخط على العلاج الطبيعى ورماء بكل تقيصة ٠٠

قضية العلاج بين الطب الطبيعى والطب العلمى

◆ على أن العطب لم يعد يستطيع اليوم ان يتجاهل ما حققه العلاج بألماء وبالشمس والهواء من نجاح ، فاضطر أن يفسح لهذا اللون من العلاج مكانا فى الجامعات ٠٠ بيد ان المعاهد التى تمارس العلاج الطبيعى لا تزال ضئيلة العدد . ولم يعن الطب بعد بجسم المريض كله كوحدة ، فهو يقتصر على المنطقة التى يظهر فيها تأثير المرض . واذا كان بعض الاطباء يمارسون العلاج الطبيعى فى المستشفيات الحديثة ، فهم يقرنونه دائما بالادوية الكيماوية ، ويعتمدون عليها كعنصر رئيسى ٠٠

ويزعم البعض ان العلاج الطبيعى لا يعنى بالفحص وتشخيص الداء ، وهذا خطأ ٠٠ فنحن نعالج الجسم كوحدة حقا ، ولكننا نعتبر الفحص والتشخيص ضروريين ، ونكردهما لتثبيت من مدى تطور شكوى المريض ٠٠ ونحن لا نكتفى فى ذلك بالاعتماد على المشاهدات والاستنتاجات التى تبدو لنا لاول وهلة ، بل نلجأ الى كل وسيلة فى طوقنا لتحرى الدقة ٠٠

وفحص الداء والجسم كله معا ، يتيح تشخيصا كاملا وافيا ، يساعد على وصف العلاج الصحيح ٠٠ لانه مهما كان المرض ، فان الانسان كله - كوحدة - يكون مريضا ، وخير عامل حاسم لتقرير العلاج هو الدراية بالجسم كله ، لا سيما وان التركيب البدنى لكل انسان يختلف عما لسواه ، ومن ثم فما يلائم غيره من علاج قد لا يلائمه ٠٠

ان الطب الحديث يقوم قبل كل شئ على ثمار مجهودات علمى الكيمااء والطبيعة ، فهو يطبق نتائج بحثهما على الجسم الانسانى ، وينسى أن الوقائع التى بنيت عليها هذه البحوث لا تنطبق الا على الكائنات غير العضوية ٠٠ والانسان من الكائنات العضوية ٠٠ ولاضرب مثلا يقرب هذه الحقيقة الى عقولنا: فطبقا لقانون الجاذبية الارضية - فى «علم الطبيعة» - كان من الواجب أن يجذب دم الانسان الى أطرافه السفلى اذا ما وقف ، ولكن هذا لا يحدث الا بنسبة تافهة ، لان القلب « الحى » والاوعية الدموية « الحية » تعمل على استمرار الدورة الدموية ، وبد كل عضو بما يكفيه من الدم ٠٠ ويخضع القلب والاوعية الدموية بدورها لسيطرة الجهاز العصبى ، ومن ثم فهذا الجهاز هو المسيطر الحقيقى ، وقوانينه اقوى من قوانين علم الطبيعة ٠٠ فقوانين الطبيعة

« لا علم الطبيعة - هي التي تحكم حياة الانسان ، وتجعل لغيرها من القوانين مجرد فروع ثانوية .. »

الحكام المعتلون هم سبب اضطراب العالم

◆ « ان الصحة هي أغلى ما على الارض .. ولكن هذه الحقيقة تتردد على الشفاه دون ادراك لاعق معانيها اذ أن أبناء المدنية الحديثة يقدرون المال والشهرة والنفوذ فوق كل الاشياء ، وينسون أن الانسان النافع العامل هو السليم الصحيح ، في حين ان المفلول لا يلبث - على مر الزمن - ان يقضى على نفسه وعلى سواه .. والسليم الصحيح يستيقظ في صباحه منتعشا ، موفور الراحة ، فينطلق الى عمله ويمارسه في هناة وانبساط ورضى ، وهو مسيطر على أعصابه ، لا يتشاجر مع احد .. ولو كان كل اهل الدنيا أصحاء - أو غاليبتهم على الأقل - لساد السلام وجه البسيطة ، فان المفلولين هم باعث الاضطراب والتدمر في العالم ، وسيظل العالم مهددا بالحروب طالما كان القدر يدفع بأزمة الحكم الى أيدي المعتلين .. ان عالمنا اليوم غليل ، لان الجنس البشرى مريض .. والعلاقة بين المرض وبين الخطيئة والجريمة اوثق مما يخطر ببال بشر .. وطالما استمر البشر في ارتكاب الذنوب ضد الطبيعة ، فلن تقوم ظروف الحياة الصحيحة لاتباعها البساطة والاقتراب من الطبيعة في الشعوب التي تظل صحيحة لاتباعها البساطة والاقتراب من الطبيعة في معيشتها .. ولن يستبعد والحالة هذه أن تغدو آسيا صاحبة السيادة على العالم القريب !

تم الكتاب

بنك مصر

أسمى شركاته الكبرى التي وطف بها خصائص البلاد واستغل موارثها فلذا بها الدعائم التي قام عليها التصنيع القومي في البلاد وكانت السياج المنيع للتحرير الاقتصادي منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية وتوفيق الحقل المصري في مصمار الحياة العملية

عزيزى القارىء . . .

فى سنة ١٩٣٣ وقع فى يدي كتاب
المرحوم الاستاذ احمد حافظ عوض
صاحب جريدة « كوكب الشرق » الذى
اطلق عليه « رسائل من والد الى ولده » ،
وقد ضمنه مجموعة الرسائل التى كتبها
الى ابنه الاكبر - وأغلب الظن انه
الدكتور عوض حافظ عوض اخصائى
التحليل المعروف الآن - فاقبلت على
الكتاب اتهم صفحاته بنهم ، واتزود من
الخواطر البليغة والنصائح الجميلة التى
وجهها الكاتب الاديب الى ابنه وهو مقبل
على مرحلة شبابه الباكر * (وقد اقدم
اليك بعض تلك الرسائل القيمة فى اعداد
تالية)

نجوى الأزهان



ومنذ ذلك التاريخ شغفت بأدب
الرسائل ، وهو فن لا اعرف له وجودا
فى الادب المصرى ، مع الاسف الشديد
- اذا استثنينا كتاب الاستاذ حافظ
عوض الذى اشرت اليه - فى حين يزخر
الادب الفرنسى (والانجليزى ..
والامريكى .. الخ) بالكثير من الدرر
الماثورة فى هذا الباب .. واشهر رائدة
لادب الرسالة فى فرنسا هى مدام
دى سيفينييه ، التى اقدم لك نموذجا من
رسائلها فيما يلى :

رسائل
الخالدين



من رسائل
مدام دی سِیقِینیه

المرأة التي خلدتها خطاباتها !

◆ تحتل مدام « دى سيلفنيه » مكانة رفيعة بين أولئك الذين خلد التاريخ خطاباتهم كتحف أدبية رائعة .. فضلا عن أنها عاشت حياة حافلة بالمتع الذهنية والاجتماعية ، وكانت من أشهر وانشط نساء فرنسا الفساربات في كل ميدان من ميادين الحياة .. عل أن شهرتها العظمى كانت وما تزال في ميدان التراسل مع كل من ربطته بها صداقة أو علاقة ما .. وكان نشاطها في هذا الباب خارقا ، حتى لقد تجاوز عدد رسائلها الألف ؛ وكلها تمس كافة الموضوعات التي تشغل الرأي العام وتروق للجميع : من السياسة العليا ، الى الأدب ، والاجتماع ، وإحاديث الناس .. الخ .. ومن لم تعتبر رسائلها بمثابة أضواء تكشف جوانب الحياة الاجتماعية في فرنسا خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر .. كما أنها تضم صفحات من النقد الأدبي الرفيع .. ثم هي تتسم فوق كل هذا ، بأسلوب لا قبل بمقاومة سحره ، مثل ما كان لصاحبه من روح مرحة ، وذوق مرهف ، ولباقة بليغة ..

وفيما يلي نموذج من رسائل مدام سيلفنيه الى ابنتها ، وقد تضمنها احد المجلدات المعديدة التي ضمت مجموعة رسائلها ، والتي نشرت الطبعة الأولى المعتمدة منها عام ١٧٣٤ ، ثم طبعت منها بعد ذلك مئات الطبعات .. وترجمت الى كل اللغات - ما عدا العربية طبعاً !

◆ طغلتى العزيزة :

لم تنقض على هنا ثلاث ساعات حتى كنت أمسك بالقلم لاتحدث اليك .. فقد غادرت باريس مع الاسقف ، وهيلين ، وهربير ، ومارفيز ، فرارا من ضوضاء المدينة وصخبها حتى مساء يوم الخميس . اذ أننى أهفو الى هدوء تام أخلد فيه الى تأملاتي .. وانى لأعترم أن أصوم - لاسباب عديدة - وأن أمشى كثيرا لأعوض ما فاتنى من رياضة في الفترة الطويلة التي قضيتها

فى غرفتى .. ثم اننى - قبل كل الامور الاخرى - أحب أن
أروض نفسى على حب الله ..

على أن ما سأفعله ، أكثر من كل هذا يا ابنتى العزيزة ، هو
أن أفكر فيك .. وما كفت عن هذا مذ وصلت الى هنا ، ولما
عجزت عن أن أكبح مشاعرى ، لجأت الى الممر الصغير الظليل
الذى تحببته ، كى أكتب اليك وأنا أجلس على الضفة المكسوة
بالاعشاب ، حيث اعتدت فى أكثر الاحيان أن تستلقى ..

ولكن .. أى مكان لم أر فيه طيفك يا عزيزتى ؟

ليس يطاردنى التفكير فيك أينما وليت ؟ .. كل بقعة
تحدثنى عنك : البيت ، والكنيسة ، والحقل ، والحديقة .. انك
طيلة الوقت فى بالى ، وان قلبى ليهفو اليك مرارا وتكرارا ..
اننى لأبحث عبثا عن الطفلة العزيزة التى شغفت بحبها ، ولكنها
على بعد ستمائة ميل منى ، ولست أملك أن أدعوها الى جوارى ..
اننى لأدرك أن البكاء ضعف ، ولكن هذا الحنان الذى أكنه لك
طبيعى وصادق ، فلست أملك ازاءه أن أكون قوية !

لست أدرى ما سوف يخالجك حين تتسلمين هذا الخطاب
.. ولعلك لن تتأثرى - فى تلك اللحظة - بالمشاعر الجياشة
التي تظفى على الآن ، ومن ثم فلن تقرئيه بالروح التي كتب بها ،
ولكنى لا أملك ازاء هذا شيئا .. على أن الكتابة تسرى عن
مشاعرى فى اللحظة الراهنة ، وهذا ما أنشده منها ، فما أراك
تصورين الحال التي دفعنى اليها وجودى فى هذا المكان ..
أناشدك أن لا تأخذى على ضعفى ، بل يجب أن تحترمنى
دموعى ، لانها تنسكب من قلب مفعم حبا لك ..

*

♦ ولا تزال قضية المركيزة « برانفيه » تستأثر
بأحاديث باريس ، فإن المدينة بأسرها مشبوبة الاهتمام بها ،
وقد اعترفت المركيزة بأنها دست السم لابيها واخوتها وأحد

أبنائها ٠٠ ولقد كان « الشيفالييه دوجا » ممن تناولوا احدى الفطائر المسمومة المحشوة بالحمام ! وعندما قيل للمركيزة انه ما يزال على قيد الحياة ، لم تزد على أن قالت : « لا بد أن هذا الرجل أوتى جسما قوى البنيان ! »

ويبدو ان المركيزة كانت قد تدلّعت في هوى « سانت كروا » - وهو من ضباط اللواء الذى يقوده زوجها ، وكان يعيش في دارهما ! - فحاولت أن تقضى على زوجها بالسم ، اعتقادا منها بأن « سانت كروا » سيقدم على الزواج منها اذا ما غدت طليقة ، ولكن « سانت كروا » لم يشاظرها رغبتها ، فقدم للمركيز ترياقا انقذ حياة النبيل المسكين !

والآن ، انتهى كل شيء ، ولم يعد لبرانففيه وجود ٠٠ فقد صدر الحكم ضدها بالامس ، وقرئ عليها ، ثم أجبرت على أن تعترف أمام الملأ في الساحة المواجهة لكاتدرائية « نوتردام » ٠٠ وأعدمت بعد اعترافها ، ثم حرق جثتها وذرى رمادها في الهواء !

ولقد هددوها بالتعذيب ، بيد أنها قالت ان لا داعى لذلك ، وانها على استعداد لان تفضى بكل شيء أمام الجمهور بأسره ٠٠ ومن ثم فقد روت تاريخ حياتها كله ، فاذا به أفضع مما خطر لخيال أى انسان ، حتى اننى لا أستطيع أن أسمعه دون أن أرتجف !

ولقد اقتادوها في الساعة السادسة صباحا الى الكاتدرائية حافية القدمين ، لا تسترها سوى غلالة مفكوكة الاطراف ، وقد أحاط بعنقها حبل ٠٠ ثم حملتها نفس العربة « الكارو » التى أحضرتها ، ورأيتها مستلقية على القش الذى كسا أرض العربة. والى أحد جانبيها الطبيب، والى الجانب الآخر الجلاد الذى سينفذ الحكم ٠٠ أواه ، لكم بعث في مرأى هذه المرأة هلعاً كبيراً !



وانبأى الذين شهدوا الاعدام
انها صعدت الى المقصلة بغطى
ثابتة ، وماتت - كما عاشت -
جريئة ، لم يداخلها خوف ، او
يخالجها اى انفعال !
ولقد احضروا لها قسین
يتلقیان اعترافها ، فنصحها
احدهما بان تفضل بـ بكل
شيء ، و اشار عليها الآخر بان
لا تقول شيئا ! .. فضحكت
قائلة : « سافعل ما يحلو لى
طالما بقيت فى وعيى .. »

لقد سرنى أن أسمع رايك فى هذه الشريرة الفظيمة .. وما
أرى ثمة احتمال فى أن تلج الجنة ، اذ لا بد من أن تعزل روحها
الخبثية عن بقية الارواح ..



♦ تسالينى ما اذا كنت تقية متعبدة ؟ .. اننى - للأسف -
لست كذلك ، وهذا ما يبعث فى نفسى الاسى .. على أننى
منصرفه - الى حد ما - عما يسمونها الدنيا .. وان كبر السن
وبعض المرض ليتيحان للمرء وقتا للتأمل .. على أن ما أمسكه
عن الدنيا يا صغيرتى العزیزة أمنحك اياه .. ومن ثم فلسـت
أكاد أوغل فى ميدان التجرد .. اذ أنك ولا بد تعلمين أن الطريق
الصحيحة للمتقوى تتمثل فى الزهد - الى درجة ما - لا سيما فيما
نعتز به أكثر من سواء ..

ان من اعظم رغباتى أن اغدو تقية ، وهذه الفكرة تستبد بى
كل يوم .. فانا لا احب نفسى لله ، ولا احبها للشيطان ، وهذا

الاحجام المتردد مبعث عذاب دائم لى ، وان كنت اصارحك - فيما بيننا - انه أكثر الاوضاع تمشياً مع الطبيعة ، اذ ان المرء لا ينأى عن الشيطان الا لانه يخاف الله . . كما انه لا ينصرف عن ان يهب نفسه لله الا لان شريعة الله قاسية ، والمرء لا يميل الى ان ينبذ نفسه ويتجاهلها . وما يفعل ذلك الا من فترت همهم ، ولست أدهش قط لوفرة عددهم ، بيد ان الله يكرهم ، ومن ثم يجبر بنا أن لا نعبده على هذا النهج . . ومن هنا تنشأ المشكلة العويصة .

لقد أذهلتنى وفاة « مسيو دى مان » ، فما خطر لى قط أن أفكر فى الموت بالنسبة له . . ومع ذلك فقد قضى من حمى بسيطة ، دون أن يتسع له الوقت كى يفكر فى السماء ، ولا فى الارض . . ان القدرة الالهية تكشف عن نفسها أحيانا فى زيارات مفاجئة ينبغى أن نفيد منها . . ونستعد لها !

أما ما تقولينه عن الهواجس التى كثيراً ما تساورنا - بطبيعة الحال - بصدد المستقبل ، وعن تحول ميولنا دون وعي منا تحت حكم الضرورة ، فموضوع يستحق أن يكتب فيه كتاب ككتاب « باسكال » . . وليس أبعث على الرضى ، ولا أكثر نفعا ، من الاستغراق فى التفكير فى مسائل من هذا النوع . . ولكن ، كم من الناس يفكرون فيها فى مثل سنك ؟ . . لا أعرف أحداً من لداك يفعل ، وانى لأمجد فيك هذا الجدل السليم وهذه الجرأة . .

أما أنا فلم أوت ما أوتيت من حجي وجرأة ، لاسيما حين يتسلط قلبى على ! اننى أكتب كأولئك الذين يحسنون القول ، بيد أن عمق شعورى وتغلغله يقتلنى . وهذا ما أحس به حين أكتب اليك عن آلام الفراق . . اننى لم أتبين صدق الحكمة القائلة بأن على المرء أن « يتدثر بما يلائم البرد من لبوس » - اذ ليس لدى دثار يقى من مثل هذا البرد - على أننى أعمل على

أن أجد دائما ما يشغلنى .. وهكذا يمر الوقت . وعلى العموم ،
فإن أفكارنا وميولنا تنحرف أحيانا الى مسالك أخرى غير التى
ألفناها تسلكها ، فلا تعود أحزاننا أحزانا ..

حب الحياة

♦ تسأليننى يا طفلى العزيزة عما اذا كنت لا أزال أحب
الحياة ؟ .. ولا بد لى من أن أعترف بأننى أجد أحزانها قاسية ،
غير ان نفورى من الموت أقسى ! .. ومن أشد بواعث الحزن لى
أن أفكر فى أن لا بد لى من أن أختم حياتى بالموت ، ولو
استطعت لآثرت أن أرجع من الآن من حيث بدأت ، فاننى أشعر
بأننى دفعت الى الحياة دون ما موافقة منى ، فأنا فى وضـع
يدعو للحيرة !

لسوف يتحتم على أن أودع الحياة ، وهذه حقيقة تحيرنى ..
اذ من أى باب أخرج ؟ .. ومتى يأتى الموت ، وفى أى حال
يجدنى ؟ .. وهل أعانى ألف ألم فاموت محسورة قانطة ؟ ..
أو أموت فى غشية من الفرح ؟ .. هل أموت فى حادث ؟ ..
وكيف سأقف بين يدى الله ؟ .. ماذا لدى كى أقدمه اليه ؟ ..
أعود اليه فى خوف واضطرار ، لا أشعر بغير الذعر والهلع ؟ ..
وأى أمل لى ؟ .. أهل أنا للجنة ، أم اننى لا أستحق غير
الجحيم ؟ .. يا له من شك رهيب يعذب عقلا فانيا زائلا ! ..
ويا لها من حيرة !

ليس هناك ما هو أكثر حمقا من أن يهجر المرء أمنه هكذا ،
غير موقن من مصيره .. ومع ذلك فليس هناك أمر طبيعى أكثر
من الموت .. وليس أسهل على من أن أدرك تفاهة الحياة التى
أحيها .. اننى أغرق فى مثل هذه الافكار ، فأجد الموت كما
أتصوره فى تأملاتى رهيبا ، حتى اننى أمقت الحياة لانها تفضى
الى الموت ، أكثر مما أمقتها لانها تقودنى أثناءها عبر متاعب
كثيرة ..

لسوف تقولين اننى أرغب فى أن أعيش الى الابد .. ولكن هذا غير صحيح على الاطلاق ، ولكنى لو خيرت لآثرت أن أموت راضية بين ذراعى مرضعتى ، فاننى بهذا كنت أتجنب كثيرا من الاحزان ، وكنت أكتسب الحق فى الجنة بسهولة ..

قضاء الله ونظامه

♦ ان الله يحب النظام ، ولكن اذا كان النظام موسى به من الله ، فان الكثير مما يحدث انما يحدث ضد وصاياه : كل الاضطهادات التى وجهت ضد القديسين مثلا ، وكل الثراء الذى يحرزه المذنبون والطغاة .. كل هذا ضد النظام ، ومن ثم فهو ضد ارادة الله ..

ومن واجبا - بالتأكيد - أن نتمسك بما قاله القديس أوغسطين من أن الله يسمح بتلك الامور ، كي يكشف عن عظمته بوسائل غير معلومة لدينا .. ولا يعترف القديس أوغسطين بقانون أو نظام فى الدنيا سوى ما اراده الله ، واذا لم نتبع هذا المذهب فلسوف ننتهى - مضطرين - الى أن نستنتج أن كل شيء تقريبا يقع مخالفا لارادة الله الذى قضى به .. وهذه نتيجة مروعة ..

اننى أود أن أشكو الى آلاب «المبراننش» هذه الجرذان التى تأتى على كل شيء هنا .. أفهذا من النظام ؟ انها تلتهم السكر ، والفاكهة ، والمحفوظات ، وكل شيء نأمل أن نأكله .. وهل كان من النظام فى شيء أن تقضى الديدان التبعة فى العام الماضى على أوراق أشجار غابتنا وحدائقنا وكل فواكه الريف ؟ أجل أيها الاب .. كل هذا خير بلا شك .. ان الله يعرف كيف يدبر هذا ليظهر عظمته - وان لم ندر كيف يدبره - ومن الواجب أن نتقبل هذا ونصدقه ، لاننا اذا لم نعتبر ارادة الله معادلة لكل قانون ونظام ، وقعنا فى متاعب وضائقات عظيمة ..

ان لك يا صغيرتى الحبيبة فلسفة لا تدع سبيلا الى السعادة معك .. ان عقلك يسبق آمالنا فى تصور ضياع كل ما نرجو ، اذ أنك ترين فى لقاءاتنا الفراق الذى لا مفر من أن يحدث فيما بعد .. وهذه ليست بالتأكيد الطريقة التى ننظر بها الى الطيبات التى تعدها لنا العناية الالهية ، وخليق بنا أن نستمرى هذه الطيبات ونألفها ..

أما وقد وجهت اليك هذا اللوم الخفيف ، فلا بد لى من أن أعترف لك فى صراحة وامانة ، بأننى لا أقل عنك استحقاقا للوم .. فليس هناك من يفزعه جرى الزمن أكثر منى ، ولا من هو أرهف منى شعورا ، حتى ليحس مقدما بالشجون التى تعقب الملهذات عادة .. والواقع يا ابنتى ان الحياة تمزج طيبتها بشرها ، وعندما يحصل المرء على ما يشتهى ، يكون أقرب منه فى أى وقت آخر الى فقدانه .. واذا بعد عنا ما نشتهى ، رحنا نحلم بالوصول اليه .. ومن ثم فعلينا أن نتلقى الامور كما يبعث الله بها اليها ..

أما أنا ، فانى أوتر أن أرعى الامل فى لقاءك فلا أمزجه بالاحاسيس الاخرى ، وأتطلع الى أن احتويك فى الشهر المقبل بين أحضانى .. اننى أحب أن أومن بأن الله سيسمح لنا بهذه الفرحة الخالصة ، وان كان من أسهل الامور فى الدنيا أن نشوب هذا الامل بالمرارة والهواجس ان شئنا ..

محنة ملك انجلترا

• لقد أعلن امير أورانج نفسه حاميا للديانة الانجليزية ، وطلب أن يوكل اليه تربية الامير الصغير - وهى خطوة جريئة - وقد انضم اليه كثير من النبلاء الانجليز ضد ملكهم .. ولكننا جميعا نأمل أن يستطيع جيمس الثانى أن يوقع به هزيمة ساحقة .. لقد استقبل اللوردات المؤيدين له ، وعزز جانب أنصاره المخلصين له ، وأعلن الحرية المطلقة للعقيدة .. فوحد بذلك قومه حوله ، اذ منحهم حرية دينية أوسع ...

ماذا نقول في هذه الامة الانجليزية ؟ ان عاداتها واخلاقها تنحدر من سىء الى أسوأ . ومن الجلى أن ملك انجلترا فر من لندن باذن كريم من أمير أورانج ، وان الملكة ستصل الى باريس بعد يوم أو اثنين . ومن المؤكد أن الحرب لن تلبث أن تعلن ضدنا عما قريب ، ما لم نعلنها نحن أولا . ولقد تصرف ملكنا الفرنسى تصرفا « الهيا » نحو الاسرة المالكة الانجليزية ، اذ أن ما فعله من مواساة الملك الطريد وعائلته ، عمل من الاعمال التى يرضى عنها الله . .

ومن الانباء الطيبة أن ملك انجلترا رحل اليوم الى ايرلندا ، حيث يرتقبونه فى حماس . ولسوف يكون هناك فى حال أفضل مما لو بقى هنا . انه يجتاز « بريتانى » فى سرعة البرق ، وسيجد فى « بريست » المارشال « دستريه » ومعه وسائل النقل والبوارج على أهبة الاستعداد . وهو يحمل معه ثروة طائلة ، كما أن ملكنا أعطاء أسلحة لعشرة آلاف رجل ! وفيما كان جلالته يودع ملكنا ، قال ضاحكا انه نسى أن يتزود بأسلحة لنفسه ، فأعطاه ملكنا أسلحته الخاصة ، وما أرى أبطال قصصنا قد أوتوا من الشهامة ما يفوق هذا الايثار . . وأى عمل جليل يعجز هذا الملك السىء الحظ عن أن يأتيه بهذه الاسلحة التى لم تعرف غير الظفر ؟

الشيخوخة

♦ اذن فد تأثرت يا ابنتى بالكلمات التى أوحتها الصداقة الى مدام دى لافاييت . . اننى قط لا أنسى اننى أكتهل ، وخليق بى أن أعترف بأننى دهشت لما قالته ، لاننى لا أشعر بأى ضعف يذكرنى دواما بتقدم سننى . . على اننى اذ أفكر فى شيخوختى ، أرى أن الحياة تهيب . لنا ظروف قاسية ، فما أنا ذى قد استدرجت - على الرغم منى - الى المرحلة المشثومة التى لا بد للمرء عندها من أن يموت . . مرحلة الكهولة . اننى

أراها بوضوح .. لقد تسللت الشيفوخة حتى استولت على ،
ولم أعد أبغى سوى أن لا يمضى العمر بى الى أبعد من هذا ..
أننى لا أحب أن اجتاز سننى حياتى الاخيرة خلال طريق
الامراض والايوجاع وفقدان الذاكرة والمشوهات التى اعتبرها
نقمة .. ومع ذلك فأننى اسمع صوتا يهتف فى اذنى : « يجب
أن تسلكى هذه الطريق ، شئت أو لم تشائى ، والا فعليك أن
تموتى » .. وليس ثانى الطريقين باقل من أولهما كراهية
لدى النفس .. هذا هو النصيب الذى لا محيص عنه لكل من
يوغل فى درب الحياة ..

على أن تذكر ارادة الله ، والرضى بذلك القانون العام الذى
قضى علينا جميعا بالموت ، يرد العقل ثانية الى عقاله ، ويلهمنا
الصبر . أفليدريك أنت الاخرى طاقة على الصبر يا حبيبتي ..
لا تدعى حبك وحنانك المفرط يدفعانك على أن تذرقي دموعا
يستنكرها عقلك !

جامعة الاسكندرية ادارة التوريدات

تقبل عطاءات بمكتب السيد
سكرتير عام جامعة الاسكندرية
لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم
الاحد الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٥٤
عن توريد الاغذية اللازمة لطعام
الجامعة للعام ١٩٥٥/٥٤ ويمكن
الحصول على الشروط من ادارة
التوريدات ٦ شارع الكنيسة
الانجليزية ببولكل رمل الاسكندرية
مقابل مبلغ ٢٠٠ مليم يضاف اليه
مبلغ ثمانين مليما اجرة البريد
وتقدم الطلبات على ورقة دفعة
من فئة الخمسين مليما ٨٦٥٧

كلية التجارة - اعلان

تعلن كلية التجارة بجامعة
القاهرة عن تأجير البوفيه الخاص
بها لمدة ثمانية شهور تبدأ من اول
نوفمبر ١٩٥٤ الى آخر يونيو ١٩٥٥
على أن يقدم العطاء داخل مقروط
معلق باسم الاستاد العميد مع
ذكر كلمة « عطاء بوفيه » فى اعلا
المقروط فى ميعاد غايته ظهر يوم
الخميس ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٤
حيث ستفتح المظاريف
هذا ويمكن الاطلاع على الشروط
المودعة بمكتب المااون الاول بالكلية
فى المواعيد الرسمية عدا أيام
المطلة . ٨٧٠٦

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى اعداد
سالفة عددا من القصص الكلاسيكية ،
المبسطة خصيصا كى يقرأها الصبيان ،
او يقرأها الكبار ثم يحكونها لأطفالهم ..

واليوم اقدم لك فى هذا الباب مادة
من نوع آخر .. فهى ليست للأطفال ،
وانما عنهم .. ذلك ان علم النفس
الحديث قد فتح آفاقا فسيحة لمحاولة
اتاحة اكبر قسط ممكن من السعادة
للانسان فى مختلف مراحل حياته ، عن
طريق فهم ومعالجة نفسيته منذ نعومة
أظفاره ، ومن ثم تربيته التربية الصحيحة
التي تكفل له نفسا سليمة من العقد
والمنقصات وامراض الشخصية .. كما
تكفل له جسما سليما من العلل
والامراض البدنية

وفى الصفحات التالية اقدم لك
الحلقة الاولى من سلسلة محاضرات اعدتها
خصيصا للامهات والآباء نفر من اشهر
الاخصائيين الفرنسيين فى علم « تربية
الطفل

نحن وأكبادنا



البيت والعائلة والطفل



مدرسة الآباء

مشكلات الطفولة الباكرة

للمكتوبة الأخصائية فرانسواز دولتو

هذه السلسلة ••

♦ يسر كتابي ان يحضر اليك من باريس نصوص هذه السلسلة من المحاضرات والبحوث التي القاها تباعا في كلية الطب بالعاصمة الفرنسية عدد من اكبر الاطباء والسيكولوجيين الاخصائيين في تربية الطفل ، وقد نظمت هذه المحاضرات مدرسة خاصة اطلقت على نفسها اسم « مدرسة الآباء » ، وهي هيئة علمية اخذت على عاتقها بحث اعظم مشكلة تشغل بال الانسانية جمعا ، وهي مشكلة تربية « الطفل » على اسس سليمة ، مدروسة علميا ، والتعرف الى نفسيته وتحليلها والتغافل في مسارها الدقيقة الغامضة المعقدة •• ورغم كثرة ما كتب في هذا الباب ، فان ما تضمنته هذه المحاضرات يعتبر من ادق واوفى البحوث التي توفر عليها علماء اخصائيون في هذا الباب ••

وفيما يلي المحاضرة الاولى من هذه السلسلة القيمة ، وهي تتناول بالبحث والعلاج مشكلات المرحلة الاولى من حياة الطفل ، او مرحلة **Problèmes de la Petite Enfance** الطفولة المبكرة

وقد القتها في مدرج كلية الطب بباريس المكتسورة « فرانسواز دولتو » •• وارى لزاما على ان اوجه نظر كل ام وكل اب الى وجوب قراءتها - وما يتبعها من حلقات تالية - واستيعاب ما فيها بروية وامعان •• فهي تؤلف في مجموعها أحدث « دستور » سيكولوجي لفهم الطفل ، ومعاملته ، وعلاج نفسيته •• او في كلمة واحدة « تربيته » تربية سليمة مثالية ، تجعل منه - حين يشب - عضوا نافعا في المجتمع الاكبر ، مجتمع الانسانية الفسيح الرحاب ••



متى يفهم الطفل معنى الحياة ؟

◆ سيدهشى كثير من الامهات عندما يعرفن كيف يفهم الطفل معنى الحياة قبل ان يبلغ الشهر الثامن عشر من عمره ، اذا كان قد روى على ان يعمل ما يجب هو ان يعمل ، وليس ما يجب عليه ان يعمل !
والواقع اننا حين نبحث مشكلات الطفل ، يجب ان نضع موضع الاعتبار البيئة التى يعيش فيها الطفل ، وامكانياته الذاتية - اى استعداداته الطبيعى - والامكانيات التى آلت اليه بالوراثة عن والديه .. ثم هناك « الجو » الذى ينشأ فيه الطفل : كمولد طفل اصغر ، او وجود امرأة أب مثلا .. الخ
وأبدأ بتقرير حقيقة بالغة الأهمية ، وهى ان حيوية الطفل امر عجب ! فهو يملك قوة عارمة من الحياة تريد باى ثمن ان تصل الى التعبير عن نفسها ، حتى لو لم تكن فى ظروف ملائمة لهذا التعبير . وهذا القانون العام هو الذى يرسم للآباء والامهات الخطة التى لا مفر لهم من سلوكها . ويتلخص هذا القانون فى العبارة الآتية : « يجب ان يترك الطفل حراً فى التعبير عما بنفسه ، بالطريقة التى توائم سنه ومستوى الحياة التى يعيشها ، وذلك بدون استعمال اى ضغط على نموه ، سواء كان ذلك الضغط لدفع نموه او أعاقه هذا النمو ! »

كيف تعطى معنى إيجابيا لتصرفات الطفل السلبية (كالفشل أو الرفض) ؟

◆ منذ ولادة الطفل حتى يبلغ العامين من عمره ، يعبر عما يجيش فى نفسه بواسطة المناغاة . وقد يلجأ فى تعبيراته الى بعض اللعب أو الوسائد التى تكون فى سريره ، وقد يتعرض الى بعض الاخطار أثناء ذلك ، ولكن يجب ان تترك له الحرية فى محاولاته التجريبية الأولى ..
وكثير من الآباء يخشون أن يصدموا ابنائهم ، وبجدة تجنب صدمتهم يرتكبون أخطاء فظيعة . وهاكم مثل حدث أخيراً يدل أقطع الدلالة على الخطر الذى يترتب على تفهم حالة الطفل النفسانية تفهما خاطئاً :
كان هناك طفل فى الشهر الثامن عشر من عمره ينتظر طعامه المعتاد الذى يعطى له فى « البزاوة » . وكانت أمه تعد له فتاخرت قليلا ، فتضايق الطفل وأخذ فى الصياح .. فلما جاءته أمه « بالبزاوة » رفض وضعها فى فمه او تناول ما فيها !
ما العمل ؟ ان التقدير الصحيح للموقف يقتضى ترك الطفل يصيح ، وترك الحرية له فى رفض تناول «البزاوة » سيما وأن هذه هى الفترة

التي يبدأ الطفل فيها فى العزوف عن تناول اللبن لانه يفضل تناول طعام الكبار .. والذي يجب أن تدركه الامهات انه اذا لم يتناول « البزازه » فان هذا لن يؤثر على صحته بحال !



غير أن الام قد تكون محاطة بجو مكهرب ، وقد تصادف أن يكون بجوارها فى تلك الآونة شخص يدعى العلم بهالات الاطال النفسية ، فاذا بهذا الشخص يتطوع بافتائها ، فيقول لها : « انك اذا تركت الطفل يرفض تناول البزازه هذه المرة ، فسوف تفقدين السيطرة عليه بعد ذلك .. وسيصبح هو الذى يسيطر عليك ! »

وتحت تأثير هذه الاقوال الخاطئة تنشب معركة بين الام وطفلها لارغامه على تناول « البزازه » ، تنتهى بان يزيد صياح الطفل حتى يصاب بالتشنج ، فتصب على رأسه الماء البارد ليهدأ ، لكنه يزاد عسويلا ، كمن يطلب النجدة ! .. وأخيرا يعود الى هدوئه عند ما تحتويه الام بين ذراعيها ، فتعاود وضع البزازه فى فمه .. وفى هذه المرة قد ينصاع لها من فرط تعبته فيتناولها !

فما الذى حدث ؟ الذى حدث هو انه بحجة تجنب الطفل انفعالا يسبب له تشنجا عصبيا ، تسببنا له فى تشنج أعنف .. فاذا صببنا على رأس الطفل ماء باردا أصيبنا باختناق يجدد حالة التشنج ، وأعدنا القهقرى الى عهد ولادته ، لانه ما يكاد يحس بانه بين ذراعى أمه ، كما كان فى أيامه الاولى ، وما يكاد يحس بان أمه تهدده ، حتى يهدأ .. والنتيجة هى انه فى هذه الحالة يتناول غذاءه من البزازه ، على حساب نموه وتقدمه !

فلنترك الطفل يصيح !

♦ والحقيقة أن الطفل يمر فى سنه تلك فى المرحلة التي يعجز أثنائها كثيرا على الاطفال أن يعبروا عن مشاعرهم .. فان انتظاره للبزازه خلق عنده حالة توتر عصبى شديد لا يمكنه أن يعبر عنها بغير الصياح .. وهو لن يهدأ الا اذا تم له هذا التعبير عن توتره ، اى الا اذا تركناه يفرغ من صياحه

.. فإذا ما تم له ذلك أمكنه بعدئذ أن يتناول غذاءه من اللبن . ثم إن الطفل ليس في مقدوره أن يصيح ويتلع غذاءه في آن واحد ، فكان من الضروري إذن أن تنتظر حتى يفرغ من التعبير عما يشعر به من انفصال . وكان من الضروري أن تتركه يصيح . وكان من الضروري أن تترك له الحرية ليقول « لا ! » ، لأن هذه هي الطريقة المثلى التي نجعله بها قادرا بعد ذلك على أن يقول « نعم ! »

ولنضرب لذلك المثل الآتي :

طفل في الثالثة من عمره دعى إلى إحدى حفلات عيد الميلاد في إحدى مدارس الحضانة ، لأن والديه كانا صديقين لمدير تلك المدرسة . وكان من الطبيعي أن توزع اللعب على الأطفال في تلك الحفلة . ولما لم يكن الطفل المذكور من أطفال تلك المدرسة فلم يكن له نصيب بالطبع من تلك اللعب التي كان يتناولها الأطفال طفلا طفلا بمناداة الاسماء ..

أما هو فظل جالسا بين والديه ، وكان يصفق مع المصفيين لكل طفل يتناول لعبته .. ولاحظ والداه أنه بدأ يحس بضيق كلما رأى طفلا يتقدم لأخذ لعبته من يد مدير المدرسة ..

إن هذا الطفل ولا شك ذو ارادة قوية ، فقد أمكنه أن يضبط أعصابه ويظل هادئا وقورا .. ولكن بعد انتهاء عملية التوزيع لاحظ مدير المدرسة ، وهو صديق أبويه ، أنه لم يأخذ شيئا .. فخاطبه قائلا : « كيف ! ألم تأخذ لعبة مثل الآخرين ؟ أنتى سأتدارك هذا الخطأ .. خذ هذه البجعة .. فهل تعجبك ؟ »

والى هنا كان الطفل صامتا لا ينبس ببنت شفة ، فما إن وجه اليه المدير هذه العبارة حتى انفجر بالبكاء ، وصاح في المدير : « أنت رديء ! أنت رديء ! لا ، أنتى لا أريد شيئا .. لا أريد شيئا ! » .. ثم ضرب البجعة بيده ضربة قوية أطارتها في الفضاء !

إنه نفس المسلك الذى سلكه الطفل الأول في الحالة السالفة .. فقد طال انتظار الطفل الثانى للعبته ، كما طال انتظار الطفل الأول « لبرازته » !

غير أن والد الطفل الثانى سلك معه مسلكا غاية في الحكمة والصواب .. فبدلا من أن يفعل ما كان يفعله أغلب الآباء في مثل هذه الحالة ويقول : « كم هو طفل قليل الادب ! أنه يشو في وجه من يحاول ادخال السرور على قلبه ! » .. خاطبه بقاية الرقة قائلا : « هذا حسن جدا .. لقد كنت في غاية الشجاعة يا ولدى ، لأنك انتظرت حتى النهاية دون أن تقول شيئا » .. فبرهن الوالد لابنه على أنه ، بدوره ، قد اشترك معه في الألم الذى استبد به من طول الانتظار أثناء توزيع اللعب على الأطفال !

ثم عاد الوالدان بالطفل الى المنزل دون أن يزيدا في التمليق على ما حدث . ولما أقبل الليل قالت له أمه : « هل تعرف ماذا فعلت ؟ لقد أخذت البجصة واحضرتها معي بالرغم مما حدث منك » . فهل تريدها ؟ ١٩٩ ٠٠ فما كان من الطفل الا ان أخذ البجصة بأذى القبضة والسرور ، نفس البجصة التي رفضها من قبل باباء ! ٠٠ بل انها صارت بعد ذلك لمحبته المفضلة على ما عداها ! فما الذي حدث ؟ ان الذي حدث كثير الوقوع والتكرار : فقد كان الطفل في السن التي يعبر فيها عن انفعالاته بواسطة التفريز الآلى ، وقد كان مشتاقا للحصول على اللعبة ، ولكنه وصل الى درجة من الكبت العصبي لم يعد في امكانه معها أن يتقبل اللعبة التي كان يريدتها ٠٠ وكان لا بد لهذه الانفعالات المكبوتة من التعبير عن وجودها بالعنف الذي وإيناه ، فكان واجبا ان نترك للطفل حرية الرفض ، لتكون له بعد ذلك - حين يهدأ - حرية القبول !

ولكى نزن هذا المسلك من جانب الطفل بميزانه الصحيح يجب الا ننحصر هنا فكرة الخير والشر ٠٠ وانما يجب أن نزنه بميزان آخر : وهو ان ما حدث لا يعدو ان يكون من طبيعة البشر . وعلينا أن نعلم جيدا انه اذا لم يستطع الانسان في طفولته أن يتمتع بحرية الرفض فانه لن يستطيع أن يتمتع بحرية القبول في مستقبل الايام ٠٠

المغالاة في الشدة تحلث رد فعل !

♦ وكثيرا ما يخيل للانسان ان الحقائق النفسية التي امكن الوصول اليها والكشف عنها ، تصطدم مع العقل ٠٠ فهل هذا صحيح ؟ ٠٠ لنضرب لذلك مثلا : نريد ان يكون الطفل على درجة حسنة من التربية ، وان يعود عادات حميدة ، فما الذي يحدث ؟ يحدث ان نلجأ الى « الشدة » لنغرس في نفسه هذه العادات الحميدة . والانسان بطبعه « تسرد » عاقل ، فلي احسن الحالات والفروغى نرى الطفل في سن السابعة او الثامنة قد اصيب برد فعل قوى ، فلذا به يبعث عن حريته الضائعة ، وذلك بان ينبذ جميع التعاليم التي كان قد تلقاها عن طريق الشدة والقهر ! ٠٠ وكثيرا ما يأتي ذلك عن غير عمد : فالطفل الذي لجأ والداه الى الشدة ليعلماه كيف يكون نظيفا نراه في سن السابعة اشمت الهمد ، وربما يستيقظ في الصباح فلذا بلرأشه مبتل ! وما ذلك الا لان الحياة اقوى من قوانين التربية مجتمعة ٠٠ والفراثر نشطة عاملة وليس من المسور مقاومتها . فالتربية الصحيحة هي التي تسمح للحياة بالنمو والتدرج بدون أن تضع في طريق نموها وتدرجها المراقيل . وهي في ان يعرف الطفل غرائزه ليعرف بعد ذلك كيف يسيطر عليها ٠٠

وليست التربية في ان يكون سجين هذه الغرائز ، او ان يكون سجين آراء الآخرين !

الطفل يستطيع التمييز منذ ولادته !

◆ سنحت لي الفرصة لمشاهدة ظاهرة عجيبة تتلخص في ان الطفل ، في « اليوم » الثامن أو العاشر لمولده ، يمكنه ان يختار نوع الغذاء الذي يناسبه اكثر من غيره . . . وكانت هذه المشاهدة اثناء فترة قائظة الحر وكان الطفل يفضي بلبن البقر المخلوط بالماء ، ولما كانت نسبة خلط اللبن لا تناسبه - لدسامة اللبن وشدة القيظ - فقد كان يرفض تناول اللبن ، مفضلا عليه الماء القراح ! واستمر ذلك الى اليوم الذي تنبهت فيه امه فخففت اللبن الى الحد الذي كان جسمه يتطلبه . . .

ولنضرب مثلا آخر بالطفل الذي نما نموا طبيعيا الى الشهر السادس من عمره ، بدون ان تصادفه صعوبات . ومن الطبيعي ان يواجه في هذه السن صعوبة التعبير ، فهو لذلك يأتي بحركات مضطربة ليستقدم بها احدا الى جواره كما لو كان يريد ان يتحدث اليه عن شيء يدور في نفسه ، ثم يكثر من البكاء . . . وهنا يكون مسلك الام على جانب عظيم من الاهمية ، اذ عليها ان لا تستثير الطفل ببعض الحركات العاطفية : كان يكون هادئا في مهده فتأتي لتلقي نظرة عليه ، فما تكاد توليه ظهرها وتذهب عنه حتى يأخذ في البكاء . انه لم يكن يبكي قبل ان يراها ، فقدوم الام هو الذي اثار في نفسه هذه الموجة ، موجة « ألم الفراق » وما تبعها من دموع سكبها باكيا بعد ذهابها عنه . . . ومن ثم يجب ان نتعلم كيف نترك الطفل يلهو منفردا ، على ان نراقبه من بعيد من خلال باب زجاجي مثلا ، وذلك بدون ان نفرض عليه فرضا ذلك السرور الذي يستشعره من حضورنا ، والذي يستتبعه ذلك الألم الذي يستشعره بعد ذلك من غيابنا . . . واذا حدث ان كان بعض ذويه بقربه فعليهم ان يلهو بلعبة يتسلى بها ، وعندئذ يمكن تركه دون استشارته ، لانه قد يجد في اللعبة التي في يده عوضا عن فراقه للناس . . .

ان العلامة الدالة على ان الطفل ينمو نموا متزنا في الحياة ، ليست في المعرفة التي يلقنها ، ولا في قدرته على أن يلفظ اسمه ، وانما هي في ذلك التعبير الواضح ، الحي ، المتحرك الذي يصدر عنه . . . فماذا نفعل لضمان اكتمال حريته ، في ذلك التعبير ؟

السريـر ذو الحواجز :

◆ كثيرا ما نرى اطفالا صغارا جدا يتشبثون بكليقاتهم بشيء يضمنونه في أفواههم ويصونه (كان يصوموا أصابعهم ، أو ملاءة السريـر التي يضمنونها

في افواههم) .. لماذا ؟ لان الطفل كثيرا ما يصاب « بالملل » ! .. واليك
العلاج :

فاولا : يجب ان نبعد من سريره الانسجة .. وثانيا : انه يحتاج الى النور
والحركة تدب من حوله ، والى المسليات .. ومن هنا كان من الافضل ان
يوضع في سرير ذى حواجز حتى يتمكن من ان يرى خلالها ما يدور حوله في
الغرفة . ويجب أن يوضع في هذا السرير مبكرا ، لانه ثبت أن الطفل ابتداء
من الشهر الثالث من عمره يصبح قادرا على الاهتمام بالاشياء المحيطة به .
وعليه فيجب ان نمكنه من تتبعها ، ومن رؤية النور ، فاذا ما ترك بعدئذ
وحيدا فانه لا يستشعر الوحدة ولا « يمل » !

الرياضة الحرة

◆ بعد هذه الحقبة من الزمن يجب ان ندع الطفل يمرن جسمه وذلك
بان يحبو أو يتعلق بأحد المساند أو المقاعد .. ويصاب الطفل احيانا كثيرة
من جراء هذه التمرينات الاولى . ولكن الذى يعطى لسقطة الطفل اذا سقط،
معنى ايجابيا أو سلبيا ، هو مسلك الأم بازائه فى هذه الحالة : فلنتجنب ان
نقول له : « هذا سيء .. او هذا ردىء ! » بل يجب أن نقول له فى هذه
الحالة : « هذا خطأ .. ولكنه غير ممنوع .. وفى هذا مجازفة ! » ، وبعدئذ
علينا ان نساعد على ان يقوم بنفسه بعمل ما سبق ان عمله ولكن بطريقة
افضل من طريقته الاولى . ولتعلم جيدا ان الطفل من ناحية التمرن على الحركة
قادر على ان ينظم نفسه كما ينظمها تماما فى حالة الجوع .. واحسن السبل
هو ان ندع له « الحرية » فى تجربة محاولاته بنفسه ، فان هذا سيجعله
مع الوقت فى غاية الحذر .. اما اذا لم نتركه يفشل تدريجيا ، هذا الفشل
الذى يجب ان يواجهه ، فانه سيكون عاجزا عن سلوك الطريق الذى يفرض
عليه ان يسلكه فى المستقبل ، كما سيكون عاجزا اذا ما وجد نفسه فجأة امام
تجربة صعبة لم يحضر لها تحضير كافيا من قبل .. فمثلا فى حالة الطفل
الذى يتعلم المشى فيحبو اولا ثم يسقط ، نرى كثيرين من الآباء يبالفون فى
اتخاذ الاحتياطات لمنع مثل هذه السقطات ، الى الحد الذى اذا سقط معه الطفل
ذات يوم سقطة عنيفة غير متوقعة ، فان هذه السقطة المفاجئة قد تسبب
له صدمة تمنعه من تجديد محاولاته ، وقد تموق تقدمه وقتا طويلا .. وذلك
لأننا لم نترك له الحرية ليزن جسمه تدريجيا ، ولم نتح له « فرصة »
السقوط بين الآن والآخر

اكتشاف « الجنس » والمشاكل التي تواجه الامهات

◆ يلد للطفل ان يكون عاريا .. وذلك راجع من غير شك الى ان طبيعة الانسان هي ان يكون عاديا . وكثيرا ما تقلق الامهات عند ما يبصرون اولادهن وقد اكتشفوا في انفسهم حقيقة « الجنس » ! وذلك مخافة ان يصابوا بالمادة السرية . ولكن الطفل يكتشف حقيقة « جنسه » كما يكتشف وجود نفسه أو أذنيه تماما .. فاذا ما توجه ببعض الاسئلة في هذا الصدد ، فالواجب هو اجابته عليها بصراحة ، مع السماح له بالتعبير عن حاسته ، وعما يستشعره . لان سؤاله يعتبر دليلا على انه بدأ « يتنبه » .. وان هناك جوابا ما على سؤاله قد يدور في مخيلته . فواجب الأم في هذه الحالة هو أن تشجعه على التعبير عن « حاسته » ، وعما يراه ، أو يخمنه .. وأن تحبذ له الافصاح عن رأيه الشخصي في كل هذه الامور .. فهذه الطريقة يستكشف رويدا رويدا حياته الجنسية ويستكشفها تدريجيا مع نمو جسمه ..

اما فيما يتعلق بالفتيات الصغيرات فانه ، في تقديرهن ، امر جاسر للكرامة ان يرين انفسهن يختلفن عن الذكور في « التكوين » ! على ان هذا لا يمنعهن مع ذلك من الاعجاب بالجنس الآخر ، فيجب التحديث اليهن وافهامهن ان جميع الفتيات الصغيرات ، بل جميع النساء ، خلقن هكذا ! ويجب ان يوضح لهن ايضا انه من اشد الامور مضايقة لهن ان يحكمن على هذه المسألة بطريقتهم .. فليس هناك جرح للكرامة في هذا « الاختلاف » بل هناك « امر واقع » !! وعند الفتاة الصغيرة استعداد سريع لتقبل هذا « الاختلاف » .. وانه لفي نفس الوقت الذي تبدأ فيه هذه « العقدة » في التكوين في نفس الفتيات ، نرى ميلهن الى العرائس وقد بدأ يبين ويظهر ! .. وابتداء من ظهور هذا - الميل - نراهن لا يقلقن انفسهن بهذا الموضوع ، وفي نفس تلك الفترة تظهر على بعض الاطفال انفعالات شديدة الوضوح ، عند احساسهم بالميل الى « التبرز » ، فيجب أن لا نقلق من صياحهم عند ما ينتابهم هذا الميل !

مسألة نظافة الطفل

◆ كثير من الامهات يحتمن على الطفل الذهاب « للتبرز » في ساعات محددة ، مما يضطره في غالب الاحيان الى بذل مجهود متعب لاتمام هذه العملية ، وقد يعجز رغم ذلك المجهود عن اتمامها .. فينبغي ان لا نبالغ في تقدير أهمية التبرز لان الطفل قبل أن يبلغ العامين من عمره لا يملك قوة

عضلية كافية تكفل له انتظام هذه العملية ، وعلى الاخص اذ كان وقت احساسه بالليل الى التبرز موزعا انتباهه على اشياء أخرى .. وفوق ذلك فانه ليس في مقدوره الاهتمام بشيئين في وقت واحد ، وان لمبة ما من اللعب تعتبر من اهتمامه اكثر مما تشيره حاجات بدنه .. فاذا وجد في ملهى أو في « سيرك » ففي وسعه ان يقفز الى احدى اللعب في الوقت الذي يتناهبه الشعور بحاجته الى التبرز ..

ونعود فنقول انه حتى انتظام هذه العملية عند الطفل يجب ان يكتسب « بحرية » .. فكم عدد الوالدين الذين لا ينتظرون الوقت المناسب ليتعود الطفل على هذا النظام ؟ ان النظافة التي تجيء قبل اوانها لنظافة مزعجة الاركان ، وهي معرضة للزوال اذا طرأ من الظروف ما يزعزع اركانها .. وكثيرا ما يحدث ان يكون الطفل نظيفا في السنة الأولى من مولده ، فلذا ما ذهب الى المدرسة في سن الرابعة رايناه يبطل فراشه . وهنا تثور الام، وتشكوه الى مديرة المدرسة ، وتطلب منها ان تكون قاسية معه جدا اذا ما عاد الى هذه الكلفة ! وانه لمسلك محزن حقا من جانب الام ، مسلك يزيد في ازعاج الطفل .. بينما يجب في مثل هذه الحالات ان نتجنب اشعار الطفل بانه « مذنب » ، حتى يعود الى النظافة بسرعة ومن تلقاء ذاته .. وذلك كان يقال له مثلا : « انك تركت كل همك في الاشياء المحيطة بك الى الحد الذي تنسى فيه نفسك .. ولا شك انك تفعل هذا عن غير عمد ! »

وهذه التربية لها أهمية عظمى لانها وثيقة الصلة « بالجنس » . ويجب ان ننتظر حتى تكون للطفل سيطرة « عضلية » على نفسه ، كان يزن ايماءاته وحركاته ، قبل ان نطلب منه السيطرة على هذه الناحية من نظافة جسمه وفي هذه الحقبة من الزمن تبين على الطفل ظاهرة جديدة هي ظاهرة حبه لان يفعل شيئا من اجل الآخرين .. فيجب ان نستغل هذه الظاهرة ، لا لنطلب منه مثلا ان يتبرز « لبرضينا » ، بل ان يفعل فعلا ايجابيا ، كان يقفل احد الابواب او يحضر لنا احد الاشياء . وعلينا ان نعلمه كيف يتجانس ويتجاوب معنا .. اما نظافة الجسم فهي لا تزيد عن أن تكون وسيلة من الوسائل ليس الا ، وليست غاية .. وهذه النزعات تبدأ في الظهور على الطفل حوالي سن السنتين ، فعلينا ان نساعد على ان يبنى ذاتيته ويكون شخصيته ، على ان نترك له « الحرية » ليعمل ما يعمل بمحض رغبته .. لا بالقهر !

بلد التربية الجنسية

♦ ولنتعرض الآن صعوبة أخيرة وهي الفترة التي يكتشف فيها الطفل ان عضو التناسل فيه خلق ليؤدي وظيفة أخرى . فمن الخطورة بكان أن يتدخل

الكبار في حياة الولد الجنسية عن طريق الزجر أو النهي أو التوبيخ .. فقد يسبب له التدخل بهذه الطريقة صدمة تكون لها عواقب عنيفة ومضاعفات شديدة في حياته الجنسية برمتها عندما يكبر بعد ذلك .. وقد يدلفه الزجر أو النهي أو التوبيخ ، الى اعارة أهمية كبرى لبعض الحركات التي تكون حينئذ عديمة المعنى في نظره .. فاقامة حظر على الولد في هذه الناحية يضره ضررا بليغا ويجعله ينتقل من الجو العادى النظيف الى الجوالملوث .. ومن الحياة المنتظمة الطبيعية الى الحياة الجنسية الفلقة !!

واذ لجأنا في الناحية الجنسية الى التعبيرات السلبية معه ، أمكننا أن نحدثه عن الولادة مثلا ، فنبدا حديثنا معه « بالكتكوت » وكيف يخرج من البيضة ، ودور الدجاجة في هذا الموضوع وكيف تبيض وتفرخ . ثم نتدرج معه الى التحدث عن ميلاد الطفل الذى يولد من امتزاج « نصفى حبتين » : نصف يأتى من الأب ، والنصف الآخر من الأم .. فنقول له مثلا ان نصفى الحبتين يكبران حتى يتكون منهما فى بطن الأم بيضة تندر فى بطنها بالدفء قبل ان يظهر الطفل الى عالم الوجود ، تماما كما تدثر الدجاجة بيضتها بالدفء قبل أن يخرج « الكتكوت » الى عالم الوجود .. ولنوضح له كل شئ بغير لف أو دوران .. حتى لا يسبح خياله فى اشياء لا حدود لها ، وحتى لا يتصور فى هذه الناحية أمورا لا تمت الى الواقع والى الحقائق بصلة . فهناك أطفال يتعذبون ويتألمون آلاما شديدة لانهم يتصورون انهم ولدوا من قلب الأم الذى انشق نصفين ليخرجوا هم منه الى هذا العالم لا ثم يقفز خيالهم الى تصور بشاعة الآلام والعمليات الجراحية التى تحملتها أمهاتهم فى سبيل ولادتهم واخراجهم الى النور .. الخ

على أنه من الطبيعى انه يتعين علينا ألا نسبق الطفل فى معلوماته فنفرض عليه ما لم يسأل عنه .. وعلينا أن نتعود عدم فرضى رأى ما عليه . اذ هنا أيضا يجب أن نتركه حرا ، فلا نقول له مثلا : « هذا الغذاء لذيذ فيجب أن تأكل !! » بل نقول له : « اذا كنت جائعا فيمكنك أن تأكل .. اننى أرى هذا الغذاء لذيذا وسيصبح الد مذاقا عندى اذا أعجبك ! »

وباختصار ، فان « قانون » تربية الطفل يتلخص فى هذه العبارة : « دع طفلك حرا ، ولكن كن أنت حرا بدورك .. وامنع طفلك من أن يضايقك فى نشاطك ، ولكن تجنب انت أيضا أن تضايقه فى نشاطه ! »

وفى العدد القادم نقرأ المحاضرة الثانية من هذه السلسلة

رأيت وسمعت لك .. فى أوروبا

— وعو أرقى ملاهى باريس الاستعراضية — ياخذك فى فترة الاستراحة الى قاعة أخرى فى الطابق الأسفل كى يعرض عليك — بأجر اضافى — الوانا سقيية من الرقص الشرفى المزيف ، الذى يقصد به ارضاء فضول السائحين البسذج ، وابتزاز أموالهم .. أما فى مصر .. فالسائح لا يكاد يجد ملهى واحدا انيقا نظيفا يرى فيه الرقص الشرقى التقليدى الذى ربما كان من اقوى العوامل التى اغرته بزيارة بلاد « الف ليلة وليلة » التى طالما سمع عنها .. فى الكتب !

لقد أعجبني الممتحن الذى وضع اسئلة امتحان الدور الثانى فى كلية التجارة منذ أيام — وقد علمت انه الدكتور أحمد أبو اسماعيل استاذ الاقتصاد الصناعى بالكلية — فقد كان بين الاسئلة التى وجهها لطلبته هذا السؤال: « تعتبر السياحة مصدر دخل قومى كبير لغيرنا من الدول كفرنسا وسويسرا وإيطاليا .. فإذا كنت توافق على ان ظروف مصر ليست اقل مواتاة ، فما هى السياسة التى ترواها جديرة بالاتباع لتشجيع وتنظيم السياحة فى مصر ؟

وسأحاول ان اجيب على هذا السؤال فى الاعداد القادمة باذن الله

تحية .. الى الاقطار العربية الشقيقة

♦ ليس من دأب كتابى أن ينشر ما يوجه اليه من تحيات عاطرة مشكورة ، لا تهم القارئ كثيرا فيما أعتقد .. لكنى أسمح لنفسى بأن استثنى من هذا « المحظر » ، رسالة كريمة وصلتنى من المكاتب الاديب الاستاذ كليم أبو سيف — صاحب التضييحات المشرفة فى ميدان الجهاد الوطنى والسياسة المصرية منذ ربع قرن — وما كنت لاستثنيتها لولا انى لا اعتبرها تنطوى على تحية لشخصى بقدر ما تنطوى على تحيات صادقة لاهل البلاد العربية الشقيقة عموما ، ولقراء (كتابى) منهم على وجه الخصوص .. فهى اذن موجة اليهم اكثر منها الى ، ومن ثم فليس من حقى أن أمسكها عنهم .. وما على الرسول سوى الايلاغ :

اخى الكاتب الاديب الاستاذ حلمى مراد

تحيتى اليك وسلامى عليك ، وبعد .. فانه ليسرنى ان ابعث اليك بهذه الرسالة من لبنان ، من الفتق المضياف الكريم الذى اقيم فيه بـ « بنت مري » حيث استمتع منذ ايام بجمال لبنان وسحره ، ونبل اخلاق اهله اللبنانيين الكرام الاغزاء ..

وقد وصلت الى لبنان بعد رحلة استغرقت اياما فى المملكة الاردنية الهاشمية ، زرت خلالها (عمان) و (القدس) و (رام الله) وغيرها من المدن ، حتى استقر بى المقام حيث انا الآن ..

وكان من الطبيعى أن اعنى قبل أى شئ — وانا ازور تلك البلاد الجميلة — بدراسة الحياة الادبية فيها .. فالادب — على حد تعبير « تاغور » فيلسوف

الهند الكبير - هو الموضع الذي يمالج اسقام الحياة ، بل هو الحياة !
وكانت اول مدينة استقرت بنا الطائرة فيها بعد مغادرتنا مطار القاهرة.
هي مدينة عمان .. ولا اكتمك اننى لم اكن اتوقع ان ارى فيها مدينة عامرة
جميلة التنسيق ، لا تال مبانيها روعة عن اجمل ما تراه من مبان حديثة
فى القاهرة ..

ورحت اطوف أرجاء مدينة عمان الجديدة ، الجميلة ، الهادئة ، فمررت
اولا بمكتباتها ومتاجر بيع الصحف والمجلات فيها .. سررتنى شيء ، وراعتنى
شيء آخر : فاما الشيء الذى سررتنى فهو امتلاء هذه المتاجر بجميع الصحف
والمجلات المصرية ، سواء ما كان يصدر منها يوميا ، او اسبوعيا ، او
شهريا .. فانت تستطيع ان تقرأ هناك نتاج المطابع المصرية على اختلاف
الوانه دون أى عناء .. وقد سررتنى هذا لان دلالتة ومعناه ان الصحافة المصرية
والادب المصرى يحتلان مكانة مرموقة فى الاقطار العربية الشقيقة ..

اما الشيء الذى راعتنى فهو يتملق بـ « كتابى » .. فقد رحلت اطوف
بالمكتبات واحدة اثر اخرى اسألتها مستقصيا ومدققا عن « كتابى » : زرت
مكتبات ومتاجر الصحف فى عمان والقدس ورام الله فى شرق الاردن ..
وزرت مثيلاتها فى بيروت وجبال لبنان .. فراعتنى ان اتلقى عن استقصائي
جوابا واحدا منها جميعا ، جوابا كانه منشور دورى موزع عليها كلها بغير
استثناء ، وهذا الجواب هو : « لقد نفذ (كتابى) » .. فلا توجد منه نسخة
واحدة بالية !

ولما سألت المشرفين على هذه الدور الصغيرة الانيقة عن سبب هذا النفاذ
السريع لنسخ « كتابى » ، كان الجواب واحدا منها على السواء : « ان العدد
الذى يصلنا من « كتابى » يباع فور وصوله .. ولو ارسل الينا ضلعه لبيع
فور وصوله ايضا .. ! »

راعتنى هذه الحقيقة وسررتنى غاية السرور - واظنك بشاركتنى هذا
الشعور ! - فلو أن « كتابى » كان مجلة ماجة خلية ، تستثير موضوعاتها
الغرائز ، وتلهب صورها الحواس .. وذاع وانتشر ، لما كان فى ذبوعه
وانتشاره ما يشرف البائع والمشتري معا ! اما وهو يقدم للقراء ادوع آثار
الادب فى تاريخ الادب كله ، قديمه وحديثه ، فان ذبوعه يشرف صاحبه بقدر
ما يشرف قارئه ! .. وهذا الذبوع دليل قوى على ان الاقطار العربية
الشقيقة لم تعد لتحفل الا بالجواهر .. وان الشباب والقراء فيها لا اثر
للمبت والمجون فى اخلاقهم ، وانهم يقبلون على العلم والادب والرفيع بلهفة
وشوق يدعوان للاعجاب الكبير ! .. وحسنا لك على انه ليس للادب وطن ،

هو منذ القدم تراث انساني شائع ، لكل فرد من الانسانية فيه نصيب ..
 والا ، فلو كان للادب وطن ، ولو كان للادب « جنسية » ، ولو كان
 للادب « عصبية » .. لاعتزت كل امة بادبائها دون ادبا غيرها .. ولكانت
 هذه المكانة الرفيعة التي يتسمنها « كتابي » في تلك الاقطار - ولا سيما في
 سوريا ولبنان - اول بها غيره من الكتب والمجلات التي تصدر في مصر ،
 والتي لا تحتل نصف مكانته فيها ، بفضل دولية العلم .. وعالية الادب
 ... وسمو الذوق الفني والادبي في البلاد العربية الشقيقة العزيزة

فاعتذك ، وارجو ان يكون ما صادفته حتى الآن من نجاح ، بفضل
 اخلاصك ودأبك على خدمة قرائك ، حافظا لك على المزيد .. مشجعا لك على
 تزويد قراء « كتابي » بما اعتدت تزويدهم به من الروائع والشوامخ التي
 جادت بها العبقريّة الانسانية على الناس في التاريخين القديم والحديث ..
 ولقد صادفت في بدء جهادك الادبي من الصعاب ما اعرفه تمام المعرفة ..
 واعلم عليك بمضى من معتركى الافلام ، ومعتصرى الكتاب - الذين يمني بهم
 الادب في كل زمان ومكان - حربا عوانا ، تخطي اذا ظننت ان اوارها قد
 انطلقا او سينطلقا .. ولكن عزاءه هو فيما تلاقيه أنت ، وما يلاقونه هم ،
 في مصر والعالم العربي كله من جزاء .. والسلام عليك حتى اللقاء ..
 (بيت هري) - لبنان
 المخلص سليم ابو سيف

تفتيش مشروعات رى غرب الدلتا بدمنهو

وتركيب الاعمال الصناعية اللازمة
 للهوسين .

ويمكن الحصول على الشروط
 والمواصفات والرسومات بتقديم طلب
 بل ورقة تمفة من فئة الخمسين
 مليا لكل عملية على حدة - نظير
 دفع مبلغ ١٥ جنيها للعملية الاولى
 و ٢٠ جنيها للعملية الثانية بغلاف
 للامانة مليم اجرة البريد عن كل
 عملية

وكل عطاء غير مصحوب بتأمين
 مؤقت كامل قدره ٢ في المائة من
 مجموع قيمة العطاء لا يلتفت اليه
 اطلاقا .
 ٨٦٧.

تقبل عطاءات بمكتب التفتيش
 لغاية الساعة الثانية عشر ظهر الايام
 الموصحة بمد للامال الاتية :

١ - يوم السبت ٢٧ نوفمبر
 سنة ١٩٥٤ عن عملية انشاء قنطرة
 وهوس على رباح البحيرة كيلو
 ٢٦.٤٢ وتوريد وتركيب الاعمال
 الحديدية اللازمة للهوسيس
 والكوبرى المتحرك بمرکز كسوم
 حمادة بمديرية البحيرة

٢ - يوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر
 سنة ١٩٥٤ عن عملية انشاء قنطرة
 وهوسين على ترعة المحمودية كيلو
 ٧٥.٢٢ قرب كفر الدوار وتوريد

وزارة التربية والتعليم اعلان مسابقة لتأليف كتب في اللغة الفرنسية

شعبة الآداب ، يحتوى على :
مطالعة، محادثة، قواعد ، تمرينات
تحريرية

٢ - كتاب للسنة الثالثة الثانوية،
شعبة الآداب ، يحتوى على :
مطالعة، محادثة، قواعد ، تمرينات
تحريرية

رابعا - كتابين لشعبة العلوم
بالمدارس الثانوية للبنين والبنات
(لغة أوروبية ثانية) « بينهما
كالاتى ، ويراعى فى اعدادهما
التسلسل :

١ - كتاب للسنة الثانية الثانوية
شعبة العلوم ، يحتوى على :
مطالعة ومحادثة ، قواعد ،
محفوظات ، تمرينات تحريرية .

٢ - كتاب للسنة الثالثة الثانوية
شعبة العلوم ، يحتوى على :
مطالعة ومحادثة ، قواعد ، تمرينات
تحريرية

وتقدم الكتب لمراقبة التوريدات
بوزارة التربية والتعليم « شازع
صفية زغلول بالمئيرة » فى موعد
غايته أول ديسمبر سنة ١٩٥٥

والكتب التى يقع عليها الاختيار،
تشتري الوزارة حق تأليفها بصف
مطلقة نظير مكافأة فى حدود ٢٠٠
جنيه لكل كتاب .

٨٧٣٦

تعلم وزارة التربية والتعليم
عن مسابقة لتأليف كتب اللغة
الفرنسية التالية ، وفقا للمناهج
الجديدة ، على أن يكون استعمالها
فى المدارس الاعدادية والثانوية
ابتداء من العام الدراسى ١٩٥٧/٥٦
اولا : كتابين للمدارس الاعدادية
للبنين والبنات، يراعى فى اعدادهما
التسلسل وبيانهما كالاتى :

١ - كتاب للسنة الاولى
الاعدادية يحتوى على : مبادئ
المطالعة للمبتدئين ، مفردات تعبير ،
مطالعة ، قواعد ، محفوظات ،
تمرينات تحريرية .

٢ - كتاب للسنة الثانية الاعدادية
يحتوى على :

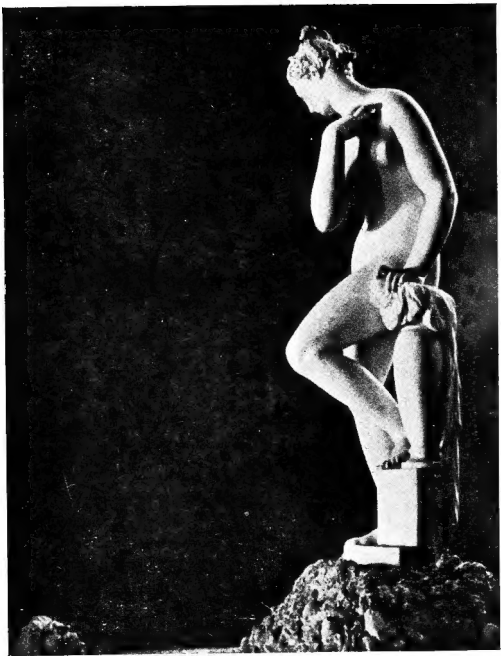
مطالعة، مفردات، محادثة، قواعد،
محفوظات ، تمرينات تحريرية .
ثانيا - كتاب للسنة الاولى
بالمدارس الثانوية للبنين والبنات
(لغة أوروبية ثانية) يحتوى على :
مطالعة ، مفردات ، محادثة ،
قواعد ، محفوظات ، تمرينات
تحريرية .

ثالثا - كتابين لشعبة الآداب
بالمدارس الثانوية للبنين والبنات
(لغة أوروبية ثانية) يراعى فى
اعدادهما التسلسل :

١ - كتاب للسنة الثانية الثانوية

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	رأيت وسمعت لك ٠٠ في أوروبا : افتتاحية العدد
١٢	عيون حائلة : قصة مصرية للمحزر
١٩	أميرة مصر (غرام في بلاط قمبيز) : قصة طويلة للروائي المؤرخ « جورج موريتز ايبرز »
٦٣	العقد الاجتماعي : انجيل الحرية الخالد ، للمفكر الفرنسي جان جاك روسو
٩١	بيت الليل : قصة تمثيلية كبرى للروائي الفرنسي المعاصر « تييرى مونييه »
١٢٥	غزو مصر وهزيمة عرابي ومحاكمته : صفحات حالكة من جنيات أسرة محمد علي علي مصر
١٥٣	عش بحكمة تعش سليما : للاخصائي « برنارد ديتمار »
١٧٣	رسالة الى ابنتي : من رسائل الاديبه الخالدة « مدام دي سيفينييه »
١٨٥	مشكلات الطفولة المبكرة : الحلقة الاولى من سلسلة محاضرات « مدرسة الابهاء » للدكتورة فرانسواز دولتو
١٩٦	تحية ٠٠ الى الاقطار العربية الشقيقة : للاستاذ كلیم أبو سيف



احد تماثيل « فينوس » ربة الجمال ، كما اقيم في حدائق (بوبولي) بفلورنسا



(تمثال للفنان كانوفا مقام في بحيرة (كومو) بإيطاليا)

« كوبيد » اله الحب ومحبوبته « سايك »

كتابي

«كريمة»!

«آه .. كيف يجترأ أحد على أن يتهم الحب بشراً
أدق طيبة؟! .. ان قلبي ، الذي كان قبل أن تملؤه
كريمة ، لا يعيد غير ذاقه ، وغير الشيطان .. قد
غدا منذ عرفتها متبتلاً ، يجر في صدري كلما لقيتها ،
يا حبلى لله في فشحوع ، شاكرًا للسمار أنها وهبته ماضيه
السعيد .. متعباً لها كي تدميه عليه !
« كنا دائماً نلتقي في مشرب للشاي قريب من
هنا ، ثم تخرج إلى إحدى الضواحي الوردية ، ففسير
مذاقنا يتزامن ، أرتضيت للطبيعة وهي ترأس
بأهدأيت الجمال والسحر والحب .. حتى نتعب فنجلس
على أحد المقاعد الخشبية المتناثرة ، كي تقف لي كريمة
بصوت خافت سماري أغنية رقيقة .. بينما ألهيم أنا
في عينيها الحالمتين ، اللتين كانتا تحكيان لي في كل جلسة
هائلاً جديداً ، وأملأ أعزب من نسيم الفجر ، مسكراً
كهط الربيع ، ناعماً كأوراق الورد .. وكبشرة
فردا الحمري ! »

(من قصة «عيون حائلة» ، إحدى قصص هذا العدد)